
محمود قاسم
الفيلم الغنائي
في السينما المصرية

محمود قاسم

الفيلم الغنائي
في السينما المصرية

الكتاب: الفيلم الغنائي في السينما المصرية

الكاتب: محمود قاسم

الطبعة: **2018**

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)



5 ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : 35825293 – 35867576 – 35867575

فاكس : 35878373

http://www.apatop.com E-mail: news@apatop.com

دار الكتب المصرية

فهرسة إثناء النشر

قاسم ، محمود

الفيلم الغنائي في السينما المصرية / محمود قاسم

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

357 ص، **18** سم.

الترقيم الدولي: **0 – 572 – 446– 977– 978**

أ – العنوان رقم الإيداع : **19118 / 2018**

الفيلم الغنائي
في السينما المصرية



مقدمة :

ليس لدينا فقط نوع واحد من السينما الغنائية في مصر طوال هذا العمر الطويل من الزمن، فالسينما التي نطقت من أجل أن تغني صنعت العديد من الأنواع من الأفلام ارتبط وجودها بأسماء معينة ومن نجوم الاستعراض،

والتلحين والكوميديا الموسيقية ، ظلت في حالة صعود وهبوط في الأزمنة التي تواجد فيها كل من محمد عبد الوهاب وأم كلثوم وفريد الأطرش وليلى مراد ، ثم محمد فوزي ونعيمة عاكف وشادية وصباح، وفي الخمسينيات برز كل من عبد الحليم حافظ وكان لكل اسم سماته في هذا العالم وهو : الفيلم الغنائي – الفيلم الاستعراضي – فيلم الكوميديا الموسيقية ، ثم تحرك الفيلم الغنائي في العقود التالية ببطء ملحوظ وعاد في القرن الحالي ليزدهر من جديد .

في هذا الكتاب متابعة رصينة لمسيرة كافة هذه الأنواع من السينما، فتعال نتعرف عليها .

محمود قاسم

الفصل الأول
سمات الفيلم الغنائي

الفيلم الغنائي، هو بكل بساطة الفيلم الذي به أغنيات أيًا كان الشكل الذي قدمت فيه الأغنية سواء كانت فردية، أو في إطار دويتو (غناء ثنائي) أو استعراضات متباينة الضخامة

.

ولابد أن يكون هذا الفيلم ناطقًا في المقام الأول، ثم لابد أن تصاحب الأغنيات موسيقي، وكما ورد في "معجم الفن السينمائي" من إعداد وترجمة أحمد كامل مرسي، ود.مجدي وهبة، فإن تعريف "الفيلم الغنائي" غير موجود، لكن هناك تعريفًا آخر للفيلم الموسيقى سنورده هنا من ناحية وسنعود مرة أخرى للحديث عن سمات الفيلم الغنائي.

فالفيلم الموسيقي والرقصات والأغاني يجمع بين سمات الأوبرا توميك أو الفودفيل في المسرح، وهو فيلم يماثل الملهاة الموسيقية في بعض عناصرها ولكنه يقل عنها في الاهتمام بالناحية الموضوعية أو الفكرية في معظم الأحيان، إنه يميل إلى حشو المواقف الهزلية بالشخصيات المضحكة، وإقحام المفارقات والمفاجآت المفتعلة، وحشد الاستعراضات الراقصة والغنائية التي تضم مجموعات متنوعة من الفتيات الجميلات، إنه يعتمد على تصميم المناظر المسرحية الخيالية، وابتكار الملابس والأزياء الجديدة، وبراعة استخدام الحيل والإمكانيات السينمائية مع الموسيقى الراقصة والألحان الشائعة، وقد ذاع هذا النوع في الأفلام الأمريكية منذ بداية الثلاثينيات، ونذكر من بين أبطاله فريد استير، وجين كيلي، وجودي جارلاند، ويمكننا أن نعتبر معظم أفلام فريد

الأطرش ونعيمة عاكف من هذا النوع، أما أفلام عبد الوهاب وأم كلثوم وليلى مراد فهي من نوع الملهاة الموسيقية .

وعن الملهاة الموسيقية في نفس المعجم، فإنها لون متطور من الفيلم الموسيقي، يجمع بين سمات الأوبريت والأوبرا في المسرح، وهو عبارة عن بناء درامي يعالج الموضوعات الجادة بأسلوب مرح خفيف، تلتقي فيه الرقة مع العمق، ولا يخلو هذا البناء الدرامي من الشخصيات المرحة والمواقف المسلية إلى جانب العقدة الروائية المحكمة، والأزمات المثيرة والمفاجآت المرحة، والنهايات السعيدة في معظم الأحيان، وهو يماثل إلى حد بعيد الفيلم الموسيقي في بعض عناصره، ولكنه يتميز عنه بجدية الموضوع، والمعالجة الهادفة، وقوة الإبداع الفني في الإخراج والتصوير ومن هذه الأفلام عالميًا "قصة الحي الغربي"، و"أوليفر" ، و"سيدتي الجميلة" و"صوت الموسيقى" ، وأقرب الأفلام المصرية من هذا النوع "عايدة" و"مصنع الزوجات" و"غزل البنات" والفيلم اللبناني "بياع الخواتم" .

وهذا تعريف عام يمكن أن نستخرج منه الكثير من المثالب، لكننا لا نود الوقوف عنده، فلاشك أن الفيلم الغنائي يتضمن كافة التعريفات التي تدخل فيها الاستعراضات والموسيقى الغنائية، والكوميديا الموسيقية ، باعتبار أن الأغنية موجودة في الفيلم، قام المؤلف بتأليفها كي تكون كلماتها ذوات إيقاع ولحنها ملحن، غالبًا ما يكون شخصًا مختلفًا تمامًا، عن واضع الموسيقى التصويرية، ويغنيها مطرب أو مجموعة من المطربين، بعضهم محترف غناء، معروف خارج شاشة السينما كمغنٍ، والبعض الآخر قد يكون مجرد مغنٍ سينمائي، أي أنه لا يمارس الغناء سوى في الاستوديوهات أمام الكاميرا، حتى وإن خرجت أغنيته إلى الناس في صورة شرائط كاسيت أو أسطوانات، وذلك حسب نجاح الفيلم، وهذا بالطبع واضح لدينا في السنوات الأخيرة من خلال

غناء نجاح الموجي وأحمد زكي، ومحمود عبد العزيز، ومحمد هنيدي، وآخرين.

ولاشك أن مولد الفيلم الغنائي مرتبط أساسًا بالفيلم الناطق كما أشرنا فعندما نطقت الأفلام، غنت، ولم تعرف السينما أي ظاهرة للغناء إبان صمتها فكيف نشجي الناس بالإشارة ، مثلما يحدث في هذه الأفلام.

إذن .. فالفيلم الغنائي يجب أن يضم أغنيات، سواء ارتبطت هذه الأغنيات بالفيلم أم لا، ففي الكثير من الأفلام التي تسمي بالغنائية، يمكن أن تحذف الأغنيات ونشاهد فيلمًا مكتملًا، وطالما أن بالفيلم هذا القدر من الأغنيات، فهو فيلم غنائي، أما إذا تم إزاحتها عن الفيلم فقد هويته، وعلى سبيل المثال فإن فيلم "شباب امرأة" يمكن اعتباره غنائيًا، لأن هناك مطربة غنت أغنيتين، بالإضافة إلى نشيد جماعي، لكن عندما عرض في بعض المهرجانات العالمية، خاصة مهرجان "كان" تم حذفها وشاهده الناس عملًا غير غنائي بالمرة، إذن فهو فيلم غنائي لمن شاهده هنا في الوطن العربي وهو فيلم لا يحمل سمة الغنائية، بالنسبة لمن رأوه في مهرجان "كان" على سبيل المثال .

وتتباين درجات الأغنية داخل نفس الفيلم، أو بين الأفلام وبعضها فقد يقف الحبيب يناجي فتاته التي يحبها، أو هجرته، قد يحدث هذا في حجرة مغلقة، مثلما غنى عبد الحليم حافظ "أول مرة" في "الوسادة الخالية" أو "جواب" في "البنات والصيف"، وقد يقف أمام أفق متسع يناجي هذه الحبيبة التي ابتعدت عنه وفارقته، وسببت له الآلام والمتاعب مثلما فعل نفس المطرب في أفلام "أبي فوق الشجرة" أغنية (أحضان الحبايب) و"البنات والصيف" أغنية (راح) ، و"حكاية حب" أغنية (في يوم في شهر في سنة).

وهذا النوع من الغناء فردي، أي أن المطرب يغنيه وحده بدون مصاحبة طرف آخر، وفي الكثيرمن الأفلام تأتي الموسيقى من الخلف، باعتبار أن الأغنية

هنا حالة فردية خاصة فقط بالشخص الذي يردد الكلمات على موسيقى معدة سلفا من الخارج، وهناك أشكال عديدة للأغنية الفردية، فقد يرددها الشخص أمام شخص آخر، مثلما فعل فريد الأطرش عندما غنى "ياما جوه الدولاب مظاليم" في فيلم "عايزه أتجوز" عندما هدده عبد السلام النابلسي بالمسدس حين اكتشف وجوده في دولاب حبيبته، وقد يتطور الأمر ويغني المطرب أغنيته أمام حشد من الناس، مثلما فعل عبد الحليم حافظ مرتين في فيلم "شارع الحب" عندما غنى "الليالي" ، و"نعم يا حبيبي نعم" .

وهناك نوع آخر من الغناء السينمائي هو الثنائي أو "الدويتو" ، كأن يتبادل طرفان الحوار الغنائي، وهو منتشر في السينما ومن أشهرها ما غناه إسماعيل يس وسعاد مكاوي في "البطل" تحت عنوان "أنا ح أروح" .

كما أن "الدويتو" قد يحتاج إلى مطربين يتبادل كل منهما غناء كوبليه لكن النوع الشائع هو تبادل الحوار بالأسلوب الغنائي، مثلما فعل عبد الوهاب كثيرا مع بطلاته في "حكيم عيون" و"إتأخرت ليه" .

والاسكتش يتم دائما في إطار جماعي، وقد يكون ثلاثة أشخاص أو أكثر، وغالبًا ما يتم بشكل استعراضي راقص، مثلما حدث في فيلم "خد الجميل" بين عبد العزيز محمود وشكوكو وسامية جمال، فالثلاثة في اسكتش "حكيم عيون" قد تبادلوا الغناء، حتى سامية جمال التي رقصت فإنها فعلت ذلك وهي تغني .

وقد يتطور الأمر إلى استعراض جماعي ضخم، يغني فيه أكثر من شخص، ويرقصون من خلال تصميم رقصات ومشاهد متعددة ، متلاحقة وتنوع الألحان، وقد حفلت السينما المصرية لبعض الوقت بهذا النوع من الاستعراضات الضخمة، من أبرزها استعراض "البلياتشو" في فيلم "دهب" بين إسماعيل يس، وأنور وجدي وفيروز، ومن حولهم مجموعات كبيرة من الراقصين والراقصات،، ويتم ذلك كله في صالة استعراضية ضخمة بنيت فيها

الديكورات وتنوعت من فقرة لأخرى، كما أن ذلك تكرر في أفلام عديدة منها ما قدم في الحفل الضخم الذي حدث في فيلم "قلبي دليلي" ، ومنها أيضًا ما رأيناه في أفلام قامت ببطولتها نعيمة عاكف، مثل "لهاليبو" و"مليون جنيه" و"يا حلاوة الحب" ، وهو الفيلم الذي شاركت فيه محمد فوزي الغناء.

إذن فالسمة الأولى والبارزة للفيلم الغنائي أن يكون هناك غناء، بصرف النظر عن درجاته وبالتالي فإن كافة المصطلحات التي يمكن أن تتواجد حول هذا الإطار تصبح صالحة للاندماج فيه، منها الكوميديا الموسيقية والفيلم الاستعراضي ، والفيلم الموسيقي ، وغيرها .

أما السمة الثانية فهي موضوع الفيلم نفسه، فأغلب هذه الأفلام مصنوعة للبهجة أكثر مما هي مصنوعة لإثارة الشجن لدى الناس، ولذا فإن الكثير من الأفلام الغنائية ممزوجة بالكوميديا أي أنه يجب أن تكون هناك مواقف مضحكة، وكثيرًا ما تكون الأغنيات نفسها مضحكة، وفي السينما المصرية فإن أغلب هذه الأفلام قد تواجد فيها أبطال الكوميديا المعروفين، وفي مقدمتهم إسماعيل يس وسعاد مكاوي، وحسن فايق والقصري وزينات صدقي، وعبد المنعم إبراهيم وعبد السلام النابلسي، وقد تطور شكل الغناء في هذه الأفلام بأن رأينا نجوم الكوميديا هؤلاء، من غير المطربين يغنون من وقت لآخر في الأفلام، لذا ازدهرت الكوميديا الموسيقية والكوميديا الغنائية، وعرفت السينما في مصر مطربين يتسمون بحيوية واضحة في الإضحاك وكانوا مضحكين من الطراز الأول، ومنهم محمد فوزي وشادية وفريد الأطرش وعبد الحليم حافظ .

وكم غلفت الأفلام الغنائية بأجواء كوميدية مثل "شارع الحب" و"إنت حبيبي" و"خطف مراتي" و"بنات حواء" و"رصاصة في القلب" وغيرها.

لكن هذا لا يمنع أن تغلف في أحيان أخرى بأجواء ميلودرامية، ثم مأساوية وإذا توقفنا عند فيلم "الخطايا" لحسن الإمام كعمل غنائي ناجح، فإنه لابد من أجواء مبهجة ومثيرة للضحك والإشراق بين الطالب "حسين" وزميلته في الجامعة، وانعكس ذلك في الانتخابات والرحلات الجامعية قبل أن تدخل أحداث الفيلم إلى أجوائها الحزينة .

وبشكل عام فإن الكوميديا موجودة في الأفلام الغنائية بشكل مكثف، وقد ساعد ذلك على زيادة شعبيتها ونجاحها، وقد ساعد على ذلك وجود مجموعة متميزة من كتاب السيناريو والحوار، ألف الكثير منهم أغنيات الأفلام، وكان صعود وهبوط قيمة هذه الأفلام مرتبطين بوجود هذه الأسماء على الساحة، وفي مقدمتهم أبو السعود الإبياري وبديع خيري وعلي الزرقاني، ومن كتاب الأغنيات الخفيفة كان هناك فتحي قورة في المقام الأول .

والسينما الغنائية مدينة لهذه الأسماء ككتاب، فهم الذين ضخوا الدم الفكاهي فيها، ولو راجعت كلمات الأغنيات والاسكتشات التي كتبها أبو السعود الإبياري على سبيل المثال، فسوف تجد نفسك في حالة دهشة من الصياغة العبقرية، ليس فقط فيما يتعلق بالأغنية الفردية، ولكن أيضًا في الحوار الغنائي وغيره .

وعلى جانب آخر فإن الأغنيات الحزينة أو أغنيات الألم واللوعة والفراق كانت موجودة بدرجات أقل في الكثير من الأفلام، ولكنها لم تملأ أحداث كل الأفلام فعادة ما يبدأ الفيلم بأغاني بهجة، وتبعًا للأحداث فإن الفرحة تتلاشى ويجيء وقت الغدر أو الفراق والنكايات، ولابد للمغني أن يتألم بأغنياته، والغريب أن الكثير من هذه الأغنيات كانت تعتبر بمثابة وقت ضائع في الأفلام، ومنها على سبيل المثال أغنية "إيه ذنبي إيه" في فيلم "أيام وليالي" وأغنية "بيني وبينك إيه" في فيلم "موعد غرام" وقد أحب الناس بعض

مطربيهم بدرجات أكثر عندما غنوا للأحزان وخاصة فريد الأطرش، وفي الوقت الذي تختفي فيه هذه الأغنيات في الأفلام الكوميدية مثل "أحبك إنت" و"عايزه أتجوز" و"الزوجة السابعة" ، فإنه في أفلام أخرى قد نجد أكثر من أغنيتين، وهذه من الحالات النادرة، مثلما حدث في أفلام من طراز "قصة حبي" و"رسالة غرام" و"من أجل حبي" و"عهد الهوى" ، وكلها تعتمد في قصصها على مآسي مثل موت البطلة أو فراقها، أو إصابتها بمرض، وقد غنى عبد الوهاب في فيلم "دموع الحب" للحبيبة الميتة أغنية "أيها الراقدون تحت التراب" كما غنى لفيف من الأغنيات البكائية في فيلمه "الوردة البيضاء" الذي لم ينل حبيبته في نهايته وتركها تتزوج من رجل آخر، واكتفى بالغناء "ضحيت غرامي".

والملاحظ أن الأفلام التي قام ببطولتها محمد فوزي قد خلت تقريبًا من هذا النوع من الغناء الحزين، فهي أفلام غنائية خفيفة، ولو راجعنا أفلامه وعلى رأسها "فاطمة وماريكا وراشيل" و"بنات حواء" و"من أين لك هذا" فسوف نجد أنها كلها تتضمن أغنيات مليئة بالبهجة ، وفي أفلام عبد الحليم حافظ، كان هناك توازن حيث تبدأ الأحداث بأغنيات خفيفة، ومع تصاعد الميلودراما تجد الأغنية الحزينة مكانها في الفيلم، وعلى سبيل المثال ففي فيلم "يوم من عمري" فإن أغنيات من طراز "خايف مرة أحب" و"ضحك ولعب وجد وحب" تبدو خفيفة، أما "بأمر الحب" فهي أغنية اعتراف وينتهي الفيلم بأغنية يستعيد فيها صلاح كل ذكرياته مع نابي مردداً: "بعد إيه أبكي عليه وأشتاق إليه" .

وهناك أفلام قليلة لعبد الحليم حافظ اختلت فيها المعادلة مثل "معبودة الجماهير" فمع تصاعد قصة الحب والأمل، يغني "أحبك" وهو يركب دراجة، ثم يغني مع حبيبته سهير "حاجة غريبة" عقب الاعتراف بالحب يتجولان في

الحدائق ويتطلعان إلى نجوم الليل اللامعة في السماء، وما أن يبدأ الحب في الانهيار، حتى تتحول كل أغنيات الفيلم الباقية إلى دموع حزينة منها "جبار" و"لست قلبي" و"بلاش عتاب".

وهذا النوع من الأغنيات مطلوب باعتبار أنه يسد لدى المستمع والمتفرج فراغًا يعانيه من فشل أحيانا في قصص الحب، ومن هنا يأتي الاندماج بين المطرب والجمهور حيث يحس المرء أن المطرب هو لسان حاله، يتألم له ونيابة عنه وكأنه يحس به، يتغنى عن همومه ويبلغه أنا أيضا أتألم وأعاني مثلك، بل إن حالي أشد من حالك .

الغناء في السينما المصرية ظاهرة رجولية ذكرية أكثر منها ظاهرة أنثوية فبرغم ذلك العدد الكبير من المطربات اللاتي عملن في السينما فإن الظاهر هو سيادة نجومية المطرب، ورغم وجود أم كلثوم في نفس العصر الذي عمل فيه عبد الوهاب، فإن أفلام هذا الأخير كانت تحقق النجاح أكثر، أما شادية فقد ظلت تؤدي الأدوار الثانية في أفلام كثيرة إلى أن انفردت وحدها بالبطولة، وما أن حدث ذلك حتى عملت لسنوات قليلة في الغناء السينمائي ثم قررت أن تصبح ممثلة دون أن تغني، صحيح أن هناك حالات استثنائية مثل ليلى مراد، وصباح، ولكننا نقصد هذا الكم والعدد الهائل الذي عمل في هذا النوع من الأفلام .

وقد كانت هناك عادة مألوفة بالنسبة للمطربات، أن أسماءهن كانت تسبق أسماء زملائهن من الرجال حين لا يكونوا من المطربين ، مثلًا اسم شادية أو صباح كان يسبق عادة شكري سرحان أو رشدي أباظة أو أحمد مظهر باعتبار أن مساحة ظهور أي مطربة على الشاشة زمنيًا لابد أن يكون أكثر من زميلها، فلو قلنا أن صباح غنت خمس أغنيات في فيلم "وكر الملذات" لحسن الإمام **1957**م فإنها ستظهر في الفيلم على الأقل **25** دقيقة تغني فيها

وبالفعل فإن شكري سرحان في هذا الفيلم وفي أفلام أخرى عديدة كان بمثابة البطل الثاني أمام مساحة الدور الممنوح للممثلة، وقد حدث هذا كثيرًا في أفلام عديدة لشكري سرحان مثلًا منها "إغراء" أمام صباح و"الهاوية" و"موعد مع الحياة" أمام شادية .

أما عندما تكون هناك مطربة أمام مطرب فإن المطرب هو الذي يسبق باعتبار أن النجومية له في المقام الأول، ولو توقفنا عند صباح مثلا باعتبار بروزها وعملها الدؤوب في السينما الغنائية، فقد جاء اسمها دوما بعد فريد الأطرش في "بلبل أفندي" و"لحن حبي" و"إزاي أنساك" كما حدث ذلك مع محمد فوزي في "الآنسة ماما" وغيرها، وتكرر نفس الأمر بالنسبة لشادية .

وقد لمعت نجومية المطربين عن المطربات في السينما الغنائية، من خلال أسماء من طراز محمد عبد الوهاب وعبد الحليم حافظ وفريد الأطرش ومحمد فوزي .

كما ساعدت السينما الاستعراضية على زيادة الإقبال على الأفلام الغنائية وقد كان هناك جيلًا كبيرًا من المخرجين متحمس لهذا النوع من الأفلام برعوا فيه وظلوا أسرى له، وهو أثمر جيلًا رائعًا لا يحاول بالمرة الخروج عن ناموسه، وارتبط ازدهار السينما الغنائية والاستعراضية بوجودهم، يكتشفون المواهب الجديدة ولديهم أنوف بالغة الحساسية في التعرف على أماكنها، ثم تقديمهم إلى الناس بالشكل الذي سيحقق نجومية وإيرادات عالية، وقد كان حلمي رفلة هو الأكثر أهمية في هذا المضمار ليس فقط لأنه المنتج والمخرج، بل أيضا لأنه نوع في اكتشاف نجوم ونجمات الغناء، فإذا كان حسين فوزي قد حصر عمله في حدود أسماء قليلة من طراز صباح ونعيمة عاكف، فإن حلمي رفلة قدم العشرات من المطربات والمطربين في خطواتهم

الأولى، من شادية إلى إسماعيل يس وعبد الحليم حافظ ومحرم فؤاد وهدى سلطان ورياض السنباطي وأيضًا صباح وغيرها .

أما عباس كامل فإنه قدم لهذه السينما كل من عبد العزيز محمود وكارم محمود بالإضافة إلى نجاح سلام وزوجته سعاد مكاوي التي عملت معه تقريبا في أغلب أفلامه وكانت القاسم المشترك فيها، وبرغم أنها لم تحصل قط على دور البطولة المطلقة، فإنها كانت موجودة بدرجات مختلفة في أعمال زوجها .

وهناك أسماء أخرى برعت في تقديم الفيلم الغنائي والاستعراضي، فقد ارتبط اسم محمد كريم بعبد الوهاب وارتبط اسم بدرخان بأغلب أفلام أم كلثوم وفريد الأطرش، ثم قدم نجاة الصغيرة .

أما بركات فعمل بين فريد الأطرش وليلى مراد، وعبد الحليم حافظ وشادية، وانتقل نيازي مصطفى بين أكثر من مطرب وكانت أفلامه محطات مهمة يمكن الوقوف عندها مثل "مصنع الزوجات" عام **1942**م، و"بنات حواء" عام **1954**م.

وكما أشرنا فإنه بابتعاد هذه الأسماء عن الساحة لأسباب متعددة، قد جعل السينما الغنائية تنحصر، ببساطة لأنهم كانوا قادرين على اكتشاف المواهب الجديدة وتقديمها إلى الناس في أحسن صورها، أما الجيل التالي فكان منشغلًا أكثر بأفلام الحركة، ومنه على سبيل المثال حسام الدين مصطفى وفي مرحلة مقاربة اتجهت السينما إلى الأدب حيث الحواري والمناطق الشعبية، ولم يكن من الممكن أن تطعم أفلام من طراز "بداية ونهاية" و"دعاء الكروان" و"الطريق" و"اللص والكلاب" و"يوميات نائب في الأرياف" بأي نوع من الأغنيات .

السمة الأكثر أهمية في هذا النوع من الأفلام هو نوع القصة، فأسباب الغناء تتعدد في حياة الإنسان لكنها تتقارب، فقد يكون الغناء حالة هروبية أو

اندماجية أو تجسيد لشجن، ولذا فإن قصص الأفلام التي بها أغنيات من المفضل أن تكون بسيطة سطحية خالية من تعقيدات الحياة ومن وحدة المآسي الحادة، وأيضًا خالية من الميلودراما ، وأبطال هذه القصص يجب أن يتسموا ببساطة واضحة وسمو في المشاعر، ولذا فإن هناك مشكلة ما وعقدة لكنها سهلة الحل، فما أسهل ان تشعر الحبيبة بالغيرة من فتاة تسكن في بيت الحبيب، مثلما حدث في فيلم "يحيا الحب" لمحمد كريم حين تظن أن حبيبها يخونها فإذا بالفتاة أخته، وبالتالي فما أصعب هذه المشكلة عليها وما أسهل حلها كي يصفو الجو فيما بعد .

وإذا كان هذا قد حدث في فيلم تم إنتاجه في بداية السينما الغنائية فإن فيلمًا من طراز "معبودة الجماهير" أو "شارع الحب" أو "يوم من عمري" لا تعدو فيه أن تكون المشكلة أكثر اتساعا من ذلك، فالمشكلة هنا هي وشاية تافهة من طرف يريد أن يفرق بين الحبيبين، ومن الواجب أن يعرف المتفرج هذه الوشاية ويعرف أطرافها وينتظر أن يتم الكشف عنها، وفي "يوم من عمري" لم تكن هناك وشاية بل كان على الحبيبة أن تعود إلى بيت أبيها وهي التي هربت منه، وعليها بعد أحداث قليلة أن تعود إلى حبيبها .

وقمة مآسي الحب هو الفراق، وأن يكون هناك رجل آخر يسلب الفتاة من حبيبها فيذهب ليغني على أطلال الحب، ومثل هذه الأغنيات تصنع شجنًا رائعًا في أفلام من طراز "قصة حبي" الذي غنى فيه فريد الأطرش "قدام عينيه وبعيد عليا – مقسوم لغيري وهو لي" ثم "سألني الليل بتسهر ليه .. مدام قلبك صبح خالي" .

وعندما تعددت قصص الأفلام الغنائية فقدت بريقها، كأن نري المطرب يقوم بدور ضابط شرطة أو يمارس الحركة والعنف، ولذا فإن أبطال هذه القصص الغنائية يجب أن يكونوا من الطلاب والموظفين الصغار، وغالبا ما

يكونوا من الطبقة المتوسطة مثل الشخصيات التي جسدها عبد الحليم حافظ، أو أن يكونوا من أبناء الأسر الموسرة، مثل الشخصيات التي جسدها عبد الوهاب أو هم فنانون مبتدءون فقراء لكنهم على ثقافة خاصة عليهم صعود سلم المجد، مثل الشخصيات التي جسدها فريد الأطرش ومحمد فوزي .

كما امتلأت السينما بقصص بسيطة عن أبناء الحرف الشعبية، كالمكوجي والنجار وسائقي سيارات الأجرة، وقد لمع في هذا النوع من الأفلام محمد الكحلاوي وعبد العزيز محمود، وكارم محمود ومحمد رشدي وغيرهم .

ولاشك أن هناك سمات عديدة تجمع بين الأفلام الغنائية، حاولنا هنا أن نوجزها، وسوف نجدها في ثنايا دراستنا للسينما الغنائية .

الفصل الثاني
محمد عبد الوهاب

نعم لقد نطقت السينما المصرية خصيصًا لكي تغني على حنجرة محمد عبد الوهاب، وكل المطربين الذين ينتمون إلى عصره، والذين جاءوا بعده ثم الذين سيأتون من بعدنا .

وقد صنع عبد الوهاب وأقرانه من السينما كائنًا مغنيًا صداحًا في المقام الأول، وظلت السينما طوال ربع قرن على الأقل تغني بشكل مكثف وترقص وتقدم استعراضاتها طربًا وابتهاجًا معبرة عن سعادتها بالنطق .

وقد كان من حسن حظ السينما الناطقة ثم الغنائية، أنها جاءت في فترة حظي فيها عبد الوهاب بهذه النجومية الخارقة، فتم استقبال فيلم "الوردة البيضاء" لمحمد كريم 1933م بمثل هذا النجاح الغير مسبوق والمنقطع النظير في السينما، إنه نجاح حدثتني عنه أمي التي عاشت في هذه السنوات بكل إبهار وإعزاز، وهي سيدة أمية لم تتلق أي تعليم سوى قيامها بالتوقيع عندما صارت أمًا لخمسة أشخاص، قالت إن ظاهرة ما ولدت في المجتمع المصري آنذاك، فكل شيء صار ورديًا، حتى أثاث البيوت صار منقوشًا بالورد، وملابس النساء، والورود المهداة للعشاق . ولم تكن أغنيات عبد الوهاب تتوقف عن البث، خاصة تلك التي أنشدها في الفيلم .

ونحن نتوقف عند هذه الظاهرة، لأننا لو تصورنا الفيلم بدون عبد الوهاب وأغنياته فسنجده حالة من الكآبة بلا معني خالية الروح، ولذا فإنه كما كتب بعض النقاد، أننا أمام أغنيات لعبد الوهاب تم حشدها كي تناسبها قصة حب يائسة .

وقبل أن نتحدث عن الفيلم، فإن أفلام عبد الوهاب السبعة تنتمي إلى سينما محمد كريم، في المقام الأول، ولذا فإنها أعمال ذوات أسلوب واحد متقارب، فنحن أمام مطرب له شعبيته الأولى ومحبوب في البلاد، ولذا فإن القصة تأتي من أجل أن تلائمه، والسمة الدائمة لنجم من هذا الطراز إنه لابد للناس أن تراه حاضرا على الشاشة يغني لها وسط الجناين والحقول . يأمل ويتأمل ويتألم، وذلك كله في إطار من الغناء .

وأفلام محمد عبد الوهاب السبعة مع كريم هي : "الوردة البيضاء" 1933م "دموع الحب" 1935م ، "يحيا الحب" 1938م ، "يوم سعيد" 1940م ، "ممنوع الحب" 1942م ، "رصاصة في القلب" 1944م ، ثم "لست ملاكًا" 1946م . وهناك فيلمان غنى عبد الوهاب في ختام كل منهما، وظهر باسمه كمطرب مشهور ، يغني مرة في بيت صديقه يوسف وهبي وذلك في فيلم "غزل البنات" لأنور وجدي 1949م ، ثم "منتهي الفرح" لمحمد سالم عام 1963م . ويمكن لنا أن نتحدث عن عبد الوهاب كملحن أثري أغلب تاريخ السينما المصرية بالأغنيات التي شدا بها عشرات المطربين والمطربات، لكن ما يهمنا في المقام الأول هو الوقوف عند الغناء في الأفلام التي مثلها، باعتبار أننا نتوقف عند أغنيات لحنها لدى كل مطرب أو مطربة، قام عبد الوهاب بتلحين أعماله .

وبالنظر إلى الغناء في فيلم "الوردة البيضاء" فهو غنوة متواصلة ما يكاد المطرب ينتهي من أغنية حتى يشدو بأخرى، سواء بشكل متواصل أو قد تتخلل المسافة بين الأغنيتين جمل حوارية قصيرة تعبر عن حب يائس بين فتي فقير وفتاة من أسرة غنية، وعليه في النهاية التضحية من أجل سعادتها، وقد انسكب كل هذا اليأس في كلمات الأغنيات .

وعلى سبيل المثال فإن جلال أفندي العاشق يغني "جفنه علم الغزل" لبشارة الخوري، في أحد المشاهد وما أن ينتهي منها حتى يغني أغنية أخرى هي "ناداني قلبي إليك" لأحمد رامي .. وقد احتشد الفيلم بعدد كبير من الأغنيات، شدا بها عبد الوهاب وسط الطبيعة هي "يا وردة الحب الصافي ... تسلم إيدين اللي سقاكي" ، ثم "ياللي شجاك الأنين" و"ضحيت غرامي" و"يا لوعتي يا شقايا" وهي كلها من تأليف أحمد رامي وأغنية "النيل نجاشي" لأحمد شوقي ، ثم "سبع سواقي بتنعي" .

وهذه الأغنيات الثمانية الطويلة تملأ الفيلم، ولاشك أن الناس قد ذهبت لمشاهدة عبد الوهاب وسماعه في صالة رخيصة الثمن، قياسًا إلى أسعار الحفلات، فالناس تود رؤية مطربها المفضل قبل بداية زمن الراديو، لذا فقد كان كل هم المخرج هو أن يقوم بتوصيل أكبر عدد من أغنيات عبد الوهاب إلى الناس، وقد تلاقي فكر المخرج والمطرب في هذا الشأن فانتقل إلى أكثر من فيلم حتى وإن لم تكن حدوتة الفيلم تناسب هذا الأمر.

وقد اتفق النقاد حول هذه النقطة، فكتب علي أبو شادي في مقال له نشرته مجلة "فن" حول الفيلم قائلا : "فلم تكن أحداث الفيلم سوى ذرائع للغناء – بسبب أو بلا سبب – فأغنيته الأولى في الفيلم، وفي السينما عمومًا كانت "يا وردة الحب الصافي" وكأن الفيلم قد اختلق مناسبة إهداء رجاء وردة بيضاء لجلال حين ساعدها في العثور على إحدي حبات عقدها المنفرط في الحديقة ، فما كان من بطلنا إلا أن ذهب إلى منزله وجلس يتأمل الوردة البيضاء، وحلا له أن يحدثها ويغني لها "يا وردة الحب الصافي" على الرغم من أن الموقف لم يكن به حب ولا غيره حتى في ذلك الوقت" .

وباعتبار أن السينما الغنائية كانت في بدايتها وأن "الوردة البيضاء" هو أول أفلام هذه السينما، فإن كريم كان له رؤية خاصة به، فالمغني يشدو بأغنيته

وحده، وهو هنا دون جوقة أو كورس يرد عليه وهو موجود في غرفته، فالأغنية حالة فردية، أو موجود في الطبيعة وتظل الأغنية أيضًا حالة فردية، وجلال هنا موظف، لا يحلم مثل مطربين كثيرين سيأتون بعده أن يحقق المجد والشهرة، والغريب أن عبد الوهاب في مجموع أفلامه لم يلعب دور المطرب الشاب الفقير الذي يحاول أن يجد لنفسه فرصة النجاح والشهرة، بل كانت الشخصيات التي يجسدها لموظف فقير أو على قد الحال وقد يعمل أحيانًا في وظيفة مرموقة وينتمي لأسرة ثرية، في أغلب الأحوال هو شخص جنتلمان خفيف الظل حاضر البديهة، وقد دفع جلال ثمن هذا الفارق الاجتماعي في فيلم "الوردة البيضاء" فضحي بحبه من أجل حبيبته، ومن أغنيات الفيلم "سبع سواقي" و"جفنه علم الغزال" "ناداني قلبي إليك" و "يا لوعتي يا شقايا" و "النيل نجاشي" و "ياللي شجاك الأنين" ثم "ضحيت غرامي" .

أما تجربة عبد الوهاب التالية فقد كتبها محمد كريم عن رواية "ماجدولين" التي ترجمها المنفلوطي تحت اسم "تحت ظلال الزيزفون" لألفونس كار . وكتب الحوار عبد الوارث عسر، وفي هذا الفيلم بدت شخصيته ككافة ملامح شخصيات عبد الوهاب في السينما، فهو شاب فقير، لكنه ليس بعيدا عن عالم الأثرياء، كما أن اسمه محمد وهو يغني لنفسه كلما شاء، أو كلما دفعته الظروف لذلك، وهو يسكن في غرفة بمنزل أحد الأثرياء، وتنمو قصة حب بينه وبين ابنة هذا الثري، ويتفقان على الزواج يعين مدرس ثم تجيئه ثروة مفاجئة حين يموت عمه دسوقي، ويبدأ الاستعداد لإتمام الزواج إلا إنه يصدم حين يعرف أن صديقه الذي يقصده ويتصوره وفيًا قد خطبها ولأن هذا الصديق من الأثرياء، فإن محمد يترك الأمر ويقرر السفر كي يعمل مطربًا في مسارح الشام، وعندما يعود إلى مصر يعرف أن زوج حبيبته قد بدد أمواله على موائد القمار، مما دفعه للانتحار أما نوال نفسها فإنها تعيش في ظروف

نفسية سيئة للغاية، خاصة بعد أن مات أبوها وعندما تطلب منه أن يسامحها يتردد، وتقرر أن تنتحر بإلقاء نفسها في البحر .

وكما نري فإن هذه هي المرة الثانية التي تحرم فيها الشخصية التي يجسدها عبد الوهاب سينمائيًا من حبيبته، ومن الواضح أن هذه التجربة قد أعجبت محمد كريم بعد نجاح "الوردة البيضاء" فسعي إلى تكرارها حيث إن موت الحبيبة أو العيش على الذكرى يجعل الناس أكثر تعاطفًا مع بطلها الحزين النبيل فهو يردد في نهاية الفيلم : "كنت خايف أموتها من الفرح .. موتتني من الغم .. أنا باحلم" .

وفي هذا الفيلم أيضًا بدأت سمة جديدة في أفلام عبد الوهاب، فرغم نجوميته، ووجوده في أغلب حوارات الفيلم أمام المشاهد، فإن عليه الاستعانة بمطربات ليعملن أمامه وقد وقفت نجاة علي هنا أمامه وهي واحدة من أشهر المطربات في تلك الآونة، ثم مع ليلى مراد، ورجاء عبده ودفع براقية إبراهيم إلى الغناء أمامه في "رصاصة في القلب" عام **1944**م ، كما وقفت أمامه أيضًا تغني المطربة نور الهدى .. ومن أغنيات فيلم "دموع الحب" "تحية العلم" و "ما أحلي الحبيب" و "سهرت منه الليالي" و "يا ما بنيت قصر الأماني" و "صعبت عليك"و"في البر لم فتكم" ثم "أيها الراقدون تحت التراب" .

وقد عاد نفس الموظف العاشق للظهور من جديد في فيلم "يحيا الحب" عام **1938**م ، وهو فيلم بسيط يقوم في المقام الأول على قصة حب بلا مشاكل حقيقية، فكل ما يثير المتاعب بين الحبيبين هو الغيرة التي تتولد في قلب الفتاة عندما تري فتاة أخرى في شقة محمد، ثم تكتشف بعد ذلك أنها أخته كي تصفو الأمور بعد ذلك .

وفي هذا الفيلم مثلا لم يستأثر عبد الوهاب بكل القصة، فنحن نري جانبًا آخر بالغ الجاذبية منها ما يتمثل في موقف الفتاة من خطيبها أستاذ علم

الحشرات، فكلا الطرفين في وادٍ مختلف عن الآخر، هو يعشق الحشرات وهي تفضل الموسيقى .. "أنا صحيح ودني ما بترتاحش للمزيكا لكن الحشرات اللي بدرسها كثيرا ما نحتال على ترويضها بأنغام الموسيقى" وهناك مشاهد طويلة بين الاثنين تعبر عن المسافة النفسية والمزاجية الشاسعة التي تفصل بينهما، مما يوحي أنها سوف تشكل إيقاعًا متناغمًا مع الموظف محمد فتحي، وهذا الأفندي شاب أنيق، يرتدي ملابسه العصرية . الطربوش ونظارة طبية، وهو يتعامل مع الآخرين بطريقة أنيقة .

ورغم أن محمد فتحي موظف فإنه يعيش حياته، فلا مانع من أن يدفع ثلث مرتبه إيجارًا للشقة التي يسكنها، وعندما تضيق به السبل يؤجر شقة أخرى أقل قليلا من حيث الأجرة .. وفي الشقة سوف يتعرف على حبيبته لأول مرة حيث سيتصور أنها هي التي تقذف نافذته بالطوب، وفي الحقيقة فإن هناك جارة أخرى مهووسة هي التي تفعل ذلك .. فتدور مواجهة بينهما، ثم يكتشف أن مديره في البنك خالها، وعندما تأتي الفتاة لزيارة الخال تحدث مواجهة ثانية مما يدفعها إلى أن تطلب من الخال نقله إلى بني سويف .

والفيلم يقوم على أساس أن الحب يأتي أحيانا بعد الخصومة، مما يدفع محمد إلى أن يتتبع الفتاة والتي تسافر للإسكندرية، ويركب القطار كي يغني لها "يا وابور قوللي رايح على فين" وفي الإسكندرية يتبعها في التاكسي إلى قصر فخم يمتلكه أبوها .

وقد تبادل الاثنان الغناء إما بشكل فردي لكل منهما، أو بقيامهما بالغناء معًا فقد وقفت ليلى مراد على شاطيء الإسكندرية لتغني :

يا ما رق النسيم لما يداعب خيالي
خلاني وحدي أهيم وأسبح في وادي آمالي
الجو رايق وصافي والبحر موجه موافي

أما محمد أفندي فقد غنى أغنية :

أحب عيشة الحرية	زي الطيور فوق الأغصان
مادام حبايبي حواليا	كل البلاد عندي أوطان

والفيلم لا يريد أن يجعل من بطله فقيرًا نقيًا حيث نعرف أن أباه رجل ميسور جاء ليعرض عليه المال باعتباره من أثرياء الريف، لكن محمد أفندي يود الاعتماد على نفسه، وقد كتب سامي السلاموني عن هذا الفيلم في مجلة "فن" اللبنانية – ديسمبر **1988**م أنه "في الفيلم المصري لا يمكن أن تمضي قصص الحب ببساطة دون افتعال مآسي ومشاكل لكي يتعذب الجميع وليطول زمن الفيلم، لتصبح هناك فرصة للشكوي ومزيد من الأغاني الباكية"
.

"فنحن نكتشف فجأة أن عبد الوهاب له شقيقة هي زوزو ماضي التي جاءت تزوره، فتراها ليلى مراد وتظنها عشيقته .. فتبكي .. ثم في حفل فخم في أحد قصور جاردن سيتي تتعمد تجاهله، والإقبال على خطيبها السابق مجاهد بك أستاذ الحشرات لكي يغني عبد الوهاب حزينًا:

عندما يأتي المساء	ونجوم الليل تنثر
أسألوا الليل عن نجمي	متي نجمي يظهر

ولكن أغنية واحدة في موقع كهذا لا تكفي بالطبع، ولذلك فهو وتحت ضغط من الحسناوات يغني مرة أخرى :

يا دنيا يا غرامي	يا دمعي يا ابتسامي
مهما كانت آلامي	قلبي يحبك يا دنيا
الظلم ده كان ليه	هو أنت ذنبك إيه

ومن الأغنيات الثنائية التي غناها الاثنان معاً هناك "يا دي النعيم" حيث يعبر الحبيبان عن سعادتهما بزوال سوء التفاهم، ويشتركان معا في ترديد كلمات الأغنية:

عبد الوهاب :

يا دي النعيم اللي أنت فيه يا قلبي من بعد العذاب
كان لك حبيب تشتاق إليه وارتد لك بعد الغياب

ليلى :

كانت سحابة وراق الكون من بعد ما حجبك عني
وكان خيالي كله ظنون في اللي بدا لعينك مني

ولعل الفيلم الوحيد الذي قام فيه عبد الوهاب بدور موسيقي شاب سيبزغ نجمه في عالم الغناء هو "يوم سعيد" عام**1940**م ، والذي كتبه المخرج محمد كريم، واشترك عبد الوارث عسر في كتابة الحوار مع المخرج، وهذا الموسيقى يعيش أيضًا في عالم بسيط، وهو شخص محتاج لأن يُعرف لكنه لا يتورع عن الوقوف بجانب الفقراء والضعفاء، ويصادفه سوء الحظ فيتوقف عن العمل، ويلتقي مع فتاة فيقع في غرامها ويتعاهدان على الحب، يطلب منها أن تزوره في مترله من أجل أن يسمعها أحد ألحانه، لكن هذه الزيارة لا تعجب صاحب البيت، رغم أن الأمر يتم بشكل عائلي، وهناك أسرة أخرى تتكون من أم أنيسة وابنتها الصغري، اللتين تباركان العلاقة فعن طريق أصحاب البيت تعرف على هذه الفتاة، لكن والدها يعترض على هذه العلاقة مستندًا إلى فقر هذا المطرب وفشله، وتحاول الفتاة مع أبيها الذي يوافق على مقابلته، ولكن تصادف أن يكون يوم المقابلة هو يوم احتفال عند الهانم التي يعمل

عندها الأب، فيحاول الاعتذار عن الحفل للقاء خطيب ابنته وتقترح عليه الهانم أن يصطحب ابنته وخطيبها إلى الحفل مما يطرح له فرصة للغناء، تعجب به هذه السيدة الثرية وتحاول إثناء الوالد عن الخطبة لأن هذا الشاب لا يصلح لابنته، بل تحاول الوقيعة بين الحبيبين، وفي نفس الوقت تحاول استمالته وإغراءه بالمجد والشهرة إذا وافق أن يكون لها، ولكنه يرفض، فتعرض عليه الغناء في حفلتها بالعزبة، ويسافر إلى هناك ويكتشف أنها تدبر له مكيدة تكبله فيها بالزواج، فيهرب منها ويعود إلى محبوبته في المدينة .

وكما نري فإن قصص هذا النوع من الأفلام تتسم بالبساطة، ودون تعقيدات وتكاد تكون متشابهة في مضمونها العام ونهاياتها، وذلك من أجل إتاحة أكبر فرصة للأغنيات، ولم تكن سميحة سميح هنا بالمطربة، فترك عبد الوهاب لنفسه العنان لكي يغني لها، بل إن محمد كريم أدخل أوبريت مجنون ليلى بصوته مع أسمهان، وتمثيل أحمد علام كي يضمن لهذا الأوبريت أن يصور سينمائيًا .

ومن أغنيات الفيلم "طول عمري عايش لوحدي" و "إيه انكتب لي يا روحي" و"يا ورد مين يشتريك" و"محلاها عيشة الفلاح" و "يا ناسية وعدك" و"الصبا والجمال" و"اجري اجري" .

وفي عام **1942**م عاد عبد الوهاب من جديد ليمثل أمام مطربة في فيلم "ممنوع الحب" المأخوذ عن "روميو وجولييت" مع المزيد من التمصير والتصرف، فقد كان على الحبيبين اللذين ينتميان إلى عائلتين متناحرتين أن يتزوجا، وأن يقوم كل طرف بمحاولة إيهام عائلته أنه ينتقم من الطرف الآخر أي إنه ينتقم من ابنه أو ابنته بالزواج، فالفتاة فكرية تقنع أسرتها أنها ستعذب عزيز بعد الزواج به، ثم لا يلبث الحب أن ينمو بينهما ، وبالتالي فإن النهاية المأساوية عند شكسبير تتحول هنا إلى مناسبة سعيدة من أجل لم شمل الأسرتين.

وقد امتلأ الفيلم بالأغنيات الفردية لمحمد عبد الوهاب، مثل "يا مسافر وحدك" و"بلاش تبوسني في عنيا" و"هليت يا ربيع"و"يا مراكبي" و"ردي عليا" و"آن الأوان"، وغنى مع شريكته في الفيلم "قولي بقى اتأخرت ليه" و"يا للي فت المال والجاه" و"ممنوع الحب" ، وغنت رجاء عبده وحدها " هيحبني" إذن فعدد أغنيات الفيلم "**13** أغنية" .

أما فيلم "رصاصة في القلب" عام **1944**م ، فهو الفيلم الأكثر بهجة في حياة محمد عبد الوهاب السينمائية، وقد تم رسم حكاية الفيلم المستوحي من قصة لتوفيق الحكيم شخصية البطل كإنسان ذكي، مفلس، نبيل يسعي إلى الاستدانة بأي شكل، وتحوم حوله البنات ويعيش في بهجة ، ويتعامل مع الحياة بلا مبالاة ، فهو يعيش لحظته ، وكل ما يهمه هو أن يكون سعيدًا ، ولعل الجو الذي تم فيه تصوير أغنية "انسي الدنيا وريح بالك" يعكس كل هذه الصفات جميعها ، ففجأة، امتلأت شقة الموظف المفلس بالحسان اللاتي يرقصن ويدخن السجائر، والغريب أن المخرج لم يذهب إلى الطبيعة كعادة مخرجي الأفلام الاستعراضية .

وقد وقع هذا الشاب في غرام فتاة شاهدها تتناول المرطبات في جروبي ثم التقاها عند طبيب الأسنان، واكتشف أن قريبه طبيب الأسنان خطيب لها وذلك بعد أن كان سهم الحب قد نفذ تماما في قلبه .. ثم راح يقف بجوار صديقه كي يتزوج من حبيبته، وحاول التضحية بأي ثمن لسعادته، لكن الحبيبين يلتقيان في النهاية .

وفي الفيلم تسع أغنيات ساعدت على إكسابه جوًا رائعًا من البهجة، وكان عبد الوهاب خفيف الظل فعلًا ، لذا فهو الفيلم الأقرب إلى الناس من ناحية قيمته الفنية ، أو من ناحية قبوله ، وقد اختاره النقاد ضمن أهم مائة فيلم في مصر بمناسبة مرور مائة عام على نشأة فن السينما.

وقد غنى عبد الوهاب وحده عدة أغنيات منها "أحبه مهما أشوف منه ومهما الناس قالت عنه" ثم "يا جلاس الشوق" و"حنانك بي يا ربي" وغنى وهو في البانيو أغنيته الطريفة "الميه تروي العطشان" و"انسي الدنيا وريح بالك – أوعى تفكر في اللي جري لك" ثم "مشغول بغيري وحبيته"، وهذه هي الأغنية الوحيدة الحزينة في الفيلم ، أما قصيدة "لست أدري" فقد أنشدها عبد الوهاب كحالة فلسفية يمر بها المرء ..

والجدير بالذكر أن أغنيات الفيلم قد صارت حالة في السينما الغنائية، فقد قام عبد الحليم بتقليد عبد الوهاب وغنى في البانيو في فيلم "فتى أحلامي" ، كما أعاد عبد الحليم غناء "لست أدري" في مشهد من فيلم "الخطايا" كرؤية فلسفية للحياة التي نعيش فيها . أما "حكيم عيون"، و" هأقول لك إيه عن أحوالي" فقد صار دويتو نموذجيًا فتح الباب لأن يتم تلحين الحوار العادي ليصير أغنية في كل السينما العربية فيما بعد، والمعروف أن عبد الوهاب قد صنع دويتو غنائي أمام ليلى مراد، ورجاء عبده، لكن راقية إبراهيم لم تكن مغنية ، ووجدت نفسها تغني وتتكلم بصوتها الجميل فيصير كلامها أغنيات .

ونقول أن فيلم "رصاصة في القلب" سيظل العمل الأكثر بهجة لعبد الوهاب وكريم ، لأن الممثل قد عاد مرة أخرى لأدواره القديمة المليئة بالحزن . وإن لم يخل ذلك من أسباب بهجته أحيانًا ، في فيلمه الروائي الأخير "لست ملاكًا" عام **1947**م ، والذي لعب البطولة فيه مجددًا أمام مطربة ، هي هذه المرة نور الهدى التي سبق لها أن عملت مع محمد فوزي ، ويوسف وهبي وآخرين ، لكنها هنا تؤدي دور فتاة ضريرة، تعيش مع ابن خالتها رؤوف المحامي وأبيها، ويحضر الشاب حفلًا بمناسبة عيد القمح، تكون ملكته يسرية ابنة أبوالدهب بك ، ويقع رؤوف في غرامها، يقدم نفسه لوالدها أبوالدهب على أنه مهندس حتى يكون إلى جانب يسرية، ويتم رهان بين رؤوف وصديقه

على أنه سوف يتزوج من يسرية، لكن تحدث مشاجرة تنتهي بأن تطلق عشيقة صديقه "أمين" النار على رؤوف، يعيد صوت الرصاص بصر ابنة خاله سعاد، التي تقوم برعاية رؤوف وتمريضه، وهنا يحس أنها تحبه أكثر مما تحبه يسرية ويصبح أكثر قربا منها .

وقد تضمن الفيلم أول أغنيتين صورتا بالألوان الطبيعية، وهما أغنيتا "عمري ما هانسي يوم الاتنين – يوم ما اتقابلنا احنا الاتنين" ثم أغنية نهاية الفيلم "كنت فين تايه وغايب" .

وبالفيلم إحدي عشرة أغنية، منها "أنا اللي طول عمري ما حبيت – حبيت لكن إزاي ما أعرفش" و"شبكوني ونسيوني" ، و"اضحك وغنى" و" هتشوفي إيه يا عيوني" ، و"أضحك لمين"، وكلها من تأليف حسين السيد ، أما قصيدة "الخطايا" فهي من تأليف كامل الشناوي .

إذن فعبد الوهاب قد غنى ما يزيد عن الستين أغنية في أفلامه الروائية التي قام ببطولتها، وبدا من الواضح أن عبد الوهاب قد قرر التوقف عن التعامل مع السينما كممثل ، برغم أنه كان يمكن أن يعطي أكثر، واكتفى فقط بأن يقف على المسرح أمام فرقته الموسيقية كي يغني في بيت يوسف وهبي في نهاية فيلم "غزل البنات" **1949**م، وقد كان ظهور عبد الوهاب هنا غريبًا، فلا نعرف لمن يغني ضمن أحداث الفيلم، وهل هي بروفة أم لا .. ! لكن لاشك أن حيوية الأغنية وجمال أدائه، والإخراج الذي نفذه أنور وجدي للأغنية جعل الناس تحس أنها كسبت أغنية مصورة، بل إحدي أغنيات عبد الوهاب .

أما التجربة الثانية: فقد بدا فيها المطرب وكأنه يغني فقط للكاميرا، وذلك في فيلم "منتهي الفرح" لمحمد سالم عام **1963**م والفيلم مصنوع تحية للجنود العائدين من حرب اليمن، وطيلة أحداث الفيلم يحاول الشيخ حسن

دعوة المطرب عبد الوهاب من أجل أن يغني في حفل زفاف أحد الجنود العائدين، ولا إجابة لهذه الدعوة، وبعد أن يلف الشيخ حسن حول كل البيوت ومكاتب الفنانين يعود إلى الحارة ليكتشف أن عبد الوهاب قد جاء وها هو يغني "قالوا لي هان الود عليه *** ونسيك وفات قلبك وحداني" وقد غناها عبد الوهاب في سرادق زفاف، وبدا أن كلمات الأغنية المليئة بالأسي بعيدة تمامًا عن المناسبة التي يغني فيها ، أي أن الأغنية هنا شبه مقحمة على الأحداث ، بصرف النظر عن أنها مناسبة أم لا .

من ناحية أخرى، فإن عبد الوهاب لم يكف طيلة عمره، خاصة بعد أن اعتزل التمثيل عام **1947**م، عن تلحين عشرات الأغنيات للمطربين في الأفلام من سعد عبد الوهاب إلى عبد الحليم حافظ وليلى مراد وشادية وصباح واستطاع من خلال ألحانه وموسيقاه التصويرية، وموسيقي الرقصات أن يثري موسيقي الأفلام وأغنياتها طيلة سنوات عطائه .

الفصل الثالث
أم كلثوم

نظرت السينما دومًا إلى المطربين الكبار والمطربات باعتبارهم من نجوم الغناء الذين يحب الناس مشاهدتهم على الشاشة، ولذا فإن على كل منهم أن يقف أمام الكاميرا ويغني في حدود حدوتة كوميدية بسيطة أو رومانسية وأنه طالما أن المطرب يغني، فالناس ستكون سعيدة .

حدث هذا مع عبد الوهاب، ثم حدث مع أم كلثوم التي استعانت بها السينما بعد ثلاث سنوات من نجاح الفيلم الأول لعبد الوهاب "الوردة البيضاء" لكن الغريب أن نوع الأفلام التي ستقوم ببطولتها ستأخذ منحي مختلفًا وشكلًا مغايرًا .

وإذا كان عبد الوهاب قد ارتبط بمحمد كريم في كل أفلامه، فإن أغلب أفلام أم كلثوم قد أخرجها أحمد بدرخان، الذي أخرج عشرات الأفلام الغنائية لكل من فريد الأطرش، وأسمهان، ونور الهدى، ومحمد فوزي ومحمد الكحلاوي، ونجاة الصغيرة، وصباح، وعبد العزيز محمود .

وقد رشح بدرخان في البداية من أجل إخراج فيلم "وداد" ، العمل الأول لأم كلثوم في السينما، لكن خلافًا نشب بين المخرج الشاب آنذاك ، وبين أحمد سالم مدير الأستوديو الأول، جعل بدرخان ينسحب من المشروع وحسب ما كتبه الناقد مجدي فهمي في مجلة "الشبكة" حول هذا الأمر فإنه لم يقدر لفيلم "وداد" بعدها أن يحمل توقيع مخرج مصري لقلة عدد المخرجين في ذلك الحين، فكان أن وقع الاختيار على فريتز كرامب، وهو أحد الخبراء

الألمان الذين أسهموا في إعداد الاستوديو ليدير الشريط ، وعينوا له مساعدًا مصريًا هو جمال مدكور .

وحسب نفس المصدر فإن طلعت حرب هو الذي اختار بدرخان لإخراج الفيلم وهو الذي قدم له القصة ، وإن بدرخان هو الذي عكف على كتابة السيناريو، والقصة كما هو معروف من تأليف أحمد رامي، وبذلك فإن بدرخان موجود مع أم كلثوم في الفيلم الذي يحمل توقيع شخص آخر، وكما نري فإن الفيلم هو أول دائرة دخلت في إطارها أم كلثوم وذلك من حيث النوع ، فأم كلثوم التي عملت في ستة أفلام، قد وضعوها في إطار السينما التاريخية منذ اللحظة الأولى، وحتى الفيلم الذي اشتركت فيه فقط بالغناء وهو "رابعة العدوية" .

وفيلم "وداد" الذي يحمل توقيع "كرامب"، يحكي قصة جارية ، يقع في حبها تاجر في عصر المماليك، التاجر هو باهر، أما الجارية فهي "وداد" التي تتمتع بصوت ملائكي، وبينما يتناجي الحبيبان ، يسطو قطاع الطرق على قافلة باهر التجارية، ويستولون على بضاعته التي تمثل كل رأسماله ينتحب باهر ويشكو سوء الدهر، وتبدأ مطالبته بالديون التي يستمهل أصحابها ويضطر لبيع كل ما يملك، ولا يستطيع سداد جميع ديونه وتعرض عليه "وداد" أن يبيعها في سوق الجواري كي يسدد دينه ، لكنه يرفض فكرة بيع محبوبته، لكن "وداد" تلح في طلبها هذا حيث تضحي بنفسها وقلبها فداءً للمحبوب السيد، وأخيرًا يوافق باهر على مضض ويبيعها كي يبدأ حياته، تغني وداد اللوعة والأسي لفراق حبيبها وسيدها وتحزن عليه حزنًا شديدًا ، لكن الأحوال تتغير ويستعيد باهر تجارته وثراءه، فيعود ليسترد الجارية وداد من الشخص الذي باعه إياها، ولا يجد صعوبة في ذلك، حيث أن السيد الجديد لم ير منها سوى الحزن والأسي . ويعود الحبيبان مرة أخرى إلى عشقهما القديم .

وقد ذكر مجدي فهمي في "الشبكة" أن أم كلثوم صرحت له بأنها هي مؤلفة الفيلم، وأنها روت القصة إلى رامي، وذلك برغم أن مستوى الفيلم لم يكن رفيعًا ، بل لعل إخراجه جاء عاديًا، إلا أن الجماهير التي أحبت سيدة مطربات الشرق، تدفقت بالآلاف عل دور السينما التي عرضته وبدأت أنظار المنتجين تتجه إلى النجمة المتألقة الجديدة أم كلثوم.

وهذه الجارية غنت للحب، والفراق، والألم، والأغنيات التي شدت بها كانت فردية طويلة، وقد دفع هذا السينما إلى أن تسعتين بها مرة أخرى، ففي فيلم "نشيد الأمل" لأحمد بدرخان تغيرت الأمور تمامًا فنحن هنا أمام فيلم عصري بطلته ستصبح مطربة مشهورة، متزوجة من رجل خشن الطباع اسمه إسماعيل ضل في طريق الغواية، وطلق زوجته البائسة آمال، وبين يديها طفلتها الصغيرة سلوي، وتعاني الزوجة شقاء الحياة، يسوق إليها القدر الدكتور عاصم الذي كان يعالج طفلتها فيشفق عليها ويواسيها، ويكتشف الطبيب أن لآمال صوتًا ساحرًا فيدبر لها عملًا شريفًا مستغلًا صوتها العذب، فما لبثت أن سارت في طريق الشهرة والمجد. وهنا أخذت عوامل الإشفاق عليها من ناحية الدكتور عاصم تتحول إلى حب وفي هذه الأثناء فإن زوجها السابق إسماعيل يحاول الاستفادة مما وصلت إليه المرأة من ثراء وشهرة، فيسعي إلى ابتزازها فإذا به ينتزع طفلتها من بين أحضانها بحكم شرعي.

وكما نري فإن الفيلمين اللذين قامت ببطولتهما أم كلثوم ينتميان إلى أفلام المآسي والمتاعب منذ اللحظة الأولى، ويأتي القدر كي يفرق بين حبيبين في الفيلم ، ثم يفرق بين آمال ووحيدها في الفيلم الثاني، فذات يوم وأثناء قيام آمال بدور في فيلم سينمائي، مفروض أن ينتهي الدور بأن يطلق بطل الفيلم النار عليها إذا بإسماعيل يتسلل إليها ويطلب منها مالًا يستعين به على الهرب لأن الشرطة تطارده، ولما اشتد الخلاف بينهما إذ به يطلق النار عليها فيعتقد

المخرج أن البطل هو الذي أطلق عليها الرصاص ويتوجه إلى آمال وهي ساقطة على الأرض ليهنئها، فإذا به يجدها مضرجة بالدماء .. وينتهي الفيلم بنجاة آمال والقبض على طليقها الشرير .

ومن الواضح أن أغنيات أم كلثوم في أفلامها الأولى وأيضًا في أفلام تالية كانت عبارة عن قصائد ، حتى وإن كان الفيلم عصريًا، فمن بين خمس أغنيات في فيلم "نشيد الأمل" غنت أم كلثوم ثلاث قصائد، والأغنيتان هما: "افرح يا قلبي لك نصيب" و "أنشودة المجد يا ما اشتهيتك" أما القصائد الثلاث فهي : "يا شباب النيل" و"الأمومة – نامي نامي يا ملاكي" والراديو "قضيت حياتي حيرة عليك" .

وتقول أم كلثوم ، على لسان رامي في يا شباب النيل :

يا شباب النيل .. يا عماد الجيل

هذه مصر تناديكم

فلبوا دعوة الداعي إلى القصد النبيل

وقد كتب عبد المنعم سعد في كتابه عن أحمد بدرخان أن الجديد الذي قدمه في هذا الفيلم هو طريقة تقديم الأغنية على الشاشة .. وكان الأسلوب المتبع حتى ذلك الحين في الأفلام المصرية الغنائية أن يقف المطرب ويغني .. وكان هذا يتكرر في كل أغنية من أغاني الفيلم التي قد تصل إلى سبع أو عشر أغنيات .. وأراد بدرخان أن يتخلص من هذا الأسلوب الممل.

"فما هو الجديد في أسلوب بدرخان لتقديم "الأغنية السينمائية "

في أول أغنية صورها في الفيلم "نامي .. نامي يا ملاكي" .. وهي أول ترنيمة طفل تظهر على الشاشة المصرية .. قد عبر بدرخان عن الموقف بطريقة جديدة ومبتكرة .. فالمفروض أن هذه الأغنية لتنويم الطفل .. لذلك قرر بدرخان أن تكون حركة الكاميرا بطيئة، وأن تتسلل بهدوء شديد نحو الفراش

حتى لا تزعج الطفلة .. وفعلا، تم تصوير الأغنية كلها في لقطة واحدة .. الكاميرا تعرض لنا أولاً الفراش كله من بعيد وفوقه الأم والطفلة .. ثم تقترب الكاميرا تدريجيًا ببطء نحوهما بينما الأم تغني "نامي .. نامي .. يا ملاكي" وتستمر الكاميرا تقترب حتى يملأ وجه الطفلة الشاشة .. ونري أن النوم قد بدأ يداعب جفنيها .. ثم تتراجع الكاميرا ببطء إلى الوراء إلى أن تنتهي الأغنية.

والملاحظ أن الممثلين الذين وقفوا أمام أم كلثوم في أفلامها ، لم يحصلوا في حياتهم الفنية على بطولات سينمائية إلا في حالات قليلة جدا، منها مرات وقوفهم أمام أم كلثوم ، مثل أحمد علام في فيلم "وداد" ، ثم عباس فارس في "نشيد الأمل" ، وسليمان نجيب في "دنانير" عام **1940**م وفيه جسد عباس فارس دور الوزير جعفر البرمكي الذي خرج للصيد فسمع صوتًا جميلًا لفتاة ، فطلب منها أن يشرب هو ومن معه فأعطتهم الماء ورحب بهم والد الفتاة ، يعرض جعفر على الأب أن يأخذ معه دنانير إلى بغداد كي تتعلم أصول الغناء، لكن الأب يرفض ويعده جعفر أنها ستكون في رعايته، وأن قصره سيكون مفتوحا له في أي وقت. وأخيرًا تذهب دنانير إلى بغداد في قصر الوزير الأول للرشيد .

وهناك يتولي إبراهيم الموصلي تعليمها أصول الموسيقى والغناء، ويقع جعفر في حب دنانير لكن الوشاة يوقعون بين الرشيد وجعفر، حيث ينتهي الأمر بقتل جعفر .. وهكذا أصبحت دنانير وحيدة ترثي جعفر مما يدفع بالرشيد إلى أن يطلبها لكنها ترفض لأنها عاهدت نفسها ألا تغني بعد جعفر . ثم تعود مع أبيها إلى الصحراء التي تربت فيها .

وفي هذا الفيلم غنت أم كلثوم لأول مرة سينمائيًا ، أغنية سريعة الإيقاع من طراز "بكره السفر" كما غنت القصائد من طراز :

هذي دنانير تنساني وأذكرها وكيف تنسي محبًا ليس ينساها
أعوذ بالله من هجران جارية أصبحت من حبها أهذي بذكراها

وفي هذا الفيلم أيضا غنت أم كلثوم للسنباطي "يا ليلة العيد آنستينا – وجددت الأمل فينا" ثم "أنشودة بغداد" ، ولحن لها محمد القصبجي ثلاثة ألحان هي "الزهور في الروض ابتسم" و"يا فؤادي غني" و"أنشودة التبغ" بالإضافة إلى "بكره السفر" لزكريا أحمد .

وقد كتب كمال رمزي في مجلة "فن" أن "أغلب الظن أن شخصية أم كلثوم أصلًا هي التي أوحت لأحمد رامي بأن يختار الجواري كبطلات لنصف أفلامها .. ذلك أن أم كلثوم أعظم مطربات الشرق، وكان لابد من أن تغني على الشاشة .. ولأن أحمد رامي بثقافته العربية العميقة، عرف الكثير من قصص الجواري اللاتي أصبحن من الحرائر، ووصلن إلى مكانة رفيعة بفضل جمال أصواتهن، فإنه وجد من الملائم أن تؤدي أم كلثوم دور ثلاث جاريات انتقلن من حال إلى حال .. وابتسمت لهن الأيام بسبب قدرتهن على العطاء ووفائهن، وجديتهن في تنمية مواهبهن عزفًا وغناءً، فهذه الشخصيات بهذه السمات، تعطي لأم كلثوم فرصة الغناء بلا افتعال" .

أما أم كلثوم نفسها، فترد على هذا الأمر في سؤال طرحه عليها مجدي فهمي – مجلة الشبكة – قائلة : "لأنه كان من شيم الجواري الإخلاص ولأن الحشمة طابع بطلات التاريخ .. وأنا أقدر الإخلاص وأميل إلى الحشمة" .

أما الفيلم التالي فهو "عايدة" عام **1942**م وفيه تقف أم كلثوم لأول مرة أمام مطرب هو إبراهيم حمودة، فغنت معه وغنت بمفردها، والفيلم يروي قصة الفتاة القروية عايدة .. ووالدها رجل فقير يعمل في أرض زراعية يملكها أحد الأثرياء ويحدث أن يقع ابن صاحب الأطيان في حب هذه الفتاة عايدة

التي تحلم أن تصبح مطربة، ويقوم صاحب الأرض بطرد والد الفتاة من الأرض وتصبح عايدة مطربة شهيرة، ويتغلب الحب على العقبات التي تقابله .

والملاحظ أنه ليست هناك مسافة واسعة بين تلك الفتاة القروية ، والفتاة الصحراوية التي رأيناها في أغلب الشخصيات التي جسدها أم كلثوم فهناك فارق اجتماعي متسع بين الفتاة والرجل الذي تقع في غرامه والحب يائس في أغلب الأحوال كما سنري في "سلامة" ، ينتهي دائمًا بموت الحبيب، ولذا فإن الأغنيات تبدو حزينة رزينة مليئة بالشجن والألم.

وعن فيلم "سلامة" يتحدث مجدي فهمي في مقال له بعنوان "تركة أم كلثوم ستة أفلام ناجحة وشريط حزين لم يتم" ، يقول إنه في تاريخ أم كلثوم السينمائي فيلم لا يحمل توقيع بدرخان هو "سلامة" الذي أنتجه واحد من رعيل صناعة السينما الأول هو توجو مزراحي، وقد استدعي توجو مزراحي بدرخان قبل البدء في التصوير، فتوجه على الفور إلى الاستوديو الذي يملكه في الجيزة، وكانت مفاجأة بدرخان الكبري عندما اكتشف أن المنتج استدعاه ليقوم بدور البطولة، وليس الإخراج الذي تمسك به لنفسه، وقد اعتذر بدرخان عن قبول العرض، بالرغم من أنه علم أن أم كلثوم هي التي رشحته للدور، فكان أن أسند البطولة إلى يحيي شاهين.

والفيلم مأخوذ عن رواية لعلي أحمد باكثير، وليس لرامي مساهمة فيه سوى كتابة الأغنيات، وكتب حواره بيرم التونسي ، وفيه نري أنفسنا أمام جارية جديدة ، هي سلامة ، تعيش في دار الشيخ أبو الوفا، ومعها ملازمتها شوق، وكانت تتمتع بصوت جميل، فتمضي النهار في رعي الغنم والليل في الغناء حتى سئمها الشيخ أبو الوفا، وسئم غناءها، فباعها هي وشوق في سوق الجواري بمبلغ دينارين، واشتراها ابن سهيل الماجن الذي يتاجر بصوت جاريته الجديدة .

تلتقي سلامة بالشيخ عبد الرحمن القس وهو شاب تقي ورع ، يقع في حبها وتبادله سلامة الحب، ورغم ما يتعرض له الشاب من سخرية العرب إلا أنه لا يتخلي عن حبه، ويتمسك بها ، ويحدث أن يفلس ابن سهيل ، مثلما أفلس التاجر باهر في "وداد" ؛ فيعرض جواريه وكل ما يملك للبيع ويذهب القس من أجل شراء سلامة، ويعتقها ليتزوج منها، ولكنه يفاجأ بأن الخليفة أرسل في طلب سلامة لقصره ، فيتراجع القس ليعد نفسه لشرائها من الخليفة ، لكن الفتاة تهرب من القصر ويبدأ عبد الرحمن في البحث عنها ، وكذا ابن سهيل، ويمرض القس فتأتي سلامة لتشهده وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة .

وقد امتلأ الفيلم بالأغنيات الخفيفة والمبهجة ، ومنها على سبيل المثال "الفوازير" و"سلام الله على الأغنام – على النايمين وعلى الصاحيين" و"غني لي شوي شوي" .

ومن المهم أن نعرف الصورة التي رأي بها بدرخان أم كلثوم كممثلة سينمائية، وذلك في نفس الحديث، أو المقال الذي كتبه مجدي فهمي، حيث يقول : "تسألني عن أم كلثوم الممثلة ! إذن لأقل لك بصراحة : إنها أقوي ممثلة عملت معي، وكلامي هذا ليس من قبيل المجاملة؛ بل هو مدعم بالأدلة، فأم كلثوم خير مثال يحتذي بالنسبة للوجوه الجديدة ، فأنا لا أذكر أنها تأخرت مرة واحدة عن موعدها، بل لعلها كانت في أغلب الأحيان تصل قبل الميعاد ، وكانت تحضر وقد حفظت دورها تماما سواء من ناحية الحركة أو الانفعال أو الحوار، والطبيعة التي حبتها بذاكرة قوية كانت معينها الأول على إجادة الديالوج ، فالتي تغني "سلوا قلبي" في ساعتين لا يصعب عليها أن تؤدي أربعة سطور في خمس دقائق" .

في فيلم أم كلثوم الأخير ، عاد بدرخان إلى الفنانة كي يعملان معًا ويختار لها نفس الموضوع المتكرر المحبب في السينما المصرية ، ألا وهو الفارق

الاجتماعي بين الأحبة، وإذا كانت أم كلثوم قد تفوقت اجتماعيًا على الرجل في الدور الذي جسدته في "نشيد الأمل" فإنها في بقية أفلامها الحبيبة الفقيرة، التي تصعد اجتماعيًا أو هي التي تقع في حب شاب ثري.

وفيلم "فاطمة" كتبه مصطفى أمين، وهو الفيلم الأول الذي يقف أمامها نجم مشهور هو أنور وجدي، وها هو سليمان نجيب يشاركها العمل للمرة الرابعة، وفاطمة هنا ممرضة ليس لها طموح اجتماعي، لا أن تصبح مطربة ولا أن تنتقل إلى طبقة اجتماعية أعلى، تذهب تبعًا لطبيعة عملها للسهر على صحة أحد الباشاوات المرضي، ويقع فتحي شقيق الباشا في غرام الممرضة ويحاول إغراءها بشتي الوسائل، ولكنها تصده فيضطر إلى أن يتزوجها بعقد عرفي، ويقضي معها شهر العسل في الإسكندرية ثم يعود ليعيش معها في منزلها المتواضع، وهناك يضيق ذرعًا بمعاملة أهل الحارة ، فيخرج هائما على وجهه حتى يمر صدفة أمام فيلا ميرفت وهي الفتاة التي سبق أن وعدها بالزواج، وهي من عائلة أرستقراطية فترحب به ويعاهدها على الزواج وترك الممرضة، ثم يعود إلى قصر أخيه نادمًا فيطلب منه الباشا أن يسترد عقد الزواج .

وفي أثناء هذه الأجواء المبهجة ، فإن فاطمة تغني أغنيتها الشهيرة :

"يا صباح الخير ياللي معانا .. الكروان غنى وصحانا .."

كما غنت " هاقابله بكره .. وبعد بكره .. وبعد بعده .." ثم تنقلب الآية في الغناء حين تبدأ الخديعة ويسعي فتحي إلى الحصول على ورقة الزواج العرفي، وينجح في ذلك دون أن يعرف أن أم فاطمة قد احتفظت بنسخة فوتوغرافية منها .

يهجر فتحي فاطمة بعد أن حملت منه وتضع طفلًا، ولكن الأب ينكر نسب الابن إليه، فيجتمع أهل الحارة ويقررون رفع قضية على فتحي، وفي أثناء النزاع يضبط فتحي الفتاة ميرفت مع عشيق لها، فيتنبه إلى المشاعر

الصادقة التي حملتها نحوه فاطمة ويسرع إليها يطلب منها السماح إلا أنه يتعرض لحادث بسيارته ، ويفيق فتحي ويعود إلى رشده ويطلب من فاطمة أن تصفح عنه ويستأنف الاثنان حياتهما الزوجية .

ومن المهم هنا أن نرجع إلى ما كتبه كاتب السيناريو والحوار شريف المنياوي عن الفيلم في مجلة "الموعد" تحت عنوان "من نافذتي" حيث يقول: "من المعروف أن الأفلام الاستعراضية والغنائية تقوم عادة على أفكار مرحة، ولكن مزاج النكد عند جمهورنا أدي إلى قيام بعض الأفلام الغنائية على فواجع باكية ، ومنها فيلم "فاطمة" وهو آخر أفلام السيدة أم كلثوم ، وأذكر أنني حضرت عرضه الأول في أكبر دار للسينما بمدينة بورسعيد وكنت طفلًا دون العاشرة، وكان موضوع الفيلم مفجعًا حزينًا حيث يخدع البطل ابن الأكابر البطلة بنت الفقراء، ثم يهرب تاركًا في أحشائها طفلًا لا ذنب له، ويتنكر الشاب لها ولا يفي بوعوده المعسولة وبدأت السيدة أم كلثوم تغني "ظلموني الناس ظلموني" فبدأت السيدات والبنات في الصالة في البكاء والنشيج بصوت مسموع، وإلى هذا الحد كان الأمر محتملًا؛ ولكنه تطور عندما حملت أم كلثوم الطفل الوليد بين ذراعيها وغنت له باكية :

يااللي اتحرمت من الحنان من أب رؤوف رحيم
حكم عليك الزمان تقضي عمرك يتيم

فإذا بالصراخ يعلو في الصالة بكاءً وعويلًا كأننا في جنازة حقيقية وأصيبت بعض الفتيات بالإغماء، كما أصيبت إحدي السيدات بتشنجات عصبية حادة وكان مقعدها إلى جواري، فأسرعت هاربًا بينما اضطرت إدارة السينما إلى إيقاف العرض؛ وإضاءة النور حتى يمكن إسعاف المصابات اللواتي صممن على عدم مغادرة الصالة وضرورة استكمال مشاهدة باقي الفيلم، أما

بائع المرطبات فقال إنه منذ اليوم التالي سوف يبيع بدلًا منها زجاجات محلول النشادر للإفاقة من الإغماء .

وقد آثرنا الوقوف عند ما كتبه المنياوي لأنه يعكس الحالة التي تركتها أم كلثوم كمطربة على الناس، ومن المعروف أن أم كلثوم لم تفعل في أفلامها أكثر من الغناء، وأن عدد الأغنيات الحزينة كانت من الكثرة في أفلامها بحيث يمكن اعتبارها أفلامًا مأساوية، بالإضافة إلى التطويل الملحوظ في الحوار، ولاشك أن فيلمًا من طراز "فاطمة" هو الأكثر خفة وقبولا لدى الناس من أعمالها الأخرى .

والغريب أن مجموع هذه الأفلام ينتمي إلى أسلوب بدرخان الذي مزج بين الرومانسية والشاعرية والسينما الغنائية ، فهو حسبما جاء في الكتاب التكريمي الخاص به، "له إحساسه الواعي بالمجتمع الذي يعيش فيه، وبالبيئة التي نبع منها، والطبقة التي يدافع عنها" .

وفي أفلامه مع أم كلثوم تبرز سماته، لكن لاشك أن هناك مسافة واسعة بين أفلامه التي أخرجها لأم كلثوم، وأفلام أخرى أخرجها لمطربين آخرين ومطربات في أوائل الأربعينيات، أي في الفترة التي عمل فيها مع أم كلثوم بشكل مكثف ، فقد تحول فيلم "عايدة" إلى أوبريت سينمائي من الصعب على المتفرج العادي أن يتابعه، وهو فيلم لم يجذب أنظار الجيل الجديد حين عرض في التليفزيون، وكما أن الكتابات النقدية حوله قليلة للغاية؛ إن لم تكن موجودة ، سواء التي كتبت حين عرض الفيلم أو بعدها .

ولاشك أن هناك مسافة واسعة بين هذا الفيلم وعمل غنائي آخر قدمه في نفس الفترة مع أسمهان وفريد الأطرش هو "انتصار الشباب" ، كما أن هناك مسافة كبيرة بين أجواء الحزن الشديدة في فيلم "فاطمة" ، وبين أجواء صنعها بدرخان لفريد الأطرش أيضا في الفيلمين اللذين أخرجهما مباشرة

عامي **1949**م و**1950**م عقب الانتهاء من "فاطمة"، وهما فيلمي "أحبك أنت" و"آخر كدبة" .

ومن المعروف أن أم كلثوم يمكنها أن تقوم بأدوار كوميدية ، فهي المرأة الخفيفة الظل ، الحاضرة النكتة ، السريعة البديهة ، وقد بدت على سجيتها وهي تغني أغنيات مبهجة في "سلامة" و"فاطمة" لكن هكذا قامت السينما بوضعها في قالب خاص .. من أجل أغنياتها .

الفصل الرابع
ليلى مراد

لم تصنع مطربة حالة من الرومانسية والجو العاطفي الشفاف بنفس القدر الذي أحدثته ليلى مراد بأغنياتها وأدوارها كعاشقة في سبعة وعشرين فيلمًا قدمتها في الفترة ما بين 1938م ، 1955م ، وقد تكون هناك مطربات أخريات عملن ولفترة أطول في السينما، وعدد أكبر من الأفلام، لكن أيًا منهن لم تكن مؤثرة في السينما الغنائية الرومانسية مثلما حدث مع ليلى مراد .

ولعل المرء يمكن أن يكتشف حالة ليلى مراد هذه من خلال العشق الخاص لفنها، الذي عبر عنه الكاتب الراحل صلاح طنطاوي في كتابه "رحلة حب مع ليلى مراد" المطبوع عام 1979م، حيث مزج الخاص بالعام وعبر عن إعجابه الخارق بفن المطربة، وذلك في المقام الأول من خلال أفلامها وأغنياتها في هذه الأفلام .

أي أن السينما التي عملت بها ليلى مراد هي التي صنعت لديه حالة من الهوس بالشخصية الرومانسية التي جسدتها ليلى مراد، ولأن الفنانة قد سبقت في ظهورها الجيل الذي ننتمي إليه، ولم نبدأ في الشب عن الطوق والإحساس بالعالم العاطفي الشفاف إلا بعد أن توقفت المطربة عن العمل في السينما، فإننا نجد أن أفضل وسيلة للكتابة عن ليلى مراد، هو الوقوف عند ما كتبه طنطاوي عن المطربة، فليس هناك من كتب عنها بنفس الجيشان، فهو لم يكتب كتابًا عن المطربة بقدر ما عبر عن زمنه من خلال حبه لفنها وإبداعها .

والكتاب الذي نتوقف عنده هو رحلة حياة المؤلف من خلال ولعه الشديد بالمطربة التي لم يبد نحوها أي إعجاب في البداية، وخاصة حين شاهد صورها للمرة الأولى، ثم حين شاهد فيلم "يحيا الحب" ، أول أعمالها السينمائية "وجدتني مسحورًا بهذا الغموض .. وجدتني مشدودًا بخيوط من الفولاذ إلى ذلك الوجه الطويل النحيل الذي لا يبتسم .. وإلى ذلك الصوت الحاد الرنان الذي لا يشبه أصوات البشر".

وعن فيلم "يحيا الحب" يقول : إن قصته التي كتبها الأديب الراحل عباس علام، بسيطة من واقع القاهرة عام **1938**م ، أو من الواقع الرومانسي القاهري في ذلك الوقت "في كل مشهد كانت تظهر معه ليلى مراد كان كياني كله يتركز في بصري وأنا أتابع كل حركة وكل إشارة لها، وكل جملة تقولها أو تغنيها حتى فهمت في النهاية أن ما تصورته غرابة في وجهها إنما كان جمالًا ساحرًا لم أستطع أن استوعبه في البداية .. وأن ما لم أقدر على الإحساس به في صوتها هو أنه صوت مختلف عن أصوات مطربات ذلك الزمن؛ وكل زمن تلاه، صوت بللوري صاف فائق الحساسية رائع القدرة على التعبير" .

ومن المعروف أن ليلى مراد قد غنت بصوتها فقط في النسخة الناطقة من فيلم "الضحايا" الذي عرض عام **1934**م، وكانت بهيجة حافظ قد أخرجت الفيلم صامتًا ، ثم أعادت إضافة الصوت إليه ، لكن ظهور المطربة للمرة الأولى في السينما كان أمام عبد الوهاب حدث في "يحيا الحب" لمحمد كريم . وقد غنت فيه أغنيتين هما "ياما رق النسيم" و"يا قلبي مالك كده حيران" ، وغنت أمام عبد الوهاب دويتو "طال انتظاري لوحدي" و"يا دي النعيم اللي انت فيه يا قلبي" ، ومن الواضح أن المطربة قد صنعت ظاهرة خاصة في الشارع الرومانسي عبر عنه طنطاوي قائلا : "شعرت بالأمان نحو المستقبل .. لن تكون الحياة جافة كئيبة كما كانت من قبل .. لن يكون أي شيء كما هو

بعد أن اكتشفت ليلى مراد .. صوتها الساحر وجمالها الرائع يسبغان ثيابًا باهرة الحسن على كل شيء حولي ، البيت والأهل والجيران والمدرسة ، والحياة كلها" .

وإذا كانت البداية ولمرة واحدة فقط مع محمد كريم ، فإن المخرج الذي تلقف ليلى مراد ليقدمها في أبرز أعمالها في بداية الأربعينيات هو توجو مزراحي، الذي كان أول من أضاف اسمها إلى الأفلام ، فبعد "ليلة ممطرة" عام **1939**م، قدمها في "ليلى بنت الريف" **1941**م، "ليلى بنت مدارس" ، "ليلى" ، "ليلى في الظلام" **1944**م، وبذلك تكون هي المطربة الوحيدة التي حملت الأفلام اسم بطلتها وممثلتها ، فمن الآن وصاعدا على المطربة أن تحمل اسمها الحقيقي على الشاشة ، ولاشك أن هذه الظاهرة التي ستنجح سوف تدفع بشريك المطربة فيما بعد ، أنور وجدي أن يقدمها في أفلام من طراز "ليلى بنت الفقراء" **1945**م، "ليلى بنت الأغنياء" **1946**م.

وفي فيلم "ليلة ممطرة" ، المقتبس عن "فاني" هو في موضوعه حزين ، قد يكون كئيبا ، لكن الأغنيات الخمس التي شدت بها ليلى مراد عبرت عن فرحة الفتاة "سنية" وهي تقول : "يا قلبي مالك كده فرحان" و"يا بدر نورك سباني" و"فرح فؤادي" ، ثم عبر عن أحزانها وهي تغني "يا قلبي أصبر ع الأيام" ، و"بعدت ليه يا حبيبي" ، وحسب ما يقول طنطاوي فإن أغنيات هذا الفيلم لم تنقل على أشرطة من الفيلم إلى الإذاعة، ولذلك لم يذعها الراديو قط مع أنها من أجمل أغاني ليلى مراد، إذن فنحن أمام أغنيات سينمائية في المقام الأول، لا نسمعها إلا عند مشاهدة الفيلم ، ولذلك سوف نختار بعض كلمات أغنية "بعدت ليه" :

بعدت ليه يا حبيبي وزدت همي وعذابي
ليه تسيب قلبي يقاسي نار جفاك

يا حبيبي ارحمني واسعدني برضاك أنت
نساك يوم ودادك تعالي وارحم فؤادي واعطف
بقلبك عليا وشوف عذابي وسهادي وذلي
وشوف دمع عينيا

ومن الواضح أننا أمام كلمات متراكبة، تمزج بين الفصحي الصعبة "الجوي" ، وبين كلمات باللغة العامية مثل "ليه" و"شوف" .

أما الأفلام الأربعة التي قامت بالعمل فيها ك "ليلى" من إخراج توجو مزراحي، فإن اثنين منهما كانت أمام يوسف وهبي، وهي "ليلى بنت الريف" و"ليلى بنت مدارس" ، واثنين أمام حسين صدقي، وكان أنور وجدي قد قام بأدوار مساعدة في فيلمين منهما .

وفي هذه الأعمال جسدت المطربة شخصية الحالمة ليلى ، فتاة بريئة تعيش قصص الحب، أداؤها صادق، صوتها منخفض باستمرار، نظراتها جامدة ومشيتها عسكرية جامدة ، وعيناها لا ترتفعان عن الأرض، كانت حقًا تثير الرثاء والعطف والدهشة، وقد غنت في الفيلم الأول "إيه الحب" و"يا سلوي فين انتي تعالي" و"أوعى يكون فات الأوان" و"امتى يهون كل ده امتى" ، وتبدو هذه الشخصية التي جسدتها ليلى من خلال كلمات أغنية مثل :

إيه أشرحه في حبك غير ده ..
وحرام أكون في ايديك وردة تدبل ..
أقطفها ما ترميها ..
امتي يهون كل ده امتي ..

ومن الواضح أن هذه الأغنيات لا تذاع رغم أهميتها، وقد تكرر نفس الشيء في فيلم "ليلى بنت مدارس" ، حيث إن الأغنيات الخمس التي شدت

بها لا يكاد يعرفها أحد من الجيل التالي لظهور ليلى مراد، مثل "غني يا طير سعدك جالك" ، و"مين النهاردة في الدنيا أسعد مني " ، و"يا ذل حال اليتيم كانت جنايته إيه " ، ولعل هذا يعكس أي حال قد تركته ليلى مراد كمطربة ، فأغنياتها العاطفية الممزوجة بالشقاوة وخفة الظل التي سوف تغنيها في الأفلام التالية مع الاستعراضات الضخمة ، ومن هذه الأغنيات "مين يشتري الورد مني" ، و"بتبص لي كده ليه" ، و"يا رب تم الهنا" من فيلم "ليلى" حيث بدأت تغنيها في إطار احتفالي ووسط عيون منبهرة وآذان مندهشة ، ولعل نجاح هذه الأغاني قد شجع مزراحي على أن يعطي لمطربته وجها مليئًا بالتفتح والشقاوة ، واكتست ليلى مراد في هذه الأفلام بدور البنت العصرية التي لا تتباكي ، ولكنها مقبلة على الحياة تغني باسمها ، وتحب وتجتاز العقبات التي تقابلها ، ومن هذه الأغنيات في فيلم "ليلى في الظلام" "آه يا خوفي لو بابا شافني" و"اتمتعوا بالحياة وأرضها وسماها" .

ولعل أنور وجدي هو الذي وضع ليلى مراد في صورتها الأفضل للبنت الشقية في أحسن حالاتها ، رغم أن الكثير من هذه الأفلام قام على قصص حب يائسة تحدها العقبات والمتاعب مثل "ليلى بنت الفقراء" **1945**م ، و"ليلى بنت الأغنياء" **1946** م ، و"قلبي دليلي" **1947**م ، و"عنبر" **1948**م ، و"غزل البنات" **1949**م ، ثم "حبيب الروح" **1951** م، و"بنت الأكابر" **1953** م.

ويمكن اعتبار فيلم "قلبي دليلي" النموذج الأنسب للسينما الغنائية الكوميدية ، يليه غزل البنات فيما يخص البنت الشقية ، فإذا كانت "عنبر" في الفيلم الذي يحمل نفس الاسم قد بكت كثيرًا لوفاة أبيها ، ولمطاردة العصابة لها والتي كانت تبحث عن الكنز ، فمن اللحظة الأولى لظهور ليلى في فيلم

"قلبي دليلي" فإننا أمام فتاة مبتهجة مقبلة على الحياة ولا تتوقف عن الغناء وبعث الضحك حتى في أحلك اللحظات .

ويقول صلاح طنطاوي عن هذه المرحلة أنه "حدث تطور في الأسلوب الاستعراضي في إخراج أنور وجدي، ذلك الأسلوب الذي صار فيما بعد طابعًا أساسيًا في إخراج كل أفلامه، ولغة فنية متميزة له دفعته فيما بعد إلى أن يكتشف الطفلة المعجزة "فيروز" .

أما ظهور الأسلوب الاستعراضي في فيلم "ليلى بنت الأغنياء" فقد كان في مشهد الزار في مترل العمدة .. وفجأة يتحول الزار الريفي البسيط (كأننا في حلم) إلى زار استعراضي يضم حشدًا هائلًا من الفتيات اللاتي يرقصن بملابس الرقص الشرقي . المشهد في حد ذاته .. مسل وظريف ومبهر لكنه يبدو دخيلًا على جو الفيلم المأساوي بل إن الإنسان يشعر أمام المشهد وكأن فكرة تنفيذه على هذه الصورة أنا وأنت وأنور وجدي جاءت في آخر لحظة وهو في الاستوديو" .

الأغنيات المليئة بالبهجة بدت في فيلم "قلبي دليلي" مثل "أنت سعيدة"، ثم "اضحك كركر اوعى تفكر" ، و"أنا قلبي دليلي" ، و"أنا وردة مغمضة" ، و"أكرهه وأحبه" ، والفيلم بمثابة استعراض لا يكاد ينقطع إلا من أجل حوار في قسم الشرطة ، أو بين المجرمين ، لكن ليلى تعيش حياة مبهجة . وفي انتظار الحفل حشد أنور وجدي سبع أغنيات متتالية ، من بينها "قلبي دليلي" وأغلب هذه الأغنيات تمت في استعراض ضخم ، أو غنت فيها ليلى بين أفراد أسرها .

ونحن أمام حالة لا مثيل لها في السينما العربية من حيث كون الفيلم غنائي استعراضي ، ففي القطار هناك غناء لفتاة تجمع التبرعات حين اكتشفت أن رجال الإسعاف غير قادرين على إخراج الأموال من جيوب المتبرعين ، وبالابتسامة والظل الخفيف تمكنت ليلى أن تفعل ذلك ، ثم ما أن وصلت إلى

البيت حتى راحت تغني مع أبيها وكذلك صديقاها ، وفي الحفل الذي ذهب إليه الضابط وحيد فإنها لم تكف عن الغناء ، ثم إن المخرج يحول مطاردة الشرطة للعصابة إلى حفل شعبي امتلأ بالأغنيات الشعبية من عبد العزيز محمود تارة "يا نجف بنور" ثم من ليلى التي تحاول المناداة على حبيبها بالغناء (ياللي أنت حيران عليه أنا هنا جنبك) حيث يرتفع صوت الغناء فوق كل الأصوات فيميز الضابط وحيد صوتها ويسير في اتجاه الصوت .

تكرر ظهور نفس الفتاة وبالاسم نفسه في "غزل البنات" ، وهو فيلم مليء بالأغنيات ، بدءاً من نزول العناوين إلى قرب النهاية ، وأغلبها أغنيات مليئة بالبهجة والكوميديا ، ابتداءًا من "اتمخطري يا خيل" ، وحتى "عيني بترف" وذلك بالطبع باستثناء أغنية عبد الوهاب .

وكل هذه الأغنيات لا تؤديها سوى فتاة مليئة بالشقاوة ، رسبت لتوها في اللغة العربية ، لكن الأمر لا يهمها كثيرًا وتتعامل مع الرسوب كأنه نوع من المزاح والسخرية ، وهذه الفتاة مليئة بالغبطة والسعادة ، كما أنها في حالة حب، تغني ساخرة من مدرسها "أبجد هوز حطي كلمن ... شكل الأستاذ بقى منسجمن" ، ثم تغني أمام قفص العصفور "الحب جميل للي عايش فيه" . وعندما تخرج ليلى لقضاء سهرة مع حبيبها ويلاحقها الأستاذ حمام فإنها تغني معه "عيني بترف وراسي بتلف" . وفي صالة الملهي تراقص الحبيب أنور وتغني له أمام اللآخرين أغنية "ماليش أمل في الدنيا دي" .

وكما نري فإنها كلها أغنيات مبتهجة تفيض شقاوة وحيوية وخفة ظل ومن هنا تبدو نوعية الأغنيات التي شدت بها ليلى مراد في بعض أفلام زوجها أنور وجدي ، فمن المعروف أن الأفلام المصرية تبدأ بأجواء مبتهجة ثم تزحف الأحزان ، ولذا فإن أغلب الأفلام الغنائية تنتهي عادة بأغنية عن المآسي والآلام التي تستبد بالحبيب ولكن الأمر اختلف تمامًا في الأفلام التي تحدثنا

عنها وإن كانت هذه السمة قد برزت بوضوح في أفلام الثنائي التالية خاصة "حبيب الروح" الذي تم إنتاجه وعرضه عام **1951**م .

فحسب موضوع الفيلم فإن الأغنيات الأولى في الأحداث مبتهجة سعيدة، تعبر عن امرأة تحيا بلا متاعب، كل ما تعانيه أن زوجها المهندس الميكانيكي دقة قديمة وغيور، ولا يقبل أن يراها تغني خاصة أمام الناس ، في الوقت الذي يكتشف موهبتها موسيقار كبير يسعي إلى أن يكتسبها لصالح الفن، وفي الحفل تغني ليلى أغنية "شفت منام واحترت أنا فيه" وذلك أمام مجموعة من رواد حفل أقامته إحدي سيدات المجتمع، والأغنية بمثابة استعراض جماعي يغني فيه الكورس وهي بمثابة سؤال وإجابة بين المطربة والكورس .

والنصف الأول من الفيلم مليء بأغنيات تزخر بشقاوة وخفة ظل مثل "أنت هنا وأنا هنا، والفن والدنيا هنا" ، حيث راحت الزوجة تجهز مأدبة الوليمة التي سيحضرها الفنان مع زوجها، ثم بدأت الأغنيات تتغير مثل "الظلم حرام" ، و"حبيب الروح" .

كما تكررت نفس الظاهرة أيضًا في التعاون الأخير بين ليلى وأنور، ففي فيلم "بنت الأكابر" غنت "يا رايحين للنبي الغالي" حين ذهب جدها إلى الأراضي المقدسة، وغنت لحبيبها "أنا وأنت عصفورين" ثم غنت "أنا هانسي روحي ومش ممكن أنسي ، ميعادنا بكرة الساعة خمسة" ، وهي أغنية أشبه بالحلم وتكاد تكون تكرار لأغنية "شفت منام" من حيث التصوير والكلمات وطريقة التنفيذ .

وكما أشرنا ؛ فإن أنور وجدي هو الذي استفاد من سمات ليلى مراد كبنت شقية خفيفة الروح جميلة الصوت ليقدمها في أحسن صورة تعرف عليها المتفرج، ولاشك أن أكثر المخرجين الذين عملت معهم الفنانة في تلك الفترة أو فيما بعد، قد تعاملوا مع ليلى مراد "الصوت"، ثم سكبوا على

الشخصيات التي تجسدها المزيد من الهموم والأحزان، وقد بدا ذلك بشكل واضح في فيلم "الماضي المجهول" لأحمد سالم .

ولو نظرنا إلى الأغنيات التي شدت بها ، فسنري "حيران" :

حيران في دنيا الخيال محروم من الذكريات
لا عندي فيها آمال ولا بناجي اللي فات

ومثل هذه الكلمات حين تنشدها ليلى مراد فلابد أن تكسبها همًا وحزنًا ويقول صلاح طنطاوي أن أحمد سالم قدم هذه الأغنية في أجواء تختلف عن ما هي فيها "بطريقة لم تقدم بها أغنية في فيلم مصري من قبل"، رأينا أحمد سالم وهو يؤلف كلماتها في البداية.. ثم رأينا بشارة واكيم وهو يلحن الكلمات وبعدهما رأينا ليلى مراد وهي تدندن اللحن ضاحكة في حديقة المستشفي . وبعد ذلك سمعناها تغني الأغنية وهي تشتغل في المطبخ في منزلها .. وأخيرًا سمعنا الأغنية كاملة في حفل الزفاف .

ومن هذا الأمر يتضح أن الفيلم قد أفقد حتى لحظات السعادة روحها حين كسا هذه المواقف من الزواج والزفاف بكلمات حزينة من هذا الطراز.

ويقول طنطاوي عن أغنية أخرى في الفيلم حيث غنت ليلى مراد أغنية (الدنيا ليل) التي غناها قبلها ملحنها محمد عبدالوهاب فكانت هذه أول مرة تغني فيها مطربة أغنية (لا لحنًا) لمطرب آخر .

كما أن تصوير الأغنية في الفيلم جاء بطريقة ذكية. حيث كانت ليلى مراد تحتفل مع زميلاتها في المستشفي بعيد ميلاد واحدة منهن وأعلن الراديو غناء محمد عبدالوهاب للأغنية ، ثم انقطع النور فجأة وطلبت الزميلات من ليلى مراد أن تغني الأغنية فغنتها" .

هذه السمة من الحزن والكآبة، قد تكررت من فيلم لآخر مع مخرجين كثيرين عملت معهم ليلى مراد وضعوها في هذا الإطار باستثناء حالات قليلة منها بركات في "ورد الغرام"، أما حسن رمزي فقد وضعها في أشد حالات البؤس في فيلم "خاتم سليمان" فهي هنا فتاة من عائلة وقورة يتعرف عليها شقيق إحدي صديقاها ويطمع في الزواج منها رجل يكبرها في السن .. والأغنيات الخفيفة التي شدت بها ليلى مراد في هذا الفيلم (**1947**م) لم تبق كثيرًا في ذاكرة المستمع مثل "مش قادرة أصدق كل اللي أنا شايفاه وسامعاه" .

ومن أغنيات الفيلم "يا قلبي اصحي"، "يا ظالم العشاق"، "ويلك من الله يا قاسي ياللي ساجني"، و"بحب هواك وأحب جفاك"، ومن كلمات الأغنية تتضح أبعاد المأساة فيه، فهو فيلم لا يصلح موضوعه أن يكون غنائيًا بالمرة ، وبدا ظهور ليلى مراد نشازًا تمامًا قياسًا بالأفلام التي ظهرت فيها في نفس الفترة.

وقد عملت ليلى مراد في هذه السنوات أيضًا في أفلام من إخراج نيازي مصطفى وحلمي رفلة، زادت في إبعادها عن دور الشقية، رغم أن حلمي رفلة قد اشتهر بأفلامه الكوميدية الخفيفة، لكن فيلمه الذي أخرجه للمطربة باسم "المجنونة" كان من الكآبة أن حول الشخصية النسائية الرئيسية في الفيلم إلى فتاة مغلوب على أمرها يحاول عمها وزوجته أن يدفعا بها إلى الجنون من أجل الاستيلاء على ميراثها.

ومن هذه الأدوار التي ابتعدت فيها ليلى مراد عن البنت الشقية هناك "آدم وحواء" وهو فيلم مليء بالمواعظ المباشرة، وكما كتب طنطاوي في تعليقه على الفيلم إن "حسين صدقي ممثل ممتاز له جاذبية وقبول وحضور ولكنه كمخرج لم ينجح في تقديم أفلام ذات مستوى رفيع وكان شغوفًا بأن

تحتوي أفلامه أفكارًا توجيهية معتبرًا أن السينما ليست فنًا فقط بل هي جهاز إصلاح فعال" .

ومن الواضح أن طنطاوي قد أبدي رأيًا في تمثيل حسين صدقي يختلف عن الواقع، فلاشك أن تمثيله مثل إخراجه فيه المباشرة ويفتقد إلى التلقائية.

وقد وقعت ليلى مراد بين براثن مخرجين متعددين عملوا على إظهارها في أدوار ساعدت في التعجيل بأن تصدر قرار الاعتزال، مثل يوسف شاهين في "سيدة القطار" الذي وضعها في أكثر الصور كآبة، فهي امرأة عجوز تعاني من زوجها الذي استغل وفاها في أن يحرمها من أموالها وابنتها، وتنعكس حالة الحزن في أغنية جميلة بقت في أذهان الناس حتى الآن هي "من بعيد يا حبيبي باسلم" التي جاء في ختامها :

من بعد غيبة طويلة يا روحي انقضت ولا كان ليش حيلة
من قريب أديني بسلم من قريب أديني بتكلم
أنا مين وكنت فين وجيت منين
أنا يا ما بروحي بسلم بإيدي بسلم

من قريب يا حبيبي .

أما المخرج الثاني الذي قدم ليلى مراد في صورة مليئة بالبهجة فهو بركات، وبرغم أنه أخرج لها ثلاثة أفلام فإن "ورد الغرام" **1951**م كان كوميديا من الطراز الأول ، يليه "من القلب للقلب" **1952**م، ثم "شاطيء الغرام" **1950**م ، ومن الواضح أن بركات قد أخرج لها هذه الأفلام الثلاثة في فترات متقاربة، كانت ليلى مراد صورة للبنت الشقية وقد كانت هكذا في الأفلام الثلاثة، فهي في "من القلب للقلب" الشابة التي تمارس لعب القمار وتوقع الشباب في دائرة اللعب، وفي فيلم "شاطيء الغرام" هي المدرسة اللطيفة

التي تعشق الطبيعة وتغني للموج والبحر الصافي في مرسي مطروح ، وعندما تذهب إلى القاهرة فإنها تغني في حفل يحضره زوجها مما يعكس بهجتها وتنشد "يا أعز من عيني قلبي لقلبك مال" ، والفيلم في نصفه الأول مليء بالأغاني الرومانسية والخفيفة التي تجيد ليلى مراد أداءها ، مثل "نعيمًا يا حبيبي" و"رايداك والنبي رايداك" ، و"بحب اتنين سوا" ، لكن ما أن تبدأ المشاكل بين الزوجين حتى تغني "أروح لمين بس يا ربي" وهي الأغنية الحزينة الوحيدة في الفيلم .

أما فيلم "من القلب للقلب" فهو أقرب في أغانيه إلى ما قدمه أنور وجدي حيث غنت "سهرانة ليه يا هل تري" ، و"ياللا تعالى قوام ياللا"، و"من القلب للقلب" و"قولولي قولولي" ، و"طمني أنا مش عارفاك" .

نفس السمة تكررت في فيلم بالغ الأهمية في كلاسيكيات السينما الغنائية وهو "ورد الغرام" ، وهنا يبدو الفارق بين الثنائي محمد فوزي الذي بدا قاتما في "المجنونة" وبدا بالغ البهجة وخفة الظل في هذا الفيلم .

وينتمي الفيلم إلى الكوميديا التي تقوم على المقالب والعواطف التي تتغير والنبل الذي يتولد بين اثنين من العشاق، وإلهام هنا فتاة صافية رقيقة للغاية تؤمن مثل أبيها أن الخيل أكثر وفاء من البشر، لذا فهي تصدق حكاية باقات الورود التي تأتيها من عاشق مجهول لا يلبث أن يظهر في حياتها فيغير مشاعرها وتحبه، والأغنيات الحزينة هنا تبدو أقل تأثيرًا لدى المتفرج، فهو يعرف مسبقًا أنها مخدوعة في مشاعرها، وأن حبيبها الذي تصورته قد ظلمها يكن لها الحب، وهو يأتي لها بفرقة موسيقية أسفل المنزل كي تنشد لها بينما يتسلق هو النبات للصعود إليها ومصالحتها .

وقد بدت البهجة وخفة الظل من خلال الدويتو الذي اشترك فيه كل من ليلى وفوزي ، مثل "فيه حاجة شغلاك" ثم "شحات الغرام" الذي صار

الدويتو الأشهر بكلماته وأدائه في كل السينما المصرية ، وهو يستخدم لغة الشحاذين المألوفة كي يكسها معاني الرومانسية ، كأن يردد العاشق كلمة "لله لله" أكثر من مرة والثانية تصده بالدلال المنشد ، ثم "اديني اديني ميعاد .. اديني ميعاد لله" ، فترد عليه "فوت بكرة خمسة تمام من قدم شيء بيداه يلقاه ، وكله على الله" .

وقد كان بركات ذكيًا في أنه جعل كل من بطليه يغنيان أحيانًا وحدهما ، ثم جمعهما في ثلاث أغنيات معًا.

تبقى ليلى مراد إذن في ذهن المتفرج مطربة غنت في الأفلام في المقام الأول، ورغم نجاح أغنيات لها خارج السينما فإنها الوحيدة أو الأولى التي صنعت أجمل أجواء الرومانسية لبنات جيلها ، ثم لجيل تالٍ شاهدها في دور العرض الثانية أو في التليفزيون .

الفصل الخامس
فريد الأطرش

لعل فريد الأطرش هو المطرب الأطول عمرًا من حيث العمل في الأفلام من كافة نجوم الطرب في السينما العربية في القرن العشرين، وذلك منذ فيلمه الأول "انتصار الشباب" عام **1941**م، إلى فيلمه الأخير "نغم في حياتي" الذي عرض بعد رحيله بعدة أشهر.

ولاشك أن الواحد وثلاثين فيلمًا التي عمل بها الأطرش قد تنوعت في موضوعاتها وأسلوبها ، وقد جعل ذلك المطرب يتخذ عدة أشكال، فهو ليس فقط المطرب الذي يقدم عملا استعراضيًا في ختام الفيلم مثلما يحدث في النصف الأول من حياته السينمائية ، كما أنه لم يضع نفسه في أسر الأدوار الكوميدية أو أدوار الإنسان الحزين الذي ضاعت منه فرص الحب فبكي في أغنياته ، وعاني في عواطفه .

صحيح أن هناك مجموعات متشابهة من بين هذه الأفلام ، لكن هذه كلها بمثابة مراحل متتابعة، والذي يمكن الوقوف عنده بالنسبة للأطرش هو أنه عمل مع اثنين فقط من المخرجين العدد الغالب من الأفلام ، ثم خرج عن قاعدته فعمل في بعض الأحيان مع مخرجين من طراز يوسف شاهين وكمال الشيخ ، وعاطف سالم فيلمًا أو أكثر .. هذان المخرجان هما أحمد بدرخان ، وهنري بركات .

كما أن فريد الأطرش قد عمل ثنائيات صغيرة، أو ثنائيات مشهورة مع ممثلات ومطربات، فكان ظهورهن يتكرر من فيلم لآخر، مثل مديحة يسري التي ظهرت معه في فيلم "أحلام الشاب" و"شهر العسل" ، ثم ها هي سامية

جمال تعمل أمامه في ستة أفلام، وتعمل معه صباح في ثلاثة أفلام، وتعمل شادية في فيلمين، وتعمل مريم فخر الدين في أربعة أفلام. أما فاتن حمامة فإنها بعد أن ظهرت معه عام 1952م في "لحن الخلود" فإنها تعود للعمل معه مرتين متتاليتين في أواخرأفلامه في كل من "حكاية العمر كله" و"الحب الكبير" .

لاشك أن بدرخان هو المخرج الذي اختار أن يكون معادلًا لمحمد كريم في تعامله مع عبد الوهاب، فإذا كان كريم قد احتكر الإخراج لكافة أفلام عبد الوهاب، فإن بدرخان هو الذي أخرج الكثير من أفلام أم كلثوم ، ثم هو الذي تلقف كل من فريد وأخته أسمهان ليضعهما في تجربتهما السينمائية الأولى عام 1941م من خلال فيلم "انتصار الشباب"، ثم قدم المطرب في ثمانية أفلام ، هي على التوالي "شهر العسل" 1945م و"ما أقدرش" 1946م "أحبك انت" 1949م و"آخر كدبة" 1950م و"عايزه أتجوز" 1952م و"لحن حبي" 1953م ، ثم "عهد الهوى" 1954م و"إزاي أنساك" 1956م ، وهو عدد كبير كما نري قياسًا إلى أي تعاون بين مخرج ونفس الممثل أو المطرب، أما بركات فقد أخرج للأطرش عشرة أفلام هي: "عفريتة هانم" 1949م و "ماتقولش لحد" 1952م و"لحن الخلود" 1952م و"رسالة غرام" 1954م و"قصة حبي" 1955م و"ماليش غيرك" 1958م و"شاطيء الحب" 1961م و"يوم بلا غد" 1962م و"الحب الكبير" في لبنان 1967م ثم "نغم في حياتي" في لبنان أيضًا 1974، وهو كما نري عدد أكبر من الذي تعاون فيه كل من بدرخان والأطرش.

وقد ظل الأطرش يعمل أمام الكاميرا منذ أن كان شابًا قادمًا من الشام مع أخته في "انتصار الشباب" إلى أن صار رجلًا تجاوز الستين، في ربوع لبنان في "نغم في حياتي" .

ومنذ فيلمه الأول، بدت ملامح الأفلام التي يجسدها خاصة مع بدرخان وهي عن رحلة فنان شاب من الحضيض، مر بمتاعب شتي حتى يتمكن هذا الشاب من أن يحقق النجاح المنشود، ويتم اختتام الفيلم باستعراض غنائي ضخم يتم دومًا على خشبة مسرح .

والفيلم الذي كتبه عمر جميعي كقصة، ووضع له بدرخان السيناريو، هو بمثابة نقل مباشر لقصة فريد وأخته أسمهان على الشاشة، فنحن هنا أمام موسيقار فقير وشقيقته المطربة، إنهما يكافحان في سبيل الفن الغنائي والرزق حتى يعثران على عمل في مسرح يديره رجل لا يلبث أن يطردهما لأن المطربة الشقيقة رفضت مجالسة زبائن الكباريه الملحق بالمسرح، وبعد ما يلاقيه الشقيقان من عذاب وتشريد ومغامرات مع صاحبة البيت بسبب عدم تمكنهما من دفع الإيجار المتراكم عليهما تقع المطربة في حب شاب ابن ذوات ، وتقف أمه عقبة في سبيل هذا الزواج لأن الأم لا تريد أن يتزوج ابنها من مطربة ، أما المطرب الشاب فإنه يقع في حب إحدي بنات الذوات، وينجح الموسيقار في تقديم الأوبريت الذي كان يحلم بتقديمه للجمهور، ويتزوج كل شخص ممن يحب .

ويكتب سامي السلاموني في مقاله المنشور في مجلة "فن" عن الفيلم: "يلجأ الفيلم إلى حيلة ساذجة للكشف عن موهبة فريد الأطرش وأسمهان في الغناء التي تصبح محوره كله بعد ذلك . ففريد يغني موالًا جميلًا في حجرته :

"صون الخدود في شبابك عن دموع العين ...

يوم انتصار الشباب للصابرين موعود ...

بكره دموع الفرح تمحي دموع البين ..."

إنه موال يلخص موضوع الفيلم كله ، بل ويتضمن عنوانه نفسه ويؤكد على ضرورة انتصار الشباب في النهاية على الرغم من أية معاناة "ولكن لا

يتورع الفيلم وبجرأة كانت عادية جدا في مثل هذه الأفلام عن حشد أهالي الحارة كلهم الذين تركوا أشغالهم ووقفوا تحت نافذة فريد الأطرش ليسمعوا بإعجاب ويطلقوا الآهات ، وبهذا يكون الفيلم قد أكد للجميع ومن البداية أن بطله صوته جميل جدًا .." .

ورغم أن فيلم "شهر العسل" من تأليف بدرخان نفسه، فإن المخرج لم ينته باستعراض ضخم أسوة بالكثير من الأفلام، ولكن المطرب يحتفظ هنا بوظيفته كمطرب مشهور اسمه أيضا فريد، ونحن هنا أمام فيلم غنائي كوميدي حول هناء الفتاة التي اضطرت إلى قبول خطبة نديم ، وهو شاب ثري ثقيل الظل، مقابل أن عليه إنقاذ أسرتها من الديون. فتأخذه معها في حفل تنكري يغني فيه المطرب فريد ، ويتصادف أن توجد فتاة أخرى اسمها جمالات تتنكر في ملابس تشبه ملابس هناء . وهنا يبدأ سوء التفاهم حيث يتعرف فريد على جمالات ويعدها بالحضور إلى منزله ليعلمها الموسيقى، ثم يلتبس الأمر على خطيبي الفتاتين .. هناء وجمالات. كل يظن الأخرى خطيبته، ثم يلتقي المطرب بهناء فيظنها جمالات ويؤكد عليها الحضور إلى منزله بعد أن يعطيها عنوانه، وتذهب الفتاتان إلى منزل المطرب ويقع فريد في ورطة، خاصة وأن كل خطيب كان يتتبع خطيبته ، ويحاول فريد إخفاء كل فتاة عن خطيبها، فمرة ينجح وأخرى يخطيء حتى اشتبه كل خطيب في فتاته .

ومن خلال هذه المواقف المتناقضة تنشأ قصة حب بين هناء وفريد ويتمكن من تسديد الديون لأسرتها .

ومن الواضح أن مجموع أفلام المطرب التي عمل فيها في تلك المرحلة كانت من اللون الكوميدي جميعها، حيث ملأ الأطرش أجواء أفلامه بالبهجة سواء بخفة ظله الملحوظة أو بأغنياته واستعراضاته التي تنتهي بها الأفلام . وبدت أجواء هذه الأفلام وردية سواء من خلال الأعمال التي أخرجها

بدرخان، أو بركات أو حتى "جمال ودلال" الذي أخرجه استيفان روستي عام 1945م .

وكما أشرنا فإن الشخصية الأساسية التي جسدها المطرب مع بدرخان أو بركات كانت لمطرب دائمًا ، ويعني هذا أن على المطرب أن يصعد بشكل رسمي حسب وقائع القصة إلى خشبة المسرح كما يغني، وذلك حتى لا يكون هناك أي تلفيق في الحدوتة ، فلو غنى هذا المطرب من أجل حبيبته فإنه في المقام الأول يمارس مهنته حتى ولو شدا لحبيبته في طريق عام أو على شاطيء البحر، فإنه يفعل هذا بواقع أنه يمارس ما يحبه.

والمطرب غالبًا ما يكون مبتدئًا يعيش في عالم فقير، وهو يبحث لنفسه عن مكان في سماء الفن والنجاح، وفي خلال رحلته نحو تحقيق هدفه لابد أن يقابل حبيبة، هي في أغلب الأحيان راقصة تغني على نغماته، يصعدان معًا، أو هي مطربة مشهورة تحاول أن تعطيه فرصة إثبات الوجود .

كما أن هذا المطرب قد يكون أحيانًا مشهورًا يعد لأوبريت ويعيش بعض المتاعب الخاصة وأغلبها متاعب عاطفية، ولو بدأنا إلقاء الضوء على هذا النوع من الأفلام فسوف نراها في "آخر كدبة"، "ماتقولش لحد"، "عايزه أتجوز"، "لحن الخلود"، "رسالة غرام"، "قصة حبي"، "إزاي أنساك"، "شاطيء الحب"، "من أجل حبي"، "رسالة من امرأة مجهولة"، "حكاية العمر كله"، "الخروج من الجنة"، "الحب الكبير"، و"زمان يا حب".

ولك أن تراجع عدد هذه الأفلام لتري الإطار الواحد الذي وضع فيه الأطرش نفسه في السينما، فهذا المطرب قد حقق شهرة وتواجدًا . وفي الكثير منها نراه متزوجًا وسعيدًا مع امرأته ، ثم لا يلبث أن يتعرض للمتاعب مثلما حدث في "آخر كدبة" و"ماتقولش لحد" . وكما هو ملاحظ ؛ فإن نوع الأفلام قد تغير من فيلم لآخر ، فهذا المطرب الخفيف الظل في الأفلام الأولى،

ثم تراه محملًا بالأسي والعذاب في الأفلام التالية، وهو أسي ليس خاصًا بالمعاناة بقدر ما هو مرتبط بقصة حب يعيشها الفنان.

وعلى كل .. فإن ما يهمنا في هذا الأمر هو أن فريد الأطرش كان حريصًا أن يكون مطربًا على الشاشة من أجل أن تتاح له مساحة كبيرة من الغناء، وأن يعطي للراقصة التي أمامه أكبر قدر من هز الوسط، أو للمطربة التي تغني معه دويتو، لدرجة أن بعض النقاد كانوا يرون أن الأطرش كان يصنع فيلمًا من أجل أغنياته، وقد كان الأطرش منتجًا لأفلامه ابتداءً من "حبيب العمر"، ثم أنتج الكثير من هذه الأفلام التي قام ببطولتها مما دفعه إلى اختيار الموضوع والأغنية وبالطبع العاملين معه .

فيلم "أحبك أنت" على سبيل المثال به أغنيات مثل "الحياة حلوة" و"الشرق والغرب" و"يا فرحة المية" و"حبيته لكن مابقولشي" .

والمطرب في الأفلام الأولى التي جسدها الأطرش كان شخصًا مبتهجًا مقبلًا على الحياة مهما كانت الظروف والمتاعب التي يتعرض لها والتي يمكن أن تحدث لأي إنسان عادي وليس فقط لمطرب ، مثل وجود زوجة غيورة في حياة هذا الفنان كما حدث في فيلم "آخر كدبة" ، والمطرب هنا هو سمير، الذي تزوج من الراقصة سميرة التي تحبه وتغار عليه إلا أن الماضي يطارده من خلال علاقته بالراقصة كيكي. فهي في كل مكان تذكره بحبهما القديم . ويأخذ سمير عقدًا ماسيًا من كيكي لإصلاحه إلا أن الزوجة تعثر على العقد فتتصور أنه هدية من سمير وتحاول كيكي استعادة العقد . وتتوالى الكذبات من سمير إلى امرأته ، وعلى جانب آخر فإن هناك متاعب يعانيها صديق خاص لسمير، فقد حدث أن صدم المطرب إحدي السيدات التي قررت أن تقدمه للعدالة، ويجد سمير نفسه في مواجهة السيدة التي هي في نفس الوقت عمة

صديقه الحميم في نفس الوقت الذي يطالب فيه المهراجا من كيكي أن تعيد له العقد .

ولاشك أن مثل هذه المواقف تولد الكوميديا المتلاحقة، فلا يكاد يجد المطرب نفسه يتخلص من مأزق تصنعه زوجته بسبب غيرتها حتى يجد نفسه أيضا محاطًا بكيكي التي تود استعادة العقد وهي تردد دومًا " أنا مستعجلة قوي" . في نفس الوقت على سمير أن يتخلص من مندوب العدالة وموظف التأمين اللذين جاء كلاهما من أجل لقائه في منزله ، كما تأتي العمة التي تتعرف على سمير .

إذن فنحن أمام عمل كوميدي استعراضي في المقام الأول لا يكتفي فيه المطرب فقط بالغناء الفردي من أغنية إلى أخرى، ومنها "آخر كدبة"، "الربيع" و"أوبريت بساط الريح" . إذن فنحن أمام فيلم مليء بالبهجة في المقام الأول ولا يحتمل هذا النوع من الأفلام أغنيات حزينة مثل التي حرص الأطرش على أن ينشدها في أفلامه التالية .

ولابد من الوقوف عند الثنائي الذي مثله مع سامية جمال ، كأنما الفنان يؤكد أنه لا بقاء له على خشبة المسرح بشكل أمثل دون راقصة شرقية تتمايل أمامه على النغمات ، بينما هو يشدو، وهذا الثنائي عمل معًا في أفلام كلها تنتمي إلى الكوميديا الموسيقية، أي أننا أمام أعمال تقوم على المقالب والطموح ومحاولة تحقيق الذات.

وإذا كان المطرب في فيلم "عفريتة هانم يحاول أن يحقق ذاته، فإنه يرى أن الكباريه هو حلم حياته وأن ابنة صاحب الكباريه هي التي ستحقق له هذا الحلم وهو يحبها من طرف واحد ، أما هي فلا تكاد تشعر به وتسخر منه حين يطلب يدها أو حين يبوح لها بمشاعره ، وفيما بعد تستخدمه كأداة لتحقيق مآربها خاصة بعد أن صار ثريا .

ونحن هنا أمام فيلم خيالي مليء بأجواء الفنتازيا، قائم على "ألف ليلة وليلة"، فيه الحلم والتمرد والرقص والخيال الجامح، وقد اتخذ فريد الأطرش لنفسه هنا اسمًا كوميديًا أيضًا هو عصفور، وصار اسم صديقه "بق بق" ويحلم الاثنان بأن يعملا بالفن وأن يحققا الكثير اجتماعيًا، ولاشك أن عصفور كان أكثر الناس سعادة حين ظهر له العجوز في كهف صغير بعد أن دله على مصباح علاء الدين، فظهرت الجنية الراقصة التي تمد عصفور بكل شيء حتى الحب، لكن عصفور لا يحب سوى الراقصة علية التي تحب رجلًا ثريًا يدعي "ميمي" .

وفي مقالب الإهانة التي يتلقاها عصفور من علية، فإنه يقوم بإهانة عفريتة المصباح كهرمانة وكأنها النقمة التي حلت عليه من سماء الفنتازيا، وبعد الكثير من الجحود ونكران الجميل فإن المصباح يضيع من عصفور فيعود إلى عالم الفقر، وتنتزع منه مملكة الثراء التي عاش فيها بعض الوقت ليبدأ في الإحساس بأنه أهان كهرمانة، ثم يكتشف خطأه ويقرر أن يبدأ من جديد بعد أن عرف حقيقة مشاعر "ميمي"، ولأن عصفور قد أصبح شخصًا أفضل ، فإن العجوز يرسل له بامرأة أشبه بالجنية كهرمانة كي ترقص معه في الأوبريت القادم.

وفي هذه الأفلام كثيرًا ما يتم استهلاك الكثير من الأحداث من أجل الاستعداد للأوبريت، فالمطرب يبحث عن فنانة موهوبة كي تشاركه الاستعراض ، وهو لا يستطيع أن يغني وحده. وقد تكرر مثل هذا الأمر في "إزاي أنساك" ، و"عايزه أتجوز"، كما سنري أن بعض أفلام المطرب قد صارت مجرد حفل غنائي يشدو فيه بأغنيته التي سيدخل من خلالها إلى دائرة الشهرة، مثلما حدث في "ودعت حبك" ثم "ماليش غيرك".

وقد ظهر فريد الأطرش بمظهر الشخص البائس البالغ الفقر الباحث عن الشهرة، كأنما يود أن يؤكد أنه يستحق الشهرة التي سيحصل عليها، وأن

الصعود إلى أعلى سلم النجاح أمر بالغ الصعوبة، لكنه مفتوح أمام الموهوبين، وقد بدت الشخصية التي جسدها الأطرش في الكثير من الأفلام بالغة الفقر مما يثير السخرية، لكنها تملك الموهبة، فالمطرب الفقير الذي تقابله المطربة اليائسة من الحب في فيلم "عايزه أتجوز" يكاد يكون بلا مترل، لعله يسكن تلك الحديقة التي جلس يغني فيها على العود.

وهو لا يملك من الدنيا سوى ذلك العود وتلك الملابس التي توحي أنه استعارها أو شحذها من شخص لم تعد تناسبه، كما أننا لا نعرف له أهل ولا أسرة، وكأنما انتشلته المطربة من عالمه البائس كي تصحبه إلى بيتها ليصبح مترله الذي يقيم فيه لبعض الوقت . وهذا المطرب يمثل بالنسبة للمرأة منتهي حالة الضياع حيث أن اثنين من عشاقها يرفضان أن يتزوجا بها لأنها فنانة وهما من الأثرياء ، ويودها كل منهما عشيقة لا أكثر، وهي – كما تقول – صعيدية ، ولاشك أنها عدم الزواج سوف يوقعها في مشاكل مع أهلها القادمين من الجنوب من أجل تهنئتها بالزواج وبالتالي فعليها أن تتزوج بأي ثمن

.

ويجد المطرب الشاب الفقير نفسه محاطًا باثنين من النساء ترغبان بل وتلحان على فكرة الزواج منه مهما كان الثمن ، إحداهما المطربة والثانية راقصة تري فيه الرجل الذي أحبته وسافر وعاد إليها (في نهاية الفيلم) ، ومن خلال المنافسة بين المرأتين على قلب الشاب فإن مشاعر المطربة تتكشف وتعطيه الفرصة كي يغني في أوبريت ضخم ثم يشرف عليه بنفسه في النهاية، وعقب الحفل مباشرة يظهر الحبيب البحار الذي سيتزوج طبعًا من الراقصة.

وهناك متاعب عديدة يواجهها المطرب الشاب حين يحاول البحث عن فرصة، فالمطرب في فيلم "لحن حبي" يضطر إلى انتزاع بدلة واسعة من رجل أكثر منه طولًا بعد أن تم تخديره كي يذهب المطرب إلى إحدي الحفلات

الغنائية ليغني، وبدلًا من أن يفعل ذلك يقابل من الناس بسخرية شديدة ويبدو مظهره مضحكًا .

والفيلم بمثابة تحول إلى ألوان أخرى بدأ فريد الأطرش في العمل بها فيما بعد فهو ليس كوميديًا تماما. باعتبار أن الحدث لن يلبث أن يتحول إلى مأساة وخيانة وشك وارتياب، خاصة أن الأم ستشعر بالارتياح في أن تنسب عملية الخيانة إلى ابنتها .

إذن فنحن في هذا الفيلم أمام عمل مختلف، سيحول المطرب إلى منحي مختلف، وفي نفس الفترة بدأت أفلام المآسي تطل على الشاشة من بطولة فريد الأطرش، مثل "رسالة غرام" و"عهد الهوى" وكلاهما مأخوذ عن الأب الفرنسي، فالفيلم الأول المأخوذ عن "ماجدولين" يناقش مسألة عقوق الصديق الذي يمكن أن نتصوره وفيًا ومنذ المشهد الأول ونحن نعرف بأن الحدوتة مليئة بالدموع والأحزان، فها هو أب سيزوج ابنته ورغم أغنيات الفرح "دقوا المزاهر" فإنها دموع الحزن وليست دموع السعادة تتصبب من عيني المطرب الذي سيختلي بنفسه لقراءة رسالة أرسلتها له حبيبته ذات يوم قبل مصرعها، تبدأ الأحداث في العودة إلى الماضي ونري كيف تعارف الحبيبان ، فهو مطرب مشهور وهي فتاة تعيش هناك، سمعته يغني قصيدة وسط المروج ، ثم تتنامي بينهما المشاعر العاطفية وتأتيه بين الوقت والآخر لزيارته في شقته مع أصدقائه.

ويبدو المطرب هنا شخصًا نقيًا طيبًا يقدس الصداقة، ويدفع ثمن هذا التقديس حين يختطف صديقه الذي يتصوره وفيًا حبيبته منه ويتزوجها. ونحن أمام فيلم يكاد يخلو من أي أثر للضحك أو الكوميديا، أسوة بالأعمال السابقة للممثل، حتى لو كان هناك عبد السلام النابلسي، وتكررت نفس أجواء الحزن والتضحية في فيلم "عهد الهوى" الذي تعاون فيه مع نفس الممثلة مريم فخر الدين حيث جسدت دور عاهرة لديها عشاقها تتعرف على طالب شاب

يتصورها ملائكية السلوك ثم يعرف حقيقتها مما يدفع به إلى إبعادها عن عالم الرذيلة.

ولاشك أن فيلم "إنت حبيبي" هو العمل الأكثر إضحاكًا في مرحلة أفلام الوسط بالنسبة لفريد الأطرش، وفي هذه الأفلام لم يشترط أن يؤدي دور المطرب، بل هو مجرد رجل يهوى الغناء يمكنه أن يغني في مناسبات خاصة، كأن يغني لحبيبته الراقصة حين يذهب إليها، "مرة يهنيني" ، ثم هو يغني دويتو ثنائي مع شادية "يا سلام على حبي وحبك" ، وبعض الأغنيات في القطار أمام الناس ، والمرة الوحيدة التي غنى فيها في حفل عام كان في الختام في أغنية "أحلف لك" .

وقد جمعت الأغنيات السينمائية بين الأطرش وشريكاته ابتداءً من نور الهدى وصباح وشادية ، ثم غنت مريم فخر الدين بصوت ليلى فهمي التي تكرر أداء غنائها في أغنية "قسمة" في فيلم " ماليش غيرك" .

وقد بدت المآسي واضحة من خلال أفلام حكت قصة الأطرش نفسه كمطرب فقد حبيبته أو أصابه مرض القلب ، وذلك من خلال فيلم "قصة حبي" والذي امتلأ بأغنيات حزينة أعطت الإيحاء بأن فريد الأطرش هو مطرب الأحزان ، مثل "سألني الليل" ، و"قدام عينيه" ، والغريب أن الأغنيات الحزينة في أفلام الأطرش التالية قد اكتسبت شهرة ونجاحًا أكثر من أغنياته المبتهجة ، ومنها على سبيل المثال "يا قلبي يا مجروح" في فيلم "ودعت حبك" و"لو تسمعني" في فيلم "ماليش غيرك" و"حكاية غرامي" في فيلم "من أجل حبي" و"عدت يا يوم مولدي" في فيلم "يوم بلا غد" و"لا وعينيك" في فيلم "الخروج من الجنة" و"زمان يا حب" في فيلم بنفس الاسم .

والغريب أن الأغنيات الحزينة في أفلام فريد الأطرش الأولى كان يتم تصويرها في إطار مبهج ، أما أغنياته المبهجة التي غناها في أفلامه التالية فكان

يتم تصويرها في إطار حزين مثل "تصبح على خير" و"قالت لي بكره" و"يا ابو ضحكة جنان" .

وكممثل، فإن فريد الأطرش كان في أحسن حالاته في أدواره الكوميدية، ولعله نجح في الأغنيات الحزينة لكن ذلك جاء على حساب قدراته الفنية في أفلام احتاجت إلى مطرب يجيد التمثيل ، وبدا الأطرش أشبه بالدمية الحية في بعض الأفلام مثل "الخروج من الجنة" و"الحب الكبير"، ولعل وطأة المرض أثقلت عليه . لكن يمكن القول بشكل عام أن فريد الأطرش صنع ظاهرة خاصة في السينما الغنائية وأفلام الكوميديا الاستعراضية .. ويكفي أنه عمل في أكثر من ثلاثة وعشرين فيلمًا مع اثنين من أبرز من صنعوا هذا النوع من الأفلام : أحمد بدرخان وهنري بركات .

الفصل السادس
حسين فوزي

هناك أسماء بعينها صنعت مجد السينما الغنائية الاستعراضية وصبغت هذه السينما بصبغتها الخاصة وحولت الأفلام إلى حالة من الغناء الاستعراضي ، فراح أصحاب الأسماء يبحثون عن المواهب ويقدموها إلى الناس في أحسن صورة .

من هذه الأسماء الأخوين حسين فوزي وعباس كامل، والأول أكثر موهبة وله عطاء أطول، وقد ارتبط ظهور أفلام الغناء والاستعراض بوجوده، وظل مخلصًا طيلة حياته لهذا النوع من الأفلام لا يخرج إلى سواها إلا قليلًا ، في الوقت الذي رأينا فيه بقية الأسماء الأخرى تبتعد وتقترب من إخراج الأفلام الغنائية الاستعراضية كلما تيسر الأمر ومنهم على سبيل المثال محمد كريم، وأحمد بدرخان، ونيازي مصطفى ، وبركات، إلا أن كلًا من حسين فوزي وعباس كامل وأيضًا حلمي رفلة كانوا أشبه بالمطرب نفسه، فهو إذا ظهر في فيلم ما دون أن يغني بدا كأنه طائر بلا ريش أو أجنحة (إلا في استثناءات قليلة مثل شادية) ولذا فإن عليه أن يغني مهما كان الثمن.

وبالفعل فقد كان على حسين فوزي أن يجعل السينما تغني ، وفي أكثر الأحوال وسط استعراض ضخم لا يحتاج فقط إلى موهبة مطرب أو فنان استعراضي، بقدر ما هو في حاجة إلى كاتب أغانٍ متميز وملحن بارع في هذا النوع من العمل، وإلى مجاميع استعراضية وأيضًا إلى قدرة على تحريك هذه المجاميع وتصميم الرقصات .

وحسين فوزي كان حالة، ليس فقط بالنسبة لفنه، بل بالنسبة لأخيه عباس كامل الذي جاء من بعده، وأيضًا مثل شقيقه الأكبر أحمد جلال الذي

سبقه ، فهو مؤلف نصوص أغلب أفلامه ؛ يكتب لها السيناريو والحوار ، وأحيانًا الأغنية وقد يشرك أخرين معه لكنه دائمًا المؤلف والمخرج، وقد جاء فوزي في زمن مجد بدايات الفيلم الغنائي حيث يمكن لفيلم لمحمد عبد الوهاب أو أم كلثوم أن يحقق إيرادات ونجاحات عالية، لكنه لم يحاول الاستفادة من نجاحات المطربين المعروفين لتقديمهم في السينما ، بل حاول صناعة نجومه الجدد الذين عملوا معه من فيلم لآخر حتى استقر به المقام الأخير على نعيمة عاكف .

والمخرج هو الذي قدم للسينما كل من محمد فوزي وسعد عبد الوهاب ، وفايزة أحمد ، وضياء وندا القادمين من سوريا وجعل عزيزة أمير تغني في أول أفلامه من ألحان حسن مختار صقر في فيلمه الأول "بياعة التفاح" 1939م .

إذن ، فقد وضع المخرج عينيه منذ الفيلم الأول على الغناء ، ولاشك أن الموضوع الذي اختاره لفيلمه الأول يصلح للسينما الغنائية ، وكم تحول في السينما العربية والعالمية إلى عمل غنائي ، فهو مأخوذ عن "بيجماليون" حيث يراهن شاب ثري زميلًا له أنه سينجح في تحويل بائعة التفاح إلى فتاة أرستقراطية تمارس الحياة الاجتماعية الراقية وينجح في ذلك .

ونحن نعترف أن المراجع التي بين أيدينا قليلة فيما يختص بالأغنيات التي شدا بها أبطال الفيلم ، لكن حسين فوزي بدا كأنه قد وضع عينيه على أن يجعل أبطاله يغنون في أفلامه ، سواء كانوا من محترفي الغناء أم لا.

وقد توقف فوزي عن العمل ثلاث سنوات كي يعود في عام1942م بثلاثة أفلام غنائية هي "أحب الغلط" الذي كتب له القصة بديع خيري وعاد للتعاون مع عزيزة أمير ومحمود ذو الفقار اللذين كتبا له قصة فيلمهما الثاني "ليلة الفرح" وقدم فيلمًا باسم "بحبح في بغداد" عن قصة وحوار بديع خيري

.. والملاحظ أن هذه الأفلام الثلاثة خلت من المطربين لكن الفيلم الأول غنت فيه الراقصة تحية كاريوكا التي تقوم بدور راقصة ينشأ بينها وبين مخرج استعراضي خلاف وشجار لكن المخرج يحتاج إليها من أجل القيام ببطولة فيلمه الجديد .

أما الفيلم الثاني فهو عن ممثل مسرحي يتباهي بخيانته أمام صديقه المؤلف المسرحي ، وهو يدور أيضًا في نفس عوالم المسرح والاستعراض وينتهي بإقامة عمل مسرحي يلقي قبولًا لدى الناس . ويتضمن فيلم "أحب الغلط" أربع أغنيات اثنتان غناء تحية كاريوكا وكلمات بيرم التونسي وألحان فريد غصن هما "الفن الفن"، و"يا كم كم كم" ، أما الأغنيتان الأخرتان فهما من كلمات عبد العزيز سلام وألحان عبد الحليم نويره، الأولى "رثاء كليوباترة" غناء آمال حسين ، والثانية "رقصة الشيشة" غناء عبد الرحمن فوزي .

أما الفيلم الثالث "بحبح في بغداد" فهو عن الأسطي بحبح الحلاق الذي يعيش في مدينة بغداد ، والذي يشير على أحد عملائه أن يزوج ابنه المريض فاشتري له الجارية بدور التي عرفت أن سبب المرض أن الابن قمر الدين يحب شمس النهار ابنة القاضي ، وقامت بدور الوسيط لدى الحبيبة بعد أن دخلت بيت القاضي عقب أن اقترحت على سيدها أن يقوم بإهدائها إلى القاضي .

ونحن بالطبع أمام كوميديا غنائية، وقد قامت بالغناء هنا بطلة الفيلم حورية محمد وهي مطربة لم يرد اسمها في موسوعة الغناء المصري الحديث التي أعدها محمد قابيل، كما اشترك في الغناء محمد الكحلاوي الذي لحن بعض هذه الأغنيات ، وأيضا سعاد زكي . ومن هذه الأغنيات الخمس : "وداع سعاد" و"بدور تلاعب بحبح" و"غنوة النار" و"قف يا مراكبي" وكما نرى فإنها قصائد غنائية .

أي أن حسين فوزي لم يراهن منذ البداية على المطربين المشهورين وجعل أبطال أفلامه الأقل شهرة والذين في بدايات حياتهم الفنية هم الذين يغنون ، ولم يحد عن هذه المسيرة طيلة حياته ، حيث لم يراهن على الجواد المضمون ، بل هو الذي صنع الجواد ، فمن المعروف أن الكحلاوي قد صار فيما بعد أحد نجوم الطرب الكبار ، وقام ببطولة أفلام غنائية عديدة بعد أن كان مجرد مشارك بالغناء في مشاهد عابرة من الأفلام في تلك المرحلة ، مثل أغنيته فوق الساقية في فيلم "على مسرح الحياة" .

والجدير بالذكر أن حسين فوزي هو أول من راهن علي إسماعيل يس في فيلمه الأول ، ثم سنراه يدفعه إلى عالم الغناء عام **1944**م في فيلم "نادوجا" ، وهو يراهن على محمد البكار فيعطيه دور البطولة أمام تحية كاريوكا ويدفعهما الاثنين معا إلى الغناء في فيلم تضمن ست أغنيات أدي منها البكار وحده أغنية القافلة "السفر" ، تأليف بيرم التونسي ، وغنى البكار مع تحية كاريوكا "الوليمة" كلمات التونسي و"الحريق" وهي من كلمات أبو السعود الإبياري . أما إسماعيل يس فقد ألقي مونولوج غنائي باسم "وانتم هنا نايمين" .

وألحان الفيلم كلها من ألحان البكار ، إذن فقد راهن حسين فوزي على بطله الذي عمل لفترة طويلة في السينما بين بطولات سينمائية وبين أدوار صغيرة كمغن شأنه شأن الكثير من الذين عملوا بالطرب في السينما، وقصة الفيلم غريبة كاسمه "فنادوجا" هو اسم فتاة ضاعت وسط الأدغال كان عليها أن تعود إلى المدينة بواسطة مراد أحد الرحالة من أجل الميراث، ولكن الوارثين اختطفوها يوم وصولها وهو يوم الحكم لهم بالميراث ، فأخذ مراد في البحث عنها ولم يبق على موعد الجلسة سوى دقائق، والقصة كما نلاحظ قريبة من فيلم "إسماعيل يس طرزان" **1958**م ، والذي تم إخراجه في إطار غنائي

وحسين فوزي هو أكثر من استفاد من تحية كاريوكا كراقصة استعراضية يمكن لصوتها أن يكون مقبولًا ، فعاد للتعاون معها مجددًا في "أحب البلدي" عام **1945**م ، الذي دارت قصته في إطار تقليدي عن علاقة الحب بين شربات ابنة الأسطي إبراهيم ، وبين عادل ابن الباشا . ولاشك أن هناك متاعب تقابل هذا الحب تتخللها أغنيات واستعراضات حتى يتزوج الحبيبان في النهاية ، كما قامت تحية كاريوكا ببطولة فيلم "الصبر طيب" الذي عرض في نهاية نفس العام وللمرة الأولى يتعاون المخرج مع مطرب مضمون معروف كمطرب هو إبراهيم حمودة. وتحية كاريوكا هنا هي راقصة تعمل في أحد مسارح روض الفرج وهي تحب شابًا بينهما جريمة قتل حيث اتهم أبوها بقتل أبيه ، لكن لا تلبث الحقيقة أن تتضح ببراءة والد الراقصة .

وفي السنة التالية **1946**م عاد المخرج للتعاون مع حورية محمد ومحمد الكحلاوي في فيلم "يوم العالي" ، لكنه بدأ يراهن على المطربة الصغيرة القادمة من لبنان "صباح" والتي نجحت مع بركات قبل عام في فيلم "القلب له أحكام" وراح يتعاون معها بشكل مكثف بدا وكأنه قد وجد اكتشافه الأول الذي يمكن أن يتعاون معه لأفلام عديدة بديلًا عن تحية كاريوكا ، فقدمها في خمسة أفلام هي "إكسبريس الحب" **1946**م و"لبناني في الجامعة" **1947**م و"أنا ستوتة" و"صباح الخير" **1947**م، ثم "بلبل أفندي" **1948**م. إلى أن أتيح له في عام **1949**م أن يكتشف نعيمة عاكف

وقد حاول حسين فوزي الاستفادة من ظاهرة نجاح اللبنانيين في مصر، فبدأ في عمل أفلام تدور بين لبنان مصر وجمع بين صباح ومحمد سلماوي في "لبناني في الجامعة" ، وكان لابد للغناء اللبناني أن ينتشر في الصالات . وفي فيلم "أنا ستوتة" غنت صباح من ألحان زكريا أحمد ورياض السنباطي وفريد غصن، وفي هذا الفيلم عملت صباح في دور ستوتة الفقيرة التي تعمل في الفن

والتي يبحث عنها جدها كي ترث ثروته بينما تعمل في مسرح متجول، ويستدل الجد في بحثه عن مكان الحفيدة ، ويذهب إلى الفرقة التي تقدم له فتاة أخرى على أنها ستوتة من أجل ابتزاز ماله، ويتبادل الجد والحفيدة المزيفة كثيرًا من المقالب الفكاهية، وأخيرًا يتعلق الجد بالحفيدة المزيفة بينما يلمع اسم ستوتة ويتم اكتشاف الحقيقة ويحتفظ الجد في بيته بكل من ستوتة وحفيدته المزيفة التي أحبها.

وقد جمع حسين فوزي بين صباح ومحمد فوزي وشكوكو في فيلم "صباح الخير" الذي غنت فيه صباح من ألحان محمد فوزي ، والغريب في هذا الفيلم أن فوزي قد غنى بلهجة لبنانية أغنية "عا مصر يا مشتاق".

عا مصر يا مشتاق   غني بغرامك هون

واروي قلب خفاق   بيهوى عروس الكون

عا مصر يا مشتاق

وقد كان حسين فوزي يؤمن أن السينما الغنائية الاستعراضية لا تحتاج لقصص مركبة ، بل يجب أن تكون تقليدية مكررة اعتاد الناس مشاهدتها ، لكن المهم أن تكون الأغنيات والاستعراضات جديدة ، وكان يرى أن أبطال هذه السينما لابد أن يكونوا من أبناء عالم الفن وأن يعيشوا في عالم الاستعراض والمسرح والسنما، ففي "بلبل أفندي" هناك ممثلة تدعي كواكب تترك البلاتوه أثناء تصوير فيلمها فهي امرأة تتسم بعنجهية وصلف، مما يدفع بالمخرج أن يستعين بشبيهتها اللطيفة بطة، وهي فتاة فقيرة وتخفي الأمر على خطيبها بلبل أفندي، تقرر كواكب السفر مع عشيقها وتبوح بذلك لزوجها الذي يصاب بنوبة قلبية. تشفق عليه ابنته وتطلب من بطة أن تقوم بدور الزوجة فتوافق بطة وتدعي له الندم حتى تتحسن أحواله .

والفيلم مليء بالأغنيات الثنائية والفردية بين الأطرش وصباح مثل "أنا بلبل" ، وغيرها ، ومن الواضح أن تغيرًا واضحًا قد طرأ على نوع الأفلام التي يكتبها حسين فوزي ويخرجها بعد أن اكتشف نعيمة عاكف من السيرك وبدا كأنه يقدم في أفلامه التالية مسألة اكتشافها أو صعود فنانة استعراضية من عالم الفقر والطموح إلى أن تحقق حلمها

وفي فيلمه الأول مع نعيمة عاكف اكتشف المخرج نجمًا آخر في عالم الغناء هو سعد عبد الوهاب معًا في "العيش والملح" وتوج الفيلم بنجاح منقطع النظير من خلال الموهبة الجديدة التي ترقص وغناء سعد عبد الوهاب الذي غنى لحارة العيش والملح، نحن هنا إذن لسنا في عالم الأثرياء، والذين يغنون فهم ليسوا من سكان القصور الفخمة مثلما نري في أفلام كريم وبدرخان، بل إن الفقراء سكان الحارات هم الذين يغنون معًا ويرقصون . ومن بين هؤلاء فتاة تطمح في أن تحقق مكانة في عالم الغناء والاستعراض فتذهب إلى صالات الاستعراض وتترك حبيبها الموظف ، والذي يصدم لهذا السلوك .

لكن يتضح أن الفتاة تعرضت لظروف خاصة بأسرتها، وهنا يتضامن أهل الحارة معها في سبيل التغلب على مصاعب الحياة التي تتعرض لها الفتاة ولكنهم لا يستطيعون معها سبيلًا . أما الشاب فيتعرض لبعض المتاعب في عمله وتقف حبيبته إلى جواره ويتزوجان .

أما الفيلم الثاني لحسين فوزي ونعيمة عاكف فيرى سامي السلاموني أنه يظل أشهر أفلام "نعيمة عاكف" وأنجحها على الرغم من أنه فيلمها الثاني الذي أخرجه حسين فوزي بمجرد الاستقبال الجيد من الجمهور لأول أفلامها "العيش والملح" .

وقد امتلأ الفيلم هنا بالغناء ، ليس فقط من قبل نعيمة عاكف ، بل أيضًا عبد العزيز محمود الذي اكتفى هنا بالغناء . وإلهام بطلة الفيلم هنا هي فتاة

استعراض ترقص وتغني وتقوم بحركات أكروبات في فرقة غنائية صغيرة ، يقسو عليها صاحب الفرقة حنفي الذي التقطها وهي صغيرة وتولي تربيتها ، وتكتشف أنها حفيدة باشا وعليها أن تتنكر كي ترضي جدها الذي لا يحب ذرية البنات، وتذهب إلى جدها ليعترف بها وتقيم معه إلا أن حنفي لا يعجبه ابتعادها فيحاول ابتزازها وإلا فضح أمرها للباشا الكبير جدها، الذي يعرف أنها ولد وليست بنت . يتفهم حبيبها أمين سر تنكر إلهام ويسايرها في تنكرها بينما يضغط عليها حنفي كي تعمل راقصة في صالة ويراها جدها فيقع في غرامها ويعرف أنها حفيدته وليس حفيده ويتغير موقفه .

وعن أسلوب حسين فوزي في إخراج الأغنية في هذا الفيلم ، كتب سامي السلاموني في مجلة "فن" : "يغني عبد العزيز محمود وحده وتكتفي نعيمة عاكف بالرقص فقط هذه المرة .. وهنا يلجأ حسين فوزي أيضًا إلى حل سينمائي غير قابل للتنفيذ في أي كباريه ، حيث تدخل الكاميرا زووم على كرة ما أمام المطرب تخرج منه بطريقة الديزولف نعيمة عاكف وهي ترقص . ثم يلجأ لحيلة سينمائية أخرى حين يكرر صوتها أكثر من مرة في الكادر نفسه (بالطبع المزدوج) .. ثم تنتهي الرقصة كلها بالمعركة التي لابد أن يحطم فيها مختار حسين الكباريه كله على رؤوس من فيه.

وبهذين الفيلمين بدأت مرحلة نعيمة عاكف وحسين فوزي في السينما المصرية ، فكان على المخرج أن يتزوج من نجمته الشابة التي تصغره سنًا وأن يحتكرها عمليًا فلا تعمل مع أي فنان آخر إلا بإذن منه وكأنها إعارة مثلما حدث حين عملت مع أنور وجدي في "أربع بنات وضابط" .

وكأنه وجد ضالته فراح يعمل بلا توقف ، وفي عام **1950**م فقط عرضت له أربعة أفلام ، هي "بلدي وخفة" ، الذي أعاد فيه سعد عبد الوهاب للعمل أمام نعيمة عاكف واستعان مجددًا بعباس فارس ، ثم "أختي ستيتة" الذي

قامت ببطولته صباح وسعد عبد الوهاب ، و"بابا عريس" مع نعيمة عاكف وشكري سرحان ثم "سيبوني أغني" مع صباح وسعد عبد الوهاب أيضًا .

إذن من أسماء الأبطال نكتشف أن المخرج قد احتفظ دومًا بنجومه من فيلم لآخر ، ليس فقط سعد عبد الوهاب ، بل أيضًا شكري سرحان ... وحول فيلم "لهاليبو" كتب سامي السلاموني : "ولأن حسين فوزي كان أحد القلائل المتخصصين والفاهمين لطبيعة الفيلم الاستعراضي ، فلقد كتب القصة والسيناريو بنفسه حول الخط البسيط والكوميدي الذي يسمح بأكبر عدد من الرقصات والأغاني لنعيمة عاكف ، ثم ترك كتابة الحوار والأغاني لحسن توفيق الذي أعترف بأنني لا أعرفه شخصيًا ربما لندرة اسمه في الأفلام ، لكنه يفاجئنا بمستوى ساخر ولاذع في الحوار الكوميدي لا يقل عن مستوى كلمات الأغاني والأقرب إلى السخرية هي أيضًا . وهو كمؤلف يدهشنا بهذا الحدس الساخر الذي يذكرنا بأفضل كتاب الكوميديا السينمائية مثل أبو السعود الإبياري وبديع خيري ، وفتحي قورة . يتقاسم ألحان الفيلم المرحة والممنوعة والرشيقة كل من علي فراج وعزت الجاهلي وأحمد صبرة ، إضافة إلى لحن لعبد العزيز محمود يغنيه المطرب الشاب – آنذاك – محمد قنديل بصوته فقط على صورة شخص آخر .

"والألحان بمجموعها جميلة جدًا وسينمائية فعلًا – بمعني ملاءمتها للحركة وليس التطريب – تتراوح بين أغنية كوميدية يغنيها حسن فايق بصوته . واستعراض "تاهيا" الذي يدور في أجواء جزر هاواي بملابسها وإيقاعاتها الحارة السريعة، فعلى هذا المستوى كان طموح السينما العربية في مصر منذ أربعين سنة" .

وقد ظل حسين فوزي يصنع أفلامه مع نجمته على هذا المنوال، وبدا بالغ النشاط بعد أن وجد ضالته ، فقدم في عام **1951**م فيلمه "فرجت" و"فتاة

السيرك" ثم قدم فيلمًا بوليسيًا عام **1952**م لا يخلو من الاستعراض هو "النمر" ، ثم قدم "يا حلاوة الحب" كواحد من أجمل أفلامه على الإطلاق ؛ ثم "جنة ونار" أمام عبد العزيز محمود . وفي عام **1953**م قدم "عفريت عم عبده" و"مليون جنيه" و"حلاق بغداد" عام **1954**م. وعاد مرة أخرى إلى الفيلم الاستعراضي من خلال "عزيزة" التي جسدت فيه نعيمة عاكف شخصيتين هما لأختين متناقضتين .

وابتداءً من عام **1955**م، بدأ حسين فوزي يعمل بدرجة أقل فيلمًا واحدًا في كل عام وخرج إلى منطقة دمياط حيث يعيش الصيادون في فيلمه "بحر الغرام" الذي يدور أيضًا في أجواء الفن حول فنان يزور منطقة الصيادين ، ويكتشف موهبة فتاة ويدفع بها إلى الذهاب للعاصمة كي تصبح نجمة مشهورة ، ووسط متاعب تعانيها الفتاة مع حبيبها أمين الذي أصابه المرض ، فإن الفنانة تقرر العودة مرة أخرى إلى المكان الذي جاءت منه كي تتزوج من حبيبها .

وتوتة هنا هي إحدي الفنانات اللائي عدن إلى حياتهن الاجتماعية الأولى، واكتشف أنها أسمي من الفن بعد فيلم "حبيب الروح" لأنور وجدي، وقد غنت نعيمة عاكف هنا ثلاث أغنيات كتبها عبد الفتاح مصطفى ولحن منها كمال الطويل "الريح نادي" .

الريح نادي والموج هادي والرزق حلال
بالطراحة مش بالراحة يا بو عبد العال
رزقنا في الغيب ولا هوش في الجيب طازة بطازة
عندي السمكة جوه الشبكة ولا ألمازة

ومن ألحان أحمد صدقي غنت "سهاري الليل" التي تقول في الكوبليه الأخير منها :

مسنا البحر   فوق موجه بنينا دار

على بيتنا   وعشنا فيه مالينا جار

بنات الليل   تقول هالبيت ما له نهار

وفي عام **1957**م قدم "تمر حنة" الذي انتقل فيه إلى أجواء الغوازي. وتمر حنة هنا غازية ترقص ، أما الغناء فقد راهن فيه المخرج على مطربة جديدة هي فايزة أحمد القادمة من سوريا فغنت هنا واحدة من أشهر أغنياتها :

يا أمة القمر ع الباب   نور قناديله

يا أمة أرد الباب   ولا أناديله

كما غنت في مكان آخر من الفيلم أغنية "يا تمر حنة .. الورد كله .. ملا الجناين .. اشمعني إنت اللي شاردة منا" . وقد كتب "ابن زيدون" في مجلة الكواكب – **13** أغسطس **1957**م – أن الفيلم قدم فايزة أحمد في "دور غجرية تغني وتتآمر مع أخيها، وقد غنت فأطربت ، ولكنها كانت تسرف في تحريك وجهها وعينيها أمام الكاميرا . ولو تعلمت كيف تضع على وجهها قناعًا هادئًا وتحد من تحريك رموشها بعصبية وهي تغني لكان نجاحها مؤكدًا في هذا الفيلم".

وكما أشرنا في البداية الحديث إلى أن حسين فوزي ظل يخرج الأفلام الغنائية الاستعراضية حتى في فيلمه الأخير مع نعيمة عاكف "أحبك يا حسن" وهو أحد أضعف أفلامه الاستعراضية وقد كتب ناقد جريدة الشعب في أول مايو **1958**م : إنه فيلم استعراضي يعتمد على الفكاهة والأغنية والرقصة الفردية والرقصة الاستعراضية ؛ محاولة لتقليد ما اعتبر نجاحًا لفيلم "تمر حنة" وهذا عيب من عيوب السينما عندنا . أدت نعيمة عاكف دورها كراقصة أداءً ممتازاً ".

وبعد انفصاله عن نعيمة عاكف راح يراهن على نجوم طرب آخرين مثل شريفة فاضل التي ظهرت في أفلام متناثرة قبل ذلك ، ثم وضعها سيد بدير للبطولة في فيلم "ليلة رهيبة" عام **1957**م، وفي فيلم "مفتش المباحث" **1958**م ، غنت شريفة فاضل ثلاث أغنيات، اثنتان منهما من ألحان بليغ حمدي ، والثالثة من ألحان سيد مكاوي ، والأغنيات هي "الله ع الدنيا" ، "اللي ع الجبين"، و"يا بني يا ضنايا" من ألحان بليغ حمدي وكلمات محمود فهمي إبراهيم التي تقول فيها :

يحرسك ربي يا بني يا ضنايا   يا حتة من قلبي عايشة ويايا

لما بتقولي ماما من قلبك   بانسي الدنيا وافتكر حبك

يا حبيب قلبي يا بني يا ضنايا

وفي عام **1960**م قدم حسين فوزي زوجته الجديدة ليلى طاهر كبطلة لفيلم "يا حبيبي" الذي غنت فيه ندا مع جمال (الثنائي السوري) بعض الأغنيات الدويتو ، وفي عام **1962** قدم فوزي فيلمه الأخير "حلوة وكدابة" الذي غنت فيه مها صبري ؛ وفيه جسدت دور مني ذات الصوت الجميل التي تزعم لأمها أنها تعمل ممرضة بينما تعمل في مسرح غنائي وتغني في الفيلم عددا من الأغاني ، وقد عرض الفيلم بعد وفاة مخرجه وحوله كتب فريد المزاوي في النشرة التي يصدرها باللغة الفرنسية عن السينما المصرية "في هذا الفيلم عاد المخرج إلى حبه الأول ولم تمارس مها صبري سوى الغناء وراحت نجوي فؤاد تملأ العالم بالرقص" .

الفصل السابع
القادمون من لبنان (نور الهدى – نـجاح سلام)

استقبلت السينما الغنائية المصرية دوما الفنانين البارزين القادمين من الدول العربية الأخرى خاصة لبنان، وقد كانت لبنان دومًا بمثابة مورد طيب للغناء وأيضًا للأفلام الغنائية سواء من النساء أو الرجال .

وقد كان السؤال المطروح في بعض الأحيان .. لمن سيغني هذا المطرب القادم ، هل سيغني للمصريين أم للعرب أم لأهله في لبنان ! واختلفت الإجابة والردود، فهناك الكثير من المطربين الذين اقتربوا من المصريين فغنوا لهم بلهجتهم باعتبارها قد صارت محببة إلى العرب من خلال عشقهم للسينما، وغنى البعض الآخر بالاثنين معًا حسب الموقف

والأسماء كثيرة في الطرب والغناء الذي انتقل إلى الناس عبر الأفلام، ولكننا سوف نتوقف هنا عند نموذجين، هما نور الهدى ونجاح سلام، حيث سرعان ما تلقفتهما السينما وقدمتهما لعدة سنوات في تجارب سينمائية عديدة، ونحن لن نتوقف عند نجاح واحدة أو استمرار رحلتها ولكننا سنحاول كما هو مادة ما نقدمه عن السينما الغنائية ، قراءة ما قدمته كل منهما إلى خريطة الغناء في السينما .

كانت نور الهدى بلا شك هي الأكثر شهرة من بين من جئن وعملن في السينما، صحيح أن الساحة الفنية في تلك الفترة وما قبلها قد امتلأت بالراقصات والمونولوجست القادمين من جبال الأرز، لكن السينمائيين وضعوا عيونهم منذ اللحظة الأولى على نور الهدى، وخاصة يوسف وهبي الذي قدمها في بطولة مطلقة في فيلمه "جوهرة" **1943**م، وذلك بعد أن التقي بها في

حلب فأعجب بها ووجد فيها مواصفات النجمة السينمائية صوتًا وشكلًا ، فاصطحبها إلى القاهرة وسرعان ما دفع بها إلى البلاتوهات .

وقصة الفيلم تدور في عالم الغناء والموسيقى، وبدا المؤلف يوسف وهبي يريد أن يضع نفسه في إطار الموسيقار صانع المجد للآخرين وهو دور طالما قدمه في السينما وبدا كأنه يحبه، والموسيقار هنا هو سمير الذي سمع عن حبيبته سميرة إشاعات فأخذ يشك، إلى أن فاجأها يومًا بين ذراعي عشيق فذهل وغادرها هائمًا فاقد الشعور فذهب إلى المسرح فإذا بحبيبته تجلس مع عشيقها بأحد الألواج، فترك المسرح وأصر على الانتحار، وإذا به يسمع صوتًا شجيًا من فتاة تمنعه من الانتحار فيكرمها ويأخذها منزله، وبدأ في تعليمها أدوار أوبريت يزمع إخراجه ولكن عطيات الممثلة الأولى بالفرقة والتي كانت عشيقته السابقة تعلم أنه لم يمت كما أشيع فيعاهدها الكتمان، ولكن غيرتها من الفتاة الجديدة جعلتها تتهمها بالسرقة .

تهرب الفتاة، لكن لا يلبث الموسيقار أن يطرد عطيات التي تشهر به ويعرض عليه أحد الأغنياء أن يستأنف العمل مشترطًا أن تكون صديقته بطلة القصة فيوافق سمير، ولكن الأخيرة تغازل سمير فيصفعها وتصر على رفض العمل، يجن الثري وتشاء الظروف أن يقابل فتاة متشردة فيطير فرحًا ويذهب إلى المسرح، إنها نفس الفتاة التي لا تزال تحفظ الدور وتتذكره، وبعد نجاحها على خشبة المسرح يذهب كي يهنئها في حجرتها فإذا بها بين أحضان رجل آخر، لا يلبث أن يعرف أنه أخوها .

وقد غنت نور الهدى هنا مجموعة من الأغنيات توجتها كمغنية ذات صيت واسع، مما دفع بيوسف وهبي مجددًا أن تعمل معه في فيلمها الثاني "برلنتي"، هذه الأغنيات هي "يا أوتومبيل" و"ياريت كل الناس فرحانة" و"لحن

التتويج"، من تأليف بيرم التونسي وألحان رياض السنباطي ، ثم "يانا يا وعدي" من ألحان فريد غصن ، ولحن "راعية الغنم" من ألحان محمد الكحلاوي .

إذن فقد استأثرت المطربة الجديدة وحدها بالغناء، وقد كشفت منذ اللحظة الأولى عن خفة ظل وحضور وقوة صوت، وتقول نور الهدى عن ذكرياتها مع هذا الفيلم في مذكراتها التي نشرتها مجلة "الكواكب" **1953**م : "في المساء شاهدت العرض مع الممثلين، إني أعتبر هذه الليلة أعظم ليالي حياتي ، فقد أصم تصفيق الجماهير أذني .. كان نجاحًا لا أحلم به ولا يحلم به واحد ممن عملوا في الفيلم وكانت هذه الليلة هي الفاصلة في حياتي، فقد قفز اسم الكسندر بدران إلى القمة تحت حروف جديدة مجموعها "نور الهدى" .

إذن فقد كان على يوسف وهبي أن يستثمر نفس النجاح ويكتب قصة فيلمهما الثاني معاً باسم "برلنتي" ، ويدفع التونسي إلي كتابة الأغنيات التي تناسب الفيلم، ثم يستعين بالسنباطي ومحمد القصبجي والكحلاوي من أجل كتابة الألحان .

ودارت الأحداث في أجواء موسيقية أيضًا، فبرلنتي تضطر للعمل كمطربة في صالة رقص كي تتمكن من الإنفاق على أمها المريضة بعد أن مات أبوها، يتعرف عليها سامي المحامي فيجد فيها نبلًا وإخلاصًا ويتزوجها ، ولكن لا يلبث سامي أن يتعرف على امرأة تحبه وتساعده كي يواصل طريقة، فتمثل عليه دور أنها خائنة مما يدفع بالزوج لطردها، ويتزوج بسميحة، ينشر الخطيب السابق لسميحة "عباس" مذكرات عن برلنتي ويهدد سميحة بنشر خطابات كانت تبادلتها وإياه .

وفي ساعة غضب تقتل سميحة عباس ، وفي نفس الوقت تأتي برلنتي إلى عباس حتى لا ينشر ما يريد في الصحف عن سميحة فتجد أن خطيبته السابقة قد قتلته، فتريد تبرئتها وتعترف أنها القاتلة، لكن سميحة تعترف بالحقيقة أمام

المحكمة ثم تموت، وتختفي برلنتي مما يدفع بسامي إلى البحث عنها وإعادها إلى بيتها وولدها .

وقد غنت نور الهدى ست أغنيات هي "يا حمام نوحي" و"الأم" و"الجامعة" و"الصالون" وكلها من ألحان رياض السنباطي، أما "الفلوكة" فهي من ألحان القصبجي، وقام محمد الكحلاوي بتلحين أغنية "السجن" كما لحن لنفسه الأغنية الوحيدة التي غناها في السجن وهي بعنوان "جمال الليل" وكتبها عبد العزيز سلام .

وفي أحاديث ومذكرات نور الهدى أن الخلافات تولدت بينها وبين يوسف وهبي بعد الفيلم الأول، لكنها عملت معه في الفيلم الثاني بناءً

على العقد الموقع بينهما، لذا فإن يوسف وهبي قد وقف بجانب المطربة اللبنانية الجديدة صباح عندما مثلت أمامه في فيلمها الأول "شمعة تحترق" عام **1945**م ، وبدا وكأنه يراهن عليها بشدة، أما نور الهدى فكان عليها أن تستثمر نجاحها مع مخرجين آخرين وأن تعمل بشكل مكثف في السنوات التالية في السينما .

كان على نور الهدى أن تعمل مع نيازي مصطفى في فيلمها الثالث "الآنسة بوسي" ، وهو يتضمن نفس القصة التي قدمها فطين عبد الوهاب لنجاة الصغيرة **1968**م ، باسم "**7** أيام في الجنة" ، ففوزي باشا يدعي الإفلاس ويختار مسكنًا شعبيًا متواضعا من أجل أن يتأكد أن من يتزوج ابنته يختارها لشخصها وليس لمالها، ويتجول الاثنان في الشوارع عازفين على البيانو بينما تغني ابنته، ويجمع الحب بين ابنته وشاب من عائلة ثرية ويبارك الباشا هذا الحب، إلا أن عائلة الشاب ترفض الارتباط بفتاة الشارع والفقر وعازف البيانو ويتمسك بها الشاب ويدرك الباشا أنه عثر على زوج لابنته غير طامع في ثروته .

يعلن فوزي الحقيقة ويعود إلى قصره، وبعد مفارقات مدهشة بين الشاب وعائلته وبين الباشا وابنته تتزوج الآنسة بوسي ابنة فوزي باشا بمن تحب .

وقد قام بالبطولة أمام نور الهدى محمود ذو الفقار، لكن كان من الأفضل دومًا للمطربة أن تعمل أمام مطربين أمثالها، وإذا كانت قد قامت بالبطولة المطلقة أمام محمد فوزي في "مجد ودموع" عام **1946**م ، فإنها وصلت إلى قمة مجدها أمام عبد الوهاب في "لست ملاكًا" لمحمد كريم، وفي عام **1947**م ، عملت أمام أحمد سالم في فيلم "المنتقم" لصلاح أبو سيف، ثم وقفت في نفس السنة أمام حسين صدقي في فيلم من إخراجه باسم "غدر وعذاب" ، وأمام محمد فوزي في فيلم "قبلني يا أبي" لأحمد بدرخان وهو الفيلم الذي كتبه أبوها نقولا بدران .

وقد غنت نور الهدى هنا من كلمات محمد الحناوي ولحن الأغاني كل من عبد العزيز محمود والسنباطي وعزت الجاهلي، وذلك في إطار قصة الفتاة التي يقف أبوها حائلا بينها وبين الشاب الذي يحاول أن يغرر بها موهمًا إياها أنه يحبها . يستمر الشاب في مطاردة الفتاة وهي تشيح عنه فيلاحقها بالمكالمات الهاتفية، وعندما يحس أنه لا جدوي من محاولة استمالتها يشي بسيرة أمها وسلوكها وما كانت عليه من سمعة سيئة، يضطر أبوها أن يخبرها بكل شيء عن أمها وكيف كانت علاقته بها، فتعرف منه ابنته أنه التقي بأمها في الماضي بأحد الملاهي الليلية وجمع الحب بينهما فتزوجا، وكان زواجه منها ضد رغبة واحد من أفراد أسرته المحافظة، وكانت الأم من أسرة ثرية كان قد غرر بها أحد الشباب يكتشف أنه شقيقه هو الذي دفع بها، فظن الزوج أنها عشيقته فطردها وطلقها، تنتقم الفتاة من الشاب شقيق الزوج فتقتله كي تستريح من عذابها ، ويتم القبض عليها وتدخل السجن .

وفي عام 1948م، عادت للعمل مع أحمد سالم كممثل ومخرج في فيلم "المستقبل المجهول" ، والذي كتب عنه عبد العظيم توفيق حجاج في مجلة الاستوديو "إن القصة هشة رقيقة ورقتها في التجاء المؤلف إلى معالجة نفس الداء، ألا وهو الحب الذي يتيحه القدر، ومع ذلك فليس الموضوع هنا مقتطفاً من جونا الشرقي، بل يرنو كثيرًا إلى الطابع الإفرنجي في سير الحوادث، ففكرة فقدان الذاكرة سبق أن تعرضت لها الأفلام الأجنبية، كما عالجها المخرج نفسه من قبل، لذا لا يعتبر الموضوع جديدًا .

وعن الأغاني في الفيلم كتب نفس الناقد : "إن من ينعم النظر إلى غالبية أفلامنا يجد أن الأغنيات قد حشرت رغم أنف مجري القصة بحيث لا تتفق معانيها مع الموضوع، ولكنها هنا رقيقة وعذبة عبرت عما يجيش في نفس البطلة من عواطف وانفعالات تتفق والحالة التي تعانيها حتى كأنها ضمن حوار الفيلم إذا انتزعت تركت أثرًا" .

وكتب عبد العظيم توفيق عن أداء نور الهدى قائلا : "لست أدري ماذا أقول عن هذه الفنانة، فقد أثبتت باندماجها في الشخصية المسندة إليها وبتعبيرات وجهها أنها ممثلة قديرة كما هي مطربة موهوبة" .

وبعد أن قدمت فيلمين عام 1949م ، هما "مبروك عليكي" لعبد الفتاح حسن وأمام محمد الكحلاوي ، ثم "هدى" لحلمي رفلة أمام كمال الشناوي عاد نفس المخرج واستعان بها في فيلم "غرام راقصة" الذي غنت فيه العديد من الديالوجات مع فوزي، مثل "عايز أقول لك" و"فهمت حاجة" كما غنت لمأمون الشناوي لحن "الجواب" الذي تقول فيه :

حبيبي واحشني من قلبي   وحاسة بروحي ناقصاني
يا ريتني التقيتك جنبي   في غمضة عين وتلقاني

حبيبي

وقد تم إخراج الأغنية بنفس الأسلوب الذي غنى به عبد الحليم حافظ أغنية تحمل "جواب"في فيلم "البنات والصيف" ، وتتابعت أفلام نور الهدى من "أفراح" إلى "شباك حبيبي" و"الشرف غالي" عام **1950**م، وفي عام **1952**م تألقت من جديد أمام فريد الأطرش في فيلمين غنائيين هما "عايزه أتجوز" لأحمد بدرخان ، ثم "ما تقولش لحد" لبركات، وقد كانت البطولة المطلقة في الفيلم الأول لنور الهدى حيث إنه حسب حوارات الفيلم فقد تأخر ظهور فريد الأطرش إلى ما بعد حوالي ربع ساعة تقريبًا، رأينا فيها المطربة نور الهدى واقعة بين الثري سمير وعمه اللذين يتخذاها محبوبة فقط دون زواج، وهناك منافسة بين الاثنين حول قلب المغنية، فيذهبان إليها في الملهي كي يسمعاها وهي تغني : "هل هلال العيد .. ع الإسلام سعيد" وتصدم المطربة في الطريقة التي يتعامل بها كل من الثري وعمه، تقرر أن تنتقم منهما إلى أن تلتقي بالمطرب وحيد في إحدي الحدائق ليلًا .

ونور الهدى موجودة في أغلب أحداث الفيلم ، فهي واقفة إلى جواره وهو جالس في الحديقة يغني : "أيامي الحلوة" ، "إنساها وريح قلبك" ، "دي آخر غنوة غنيتها في دنيا حبك" .

ثم هي تأخذه إلى البيت لديها كي ينام هناك، ويسبب لها المتاعب حين يأتي الأهل تارة أو حين يأتي كل من الثري وعمه، فيغني "يا ما جوه الدولاب مظاليم" من أجل إثبات براءته أمام الحبيب الثري، ثم هي تغني له "إن جيت للحق أنا زعلانة .. واخده على خاطري وغضبانة .. أنا قلب وروح .. دا أنا إنسانة – زعلانة زعلانة زعلانة" .

وهناك تقارب واضح بين الفيلمين "عايزه أتجوز" و"ما تقولش لحد" سواء من حيث مساحة ظهور المطربة أو نجاحها، فهناك مطربة مبتدئة تقيم في بيت

للطالبات تدمن الكذب وتخبر زميلاتها أن المطرب الشهير وحيد يحبها، ثم تبدأ في فرض نفسها عليه، وتدخل عليه حياته كي تفسد علاقته بحبيبته الراقصة .

وفي كلا الفيلمين هناك دائما راقصة إلى جوار المطرب، سواء سامية جمال أو ليلى الجزائرية، وهناك أغنيات ثنائية بين المطرب والمطربة مثل "ما أقدرش أقول آه" .

وكان آخر أفلام نور الهدى على الشاشة في عام 1953م ، وهما فيلمين باسم "حكم قراقوش" ثم "حكم الزمان" ، وهو نفس العام تقريبًا الذي بدأ نجم نجاح سلام يلمع في السينما وكانت قد جاءت إلى مصر ونجحت في الغناء وبدأت السينما تتلقفها .

وبالنظر إلى مجموعة أفلام نجاح سلّام، سنجد أنها استغرقت نفس العمر الذي سارت فيه نور الهدى – حوالى عشر سنوات تقريبًا – كانت تجربتها الأولى "على كيفك" لحلمي رفلة 1952م ، ولم تكن البطولة المطلقة لها حيث اكتفت بالغناء في أغنيتين هما "على كيفك" و"مره في يوم من ذات الأيام" ، وكلاهما من تأليف مأمون الشناوي وألحان أحمد صدقي، وفي عام 1953م قدمها حسن الصيفي في فيلم "ابن ذوات" كأول بطولة مطلقة لها، وفي إطار حدوتة متكررة غنت أربع أغنيات ضمن التسع أغنيات التي تضمنها الفيلم، حيث كتب لها جليل البنداري أغنية "سكة السعادة" ولحنها عبد الوهاب كدخول قوي للمطربة إلى الشاشة، وقد تمتعت الفنانة بخفة ظل واضحة وإن لم تكن تمتلك الموهبة القوية، فغنت أغنية كوميدية باسم "ساعدوا الإسعاف" ولحن لها عبد العزيز محمود أغنية "جميل جمال" ، وغنت مع إسماعيل يس من ألحان عبد العزيز محمود أيضا أغنية "انتي فين" .

وفي عام 1954م عملت في فيلم "دستة مناديل" لعباس كامل الذي غنت فيه أغنية لبنانية اشتهرت بها، كتبها يوسف صالح ولحنها فليمون وهبة ،

هي "برهوم" وهي من الحالات القليلة التي غنى فيها المطربون أغنيات لبنانية وفيها تقول:

برهوم حاكيني زعلانة سليني
من فرقتك يابا مجروحة داويني

برهوم

برهوم يا غالي يا سلوتي ومالي
يا كل آمالي أحكيك حاكيني

وقد ارتبطت نجاح سلام بالسينما الغنائية والكوميدية، واستطاعت أن تنوع من المخرجين الذين عملت معهم ، وفي عام **1953**م ، قدمت فيلمًا كوميديًا جديدًا أمام إسماعيل يس وشكري سرحان هو "الدنيا لما تضحك" إخراج محمد عبد الجواد، وهو الفيلم الذي أعيد عرضه بعد عامين باسم "السعد وعد" .

وقد استأثرت نجاح سلام بالأغنيات في الفيلم حيث غنت أغنيات صارت شهيرة لها مثل "لا تفكر ولا تشغل بالك" من كلمات محمد علي أحمد وألحان أحمد صدقي، ثم "على طول على طول .. قلبك مشغول على طول .. أنا قلبي معاك مطرح ما تروح على طول" ، من كلمات نفس الكاتب وألحان أحمد صبره ، و"يا شمعدان حارتنا يا منور حينا .. الضلمة تملا بيتنا في غيابك عننا" من كلمات جليل البنداري وألحان كمال الطويل وغنت مع إسماعيل يس اسكتش "الحلم" وغنت مع المجموعة الاسكتش الشرقي .

وإذا عدنا إلى فيلم "دستة مناديل" **1954**م فلأنه من الأهمية التوقف عند ما شكلته نجاح سلام مع إسماعيل يس من ثنائي كوميدي بدأ في اسكتش المحولجي الذي لحنه أحمد صبره ، والذي يبدأ بكلمات لها :

إسماعيل :

محولجي في السكة الحديد وف شغلتي واعي وشديد

عمال يحول من بعيد لاسكندرية وبورسعيد

محولجي في السكة الحديد

طول النهار خادم مطيع لحضرة الإكس السريع

يا خوفي من بقي الفظيع ليخفي فيه قطر الصعيد

محولجي في السكة الحديد

نجاح : يا حبيب القلب يا برهوم تسمح تتحول ناحيتنا

إسماعيل: استني لما القطر يقوم على بنها لنفقد وظيفتنا

نجاح : برهومتي ياللي ما فيش بعدك آن الأوان نفرح يا جميل

تحب يا حبيبي أساعدك

إسماعيل : ما تعرفيش علم التحويل .

وفي نفس الإطار غنت نجاح أغنية خفيفة أخرى لإسماعيل الحبروك مؤلفًا وأحمد صدقي ملحنًا هي "صفر يا وابور واجري شوية .. وصلني قوام لاسماعيلية"، كما غنت واحدة من الأغنيات التي لا تزال باقية حتى الآن كتبها فتحي قورة ولحنها كارم محمود هي "الصباح" :

صبح الصباح محلاه والشمس جايه معاه

وكل شيء في الكون سبح بحمد الله

يا رب مالك شريك يا رب

والنعمة دي نعمتك كل القلوب تناديك يا رب

وبعد زواج نجاح سلام من محمد سلمان بدأ الاثنان يقلصان نشاطهما في مصر ورحلا إلى لبنان، وبعد فيلم "الكمساريات الفاتنات" لحسن الصيفي

1957م عادت إلى لبنان، وهناك عملت في أفلام قليلة لم يصل صداها إلى العالم العربي هي "اللحن الأول" ، و"لمن تشرق الشمس" 1958م ، ثم "مرحبًا أيها الحب" 1962م الذي اشترك في بطولته نجوم كثيرون من مصر منهم يوسف فخر الدين .

ويمكن اعتبار "الكمساريات الفاتنات" هو واحد من أواخر أفلامها الغنائية الشهيرة أو الكوميدية، وفيه عملت أمام إسماعيل يس حول أربع فتيات يعملن كمساريات ويحاول الكمسارية إعادتهن إلى البيت فيتزوجون منهن ، وفيه غنت مع إسماعيل يس أغنية "تبقى أنت والأيام" و"المكوجي" ومع الثلاث بنات أغنية "الشهادات" التي لحنها محمد الموجي و"ياللا يا ركاب" .

أما آخر الأفلام المصرية التي عملت فيها نجاح سلام فهو "سر الهاربة" لحسام الدين مصطفى أمام سعاد حسني وكمال الشناوي وشكري سرحان، وهو فيلم أكد تمامًا أن نجوم السينما الغنائية لم يعد أمامهم قصص أو عوالم تناسب أو تشابه ما قدموه في الماضي فنحن هنا أمام قصة بوليسية حول أحمد الذي يموت أبوه وتتزوج أمه من يونس مدير الشركة، فيتزوج من فتاة أبوها محكوم عليه بالسجن لجريمة قتل، يهرب مروان من السجن كي ينتقم من يونس، إذ يتضح أنه الذي أجبره على قتل والد أحمد كي يتزوج زوجته، ويطالبه مروان بالمال المتفق عليه وينشب خلاف بينهما ينتهي بإطلاق يونس الرصاص على حورية حتى لا تخبر أحمد بالحقيقة .

لكن حورية تنجو، ويتم القبض على يونس وتعود حورية إلى منزلها بعد أن ثبت إخلاصها بعد أن حاول البعض تشكيكه بخيانتها له .

ولا ينتمي الفيلم بالمرة إلى السينما الغنائية، وكانت البطولة الأولى لسعاد حسني أما نجاح سلام فقد غنت أغنيات ألفها محمد حلاوة ولحنها محمد الموجي .

ومن الواضح أن التجربة قد تركت أثرها لدى المطربة فعادت إلى لبنان وكانت تمثل هناك من وقت لآخر في أفلام مثل "الشيطان" 1969م و"انت عمري" عام 1972م ، ولكن المهم أنها لم تتوقف قط عن الغناء في الحياة العامة حتى بعد أن ارتدت الحجاب .

الفصل الثامن
إسماعيل يس

إسماعيل يس له في السينما مكانة خاصة ونكهة مميزة، وهو الذي بدأ حياته ملقيًا للمونولوجات في الكازينوهات .

ولاشك أن ما كان يؤديه إسماعيل يس، وما يقوم به من استعراضات في بعض الأفلام لم يكن كله من فن المونولوج ، فهناك فرق واضح بين ما كان الممثل المونولوجست يؤديه على الشاشة وبين ما كان يردده الآخرون من نفس الجيل، خاصة ثريا حلمي ، ومحمود شكوكو، وحسين المليجي .

ومن المهم قبل أن نبدأ الحديث عن السينما الغنائية في أفلام إسماعيل يس التوقف عند مصطلح المونولوج؛ فهو حسب ترجمته اليونانية يعني الإلقاء الفردي وفيه تتعدد بحور الشعر وبالتالي تتغير إيقاعات الأداء، وحسبما جاء في كتاب "إسماعيل يس" لمحمد عبد الفتاح، فإن المونولوج بدأ يظهر من خلال المسرح الغنائي في الألحان الفردية التي كان يؤديها مطربو الفرقة ثم انتقل مستقلًا إلى التخت عندما كان يقف المغني مباشرة أمام الجمهور، ثم انتقل إلى السينما بانتقال أبطال غناء المونولوج إليها .

وعلى هذا، فإن المونولوج الغنائي الدرامي لا علاقة له بالمونولوج الفكاهي (الساخر) الانتقادي الذي يندرج عادة تحت قالب الطقطوقة، وهو يغني عادة على إيقاع سريع، وتصاحبه أحيانًا حركات ضاحكة من المؤدي ويعتمد المؤدي على السخرية والنقد المبالغ فيه إلى حد رسم صورة كاريكاتورية بالكلمات لما يراد أن يقال، وما أضافه إسماعيل يس هنا أنه جعل المونولوج يرسم أكثر من صورة داخل المونولوج الواحد قد تصل إلى ثلاث مع تغيير المذهب والكوبليه ..

وحسب نفس المرجع، فإن إسماعيل يس قد جدد شباب هذا القرن وغير من موضوعه وجعله يعيش في أذهان ومخيلة الناس فترة طويلة من الزمن .

وباعتبار أن إسماعيل يس قد قام في بداية حياته بالكثير من الأدوار الصغيرة في أفلام عديدة، فإنه من الصعب حصر الأغنيات التي شدا بها، لكن المؤكد أنه لم يغن في كل هذه الأفلام، أي أنه لم يعتمد على شهرته كمغني مونولوجات في أفلامه الأولى، وسيظل إسماعيل يس ينتقل بين الأفلام لا يعتمد على المونولوجست بداخله قدر اعتماده على نفسه كممثل كوميدي .

ومن بين الأفلام الأولى التي غنى فيها إسماعيل يس، كان هناك "علي بابا والأربعين حرامي" لتوجو مزراحي ، ثم "أخيرًا تزوجت" لجمال مدكور، وهما من إنتاج **1942**م ، وفي كليهما غنى مونولوجًا فرديًا أو ثنائياً ، ففي الفيلم الأول غنى "أبو عرام يشبه علي بابا" ، وهو من تأليف عزت الجاهلي وألحان رياض السنباطي . وفي الفيلم الثاني غنى مع زميلته ثريا حلمي (التي غنى دوما بما يوحي أنه ديالوج) ، وذلك في عمل من تلحين عبد الحميد عبد الرحمن باسم "فين المأذون يلحقنا" .

ومن جانب آخر، فإن أفلام أخرى عديدة تنتمي إلى السينما الغنائية لم يغن بها إسماعيل يس، مثل فيلم "نداء القلب" الذي غنى فيه البطل إبراهيم حمودة ست أغنيات، وفيلم "الطريق المستقيم" لتوجو مزراحي **1943**م الذي غنت فيه فاطمة رشدي (أربع أغنيات) ، ثلاث منها بصوت شهرزاد، كما أن محمد أمين هو الذي انفرد بالغناء في فيلم "تحيا الستات" لتوجو مزراحي أيضًا عام **1943**م . وفي فيلم "من الجاني" لبدرخان **1944**م اشترك في الغناء كل من البكار ودرية أحمد وشافية أحمد وعبده السروجي، وفي فيلم "نادوجا" لحسين فوزي في نفس العام غنى بكار كافة أغنيات الفيلم .

ومن الواضح أن هذه الأفلام كانت مصنوعة من أجل نجومها من المطربين البارزين في تلك المرحلة، لكن الأمر كان يختلف من وقت لآخر حين نجد أنفسنا أمام فيلم من طراز "نور الدين والبحارة الثلاثة" ، حيث غنى إسماعيل يس بمفرده أغنية عن "البسبوسة البسبوسة" ، وهي من تلحين السنباطي، ثم اشترك مع كل من علي الكسار، وزميله علي عبد العال في غناء "ارقص غني .. اضحك كركر" ، و"آه يا سلام سلم " .

إذن فليست هذه مونولوجات، بقدر ما هي أغنيات ساخرة بها الطابع التهكمي والأداء الكوميدي، وقد ظلت ظاهرة قيام إسماعيل يس بالغناء في الأفلام التي اشترك فيها مستمرة طالما كان هناك مطرب كشخصية رئيسية في الفيلم، فالأغنيات الست التي تضمنها فيلم "القلب له واحد" لبركات 1945م ، خصصت لها صباح المطربة الجديدة، ولم يغن اسماعيل يس أغنية واحدة من الأغنيات الثمانية التي سمعناها في فيلم "ليلة الحظ" لعبد الفتاح حسن، وفي تلك الفترة كان إسماعيل يس يغني أحيانًا بعض الأغنيات مثلما فعل في فيلم "المظاهر" لكمال سليم 1945م، حين غنى "مرحب أولاد البلد" التي كتبها بيرم التونسي ولحنها عزت الجاهلي .

ومن الواضح أن إسماعيل يس الذي هجر الغناء في الملاهي الليلية إلى الأفلام في تلك الفترة، قد اهتم بنفسه كممثل في المقام الأول وفي حالة إسناد أغنية له فإنه يؤديها بأسلوبه الخاص وبصوته المميز وأدائه الضاحك، مثلما فعل حين غنى "البني آدم .. إبليس يطفش أعماله" في فيلم "البني آدم" لنيازي مصطفى 1945م ، وأغنية "مونولوج الفرحة" في فيلم "القرش الأبيض" لإبراهيم عمارة في نفس السنة .

وقد نظرت السينما إلى إسماعيل يس كمجرد صانع للضحك، وفي حالة الغناء فإنه يتم الاستعانة بالمطربين المشهورين، مثل ليلى مراد في "ليلى بنت

الأغنياء" وفي "قلبي دليلي" ، وكان يكفي لإسماعيل يس وشكوكو أن يؤديا استعراضًا غنائيًا باسم "ميمون" .

وفي أفلام أنور وجدي، حاول المخرج الممثل دومًا الاستعانة بإسماعيل يس كمونولوجست، وقد ذكر اسمي شكوكو وإسماعيل يس في أفيشات فيلم "قلبي دليلي" فقط كمونولوجست، وفي فيلم "دهب" أدي كل من فيروز وإسماعيل ووجدي استعراضًا غنائيًا راقصًا هو "البلياتشو" الذي ألفه فتحي قورة ولحنه عزت الجاهلي، وهو نموذج يحتذي به في الكوميديا الاستعراضية، حيث تم إخراجه في صالة عرض ضخمة، تم الاستعانة فيه بالعديد من الراقصين والراقصات وتم تقطيع المشهد بشكل جذاب، ويهمنا هنا أن ننقل إلى القاريء كلمات هذا الاستعراض كي يمكنه استرجاع شكل الاستعراض والأداء المميز للثلاثي الذي قام به، سواء من حيث الغناء أو التمثيل :

إسماعيل : أنا بلياتشو	أنور : آه بلياتشو
إسماعيل : مش بلياتشو	أنور : لا بلياتشو
إسماعيل : طب خد طب خد	أنور: طب خد طب خد
فيروز : استني انت وهو	هي المسألة عافية وقوة
تتخانقم ليه	طب وعشان إيه
أنور : الحق عليه	بلياتشو ده ولا فتوة
فيروز : استنوا ما تتخانقوش	استنوا ما تتعاركوش
أنا حاحكم بينكو وأشوف	مين فيكو الحق عليه
اتفضل قوللي جنابك	هو عمل لك إيه
إسماعيل : يعني يصح يا ست يقول	إن أنا بلياتشو
هو ده يبقى كلام معقول	إن أنا بلياتشو
دا أنا بسقي الناس العطشانة	من ماء الترعة البولاقية

وهزمت فريق الترسانة   في لعب الكورة الأرضية
يبقى يصح يا ست يقول   إن أنا بلياتشو
فيروز : من غير ما يقول الناس   بتقول إنك بلياتشو
يسلم من سماك بلياتشو   وأبوك بلياتشو
إسماعيل : عمري 12 سنة بالضبط   مافيش في كلامي مغالطة
فيروز : منهم خمسة صياعة وخمسة مجاعة   وواحدة ونص أونطة
إسماعيل : أما النص الباقي قضيته ف   رحلة بين أمريكا وطنطا
على رجليا ثم ايديا وبعد   شوية بقيت بلياتشو
فيروز : كبدي عليه والنبي مسكين
إسماعيل : بس الناس دول مش عارفين
فيروز : بتفرفشهم وتضحكهم
إسماعيل : وأنا في الواقع قلبي حزين
أشكي لمين وأحكي لمين
الثلاثة : يا حلو لولو   ع البلياتشو
حتى في معره وفشره ونتشه   بلياتشو بلياتشو

وفي فيلم "قطر الندي" لنفس المخرج جسد إسماعيل يس شخصية بلياتشو آخر، أو مهرج يرتدي زي شارلي شابلن، ولحن له منير مراد أغنية "انت فاكراني" على نفس الإيقاع الذي غنت به أم كلثوم أغنية بنفس الاسم، والأغنية من تأليف أبو السعود الإبياري، وهما نفس الثنائي الذي ألقي ولحن أغنية "القتيل" التي يقول فيها :

أنا القتيل أنا القتيل   من الهوى والسكس أبيل
من غير رصاص يا دهوتي   طبيت قتيل زي المعيز
قتلتني بعيونها التي   في طرفها حور لذيذ

وأنور وجدي هو الذي كتب السيناريو لفيلم "المليونير" الذي انتجه أيضًا، ومنح إسماعيل يس أول بطولة مطلقة له في السينما، وهو فيلم كانت البطولة ليست فقط الأولى، بل هي بطولة مضاعفة حيث جسد إسماعيل يس شخصيتين، الأولى هو الزوج القاتل، والثانية الفنان جميز الذي سيحل محله في قصره في الفيلم .

ومن الواضح أن أنور وجدي قد كتب السيناريو ودفع به إلى الإبياري كي يكتب الحوار والأغاني التي لحنها عزت الجاهلي من أجل الاستفادة من موهبة إسماعيل يس في الاستعراض الغنائي ونحن هنا لن نتوقف عند كلمة مونولوج، فأغلب هذه الاستعراضات بمثابة اسكتشات ثنائية أو جماعية مثل لحن "المجانين" الذي هو عبارة عن حوار غنائي بين المجانين في مستشفي المجانين اشترك فيه ممثلون كثيرون في أدوار قصيرة منهم سراج منير الذي جسد عنترة بن شداد (مجنونًا) ومحمد توفيق وغيرهم .

وقد تضمن الفيلم أغنيات فكاهية عديدة ، مثل "العز" و"يا خواتي مراتي مشاية" و"الأغنية التركية" و"الزفة" و"السكاري" ، ثم الأغنية الثنائية الشهيرة "أنا هاروح" بين سعاد مكاوي وإسماعيل يس والتي نورد بعضا مما جاء فيها :

أنا هاروح — ما تروحشي
لأ أنا مروح — ما تروحشي
عايز أروح — ما تروحشي
لو هاستني هنا هاتوفي — م الحقن اللي باخدها في جنبي
بعد يومين كلي هيتصفي — وأخرج من هنا ميت رسمي
شوفي دراعي يا عيني يا دراعي — خمسين حقنة من غير دراعي
لو مش عيب كنت أبكي وأنوح — ما تنوحشي
عايز أروح — ما تروحشي

لأ أنا مروح	ما تروحشي
أنا مش فاهمة هتروح فين	ما هو دا بيتك يا سيدي البيه
سلامة عقلك يا نور العين	بعد الشر جري لك إيه
نازل فين وهجر بيتك	بعد ما حبيتني وحبيتك

إذن فالغناء قد اقترن مع انتقال إسماعيل يس من الأدوار الثانية إلى البطولة السينمائية، وكان إسماعيل يس قد أثبت قبل ذلك بفترة قصيرة أنه قادر على إنجاح فيلم ما من خلال قدرته على الغناء والاستعراض، وذلك من خلال الثلاثي الذي شكله كل من إسماعيل يس، وشادية وشكوكو في فيلم "ليلة العيد" لحلمي رفلة وقد عرض في نهاية عام **1949**م ، وبدا وكأن رفلة يراهن على إسماعيل يس وحده، وفي فيلم "ليلة العيد" حيث غنى الثلاثة معًا "يا حلاوة الفول" ، و"اوعى يمينك اوعى شمالك" ، و"احنا التلاتة سكر نباتة" و"مجنون ليلى" ، الذي اشترك فيه أيضًا إلياس مؤدب، كما غنى إسماعيل يس مع شادية اسكتش "هيلا هوب"

وحلمي رفلة هو أكثر من دفع إسماعيل يس للغناء في أفلامه سواء الأغنيات الفردية أو الجماعية، وقد حدث هذا في "البطل" عام **1950**م، ثم "الآنسة ماما" في نفس السنة، فغنى إسماعيل يس مع صباح "ما أعرفشي ما أعرفشي" ، ومع صباح ومحمد فوزي استعراض "أبطال الغرام" ، وفي فيلم "بلد المحبوب" **1952** ، غنى إسماعيل يس أمام سعد عبد الوهاب "حلوين كدا ليه" ومع الكورس "البوسطجي" ومع كل من سعد عبد الوهاب وشريفة ماهر وسعاد مكاوي استعراض "هن هن " .

ولاشك أن هذا قد شجع مخرجين آخرين على تكثيف العمل مع إسماعيل يس كمطرب للأغنيات المضحكة، مثل سيف الدين شوكت الذي أخرج له

فيلم "فلفل" عام **1950**م، ثم يوسف معلوف في أفلام عديدة منها "في الهوا سوا" **1951**م.

وفي هذا الفيلم الأخير، هناك مونولوج غنائي بالغ الظرف ويتسم بخفة ظل عالية هو "إيه ح يهمك" الذي جاء فيه :

إيه ح يهمك م اللي يذمك — واللي يبعتر فيك ويلمك

خدها نصيحة صريحة مريحة — خليك راجل أوع يهمك

وهذا النوع من الأغنيات قد تمتلىء بالحكمة الشعبية أو السخرية أو بروح الفكاهة والدعابة، وفي كثير من هذه الأفلام كان إسماعيل يس يغني باعتباره مطربًا يؤدي الاستعراضات مثلما حدث في فيلم "البطل" ، أي أن العمل من نفس الأداء، وفي أحيان أخرى لم يكن يؤدي دور المطرب أو مؤدي الأغنيات، سواء كانت مونولوجات أو استعراضات أو أغنيات جماعية .

وبعيدًا عن حلمي رفلة وأفلامه التي أخرجها لإسماعيل يس، فإن الممثل كان يشترك في الغناء مع آخرين، حيث لم يكن المغني الوحيد في أفلام أخرى ، مثل "قليل البخت" لمحمد عبد الجواد **1952**م و"عشره بلدي" لإبراهيم حلمي **1952**م. ففي الفيلم الأول مثلًا غنى إسماعيل يس وحده "ليه بس يا بخت لبخت" و"يا ليلة زينة" ، كما غنى أمام شادية "ما اقدرشي يوم أنساك" وغنت شادية أغنيتين بمفردها هما "الليلة تمت خطبتي" ، و"آدي اللي كان يا زمن" ، وفي فيلم "عشره بلدي" غنيا دويتو لطيفًا مع محمد أمين يقولان فيه :

أهلًا أهلًا — أهلًا بيك

فرصة سعيدة — الله يخليك

أما المخرج الذي استفاد من إسماعيل يس كمطرب، فهو أيضًا عباس كامل ثم محمد عبد الجواد الذي جاء على لسانه والذي كتبه بديع خيري في فيلم "الدنيا لما

تضحك" أنه لماذا يغني البناءون رغم المتاعب التي يعانون منها في العمل، فرد إسماعيل قائلا : لأن الغناء يهون عليهم التعب.

ومثلما امتلأ فيلم "الدنيا لما تضحك" بالمطربين الذين غنوا، ومنهم نجاح سلام، فإن المخرج عبد الجواد قد جعل إسماعيل يغني مع المجموعة أغنيتين هما : "اسكتش الحلم" ، و"البنائين" ، وفي فيلم "دستة مناديل" لعباس كامل غنى إسماعيل يس أغنية الخطوبة التي كتبها فتحي قورة، ولحنها عزت الجاهلي، وفيها يقول على طريقته:

هنوني الليلة وهنوها باركوا لي بشدة أنا وهي
دي الفاتحة الليلة هيقروها على روح أيام العزوبية
هنوني الليلة وهنوها
نحن السابقون عند المأذون وانتو اللاحقين حسب القسمة
قولوا للأحباب يكفاكوا عذاب وسلام وعتاب ويا النسمة
اعملوا كده زي وفضوها واتلموا في بيت الزوجية
دي الفاتحة الليلة هيقروها على روح أيام العزوبية

ومن الواضح أن فطين عبد الوهاب الذي عمل في أكثر الأفلام التي تحمل اسم "إسماعيل يس في ...." لم يهتم بمسألة أن إسماعيل يس مطربًا، قدر اهتمامه أن يكون مضحكًا من خلال الحركات والأداء الكوميدي المعروف عنه، ففي فيلم "الآنسة حنفي" وهو التعاون الأول بين الطرفين، كان المطربون أشخاصًا آخرين غير إسماعيل ، وهما حورية حسن وشفيق جلال، وسوف يتكرر نفس الأمر في أغلب أفلام الاثنين معًا ومنها فيلم "امسك حرامي" حيث غنت فايزة أحمد "حمال الأسية"

لكن بالطبع هناك استثناءات من فيلم لآخر، ففي التعاون الثنائي بين فطين وإسماعيل يس في "إسماعيل يس في الجيش" غنى بمفرده "لو أغمض عين وأفتح عين" واشترك مع كل من النابلسي والنجدي وحسن أتله في غناء "سلم

علي سلم علي" ، لكن إسماعيل يس لم يغن قط في أفلام أخرى جمعت بين الاثنين مثل "إسماعيل يس في البوليس" و"إسماعيل يس بوليس سري" و"ابن حميدو" و"امسك حرامي" و"إسماعيل يس في مستشفي المجانين" ، وفي فيلم "إسماعيل يس بوليس حربي" غنى المقطع الأول من أغنية "في يوم من الأيام" في وجود عبد الحليم حافظ ..

ورغم تقدم العمر والتجربة بإسماعيل يس، فإنه كان يعود إلى نفس النوع من الغناء في أفلام لاحقة، وبدا وكأنه لم يفقد القدرة على الغناء ويتمتع بنفس النبرات، مثلما حدث في فيلم "المليونير" لحسن الصيفي عام **1959**م، حيث غنى اسكتشاً اشتركت فيه فايزة أحمد التي مثلت الخير ونجوي فؤاد التي مثلت الشر والإغراء، وذلك بعنوان "عشان بحبك أنا " وهو من تأليف فتحي قورة وتلحين منير مراد .

وفي عام **1960**م غنى مجددًا في فيلم آخر لحسن الصيفي هو "إسماعيل يس في السجن" ، وإذا كان المخرج قد جمعه في الفيلم السابق مع فايزة أحمد التي تكثف ظهورها في العديد من الأفلام كمطربة في تلك المرحلة، فإنه راهن على مطربة صعدت فنيًا أيضاً في هذه الفترة، هي مها صبري، وجعلها تشارك إسماعيل سن في أكثر من فيلم، منها "حسن وماريكا" ، وهذا الفيلم الذي غنى فيه إسماعيل يس وحده أغنية "أيظن" وهي تنويعة على الأغنية الشهيرة لكنها بكلمات فتحي قورة وألحان محمد فوزي .

والملاحظ أن إسماعيل يس توقف عن الغناء في هذه السنوات مع كافة المخرجين، عدا حسن الصيفي الذي عمل معه إسماعيل يس بشكل مكثف في أوائل الستينيات في "ملك البترول" ، و"المجانين في نعيم" وفي "الترجمان" حيث غنى إسماعيل أغنية يتذكرها من سمعها لأول مرة في الفيلم حين عرض في أواخر عام **1981**م والتي يقول فيها :

وبعد برج القاهرة توجد حفلة ساهرة

الليلة الساعة العاشرة

ويقول محمد عبد الفتاح في مرجع سابق "إنه إذا كان المونولوج هو بدايته الأولى لمعرفة الناس به، فقد عاد إسماعيل يس في أواخر أيامه ليعتلي خشبة المسرح في الملاهي الليلية، التي لا يختلف كثيرًا روادها وجمهورها عن جمهور صالة بديعة أو مباني الأربعينيات والخمسينيات، وقد استقبله الجمهور بالتصفيق والهتاف كما استقبله في مستهل حياته .

"لكن شتان بين الشاب الذي بدأ حياته، وابن الستين الذي تمكنت منه الأمراض" وعلى كل فإن الناس لم تعرف هذه الصورة عن إسماعيل يس من خلال السينما .

الفصل التاسع
صباح

صباح هي المطربة الأكثر أهمية في السينما العربية، كما أنها الأكثر تواجدًا وحضورًا، سواء في مصر أو لبنان، حيث ظلت تعمل منذ عام **1945**م وحتى عام **1980**م ، فعملت أمام أكثر المطربين ونجوم السينما وارتبط وجودها على الشاشة بالغناء في المقام الأول .

وقد تمتعت صباح بأريحية وجمال أخاذ، وصوت جميل وقدرة على التنوع وموهبة تمثيلية لا بأس بها، وفي الوقت الذي اختفت فيه عن الساحة مطربات عديدات من أجيال عملن إلى جوار صباح ومن تلاها ، فإن صباح قد ظلت على الساحة ، سواء في السينما أو في مجال الغناء .

وقد شاهد الناس صباح لأول مرة كفتاة صغيرة تصلح لأن تكون سندريلا في فيلم "القلب به واحد" لبركات، الذي عرض في يناير **1945**م، ولم تكن المطربة الصغيرة قد تبلورت إلى الشكل الذي عرفناها عليه فيما بعد سواء من ناحية الشكل أو قوة الصوت وجاذبيته، وقد بدا أن هناك رهانًا على صباح القادمة من لبنان من أجل أن تنافس نور الهدى، أو أن تكون هناك مطربة لها نفس الحضور والقوة، وفي هذه الفترة كان الفيلم الأول للمطرب عادة ما يضم عددًا كبيرًا من الأغاني كنوع من التأكيد على أهمية المطرب ولضمان الرهان عليه من ناحية أخرى .

وفيلم صباح الأول ضم ست أغنيات غنتها وحدها في ظروف متعددة وهي تقوم بدور سندريلا التي تعاني من زوجة أبيها وضعف شخصية أبيها

فتتركها الأسرة وتذهب إلى حفل يقيمه أحد الأثرياء، لكن الظروف تقود الفتاة إلى منزل الثري الذي يقع في هواها .

وسندريلا هنا هي فتاة عصرية تسكن المدينة، وقد غنت صباح هذه الأغنيات لتملأ أجواء الفيلم أمام أنور وجدي، فبدت كأنها البطلة الفردية، ومن المعروف أن أسماء المطربين والمطربات كانت تتصدر أفيشات الأفلام العربية قبل شركائهم لأن مساحة الظهور على الشاشة أكبر من الشريك .

هذه الأغنيات الست هي من تأليف بيرم التونسي وبديع خيري ومأمون الشناوي وصالح جودت ، ومن تلحين زكريا أحمد والسنباطي والقصبجي. وهذه الأغنيات هي : "بشويش على عقلك بشويش" و "أروح ما أروحشي" و "لأ مخاصماك" و "أنا مش عارفة ليه متاخده" ، "يا رب حيرانة" ، و"المركب" ، ورغم أننا أمام فتاة مظلومة مقهورة فإن الأغنيات كما نري خفيفة مليئة بالبهجة وروح الشقاوة، وقد ظلت هذه النوعية من هذه الأغنيات ملاصقة لصباح في كافة أفلامها، فهي البنت الشقية المثيرة للإغراء أحيانا، الطيبة دومًا ، النقية العاشقة، وإذا كنا قد تحدثنا عن "القلب له واحد" فليس لأنه الفيلم الأول لصباح، بل إن هناك أفلام أخرى عرضت لها في نفس العام مثل "هذا جناه أبي" و"أول الشهر" و"سيبقى الفيلم الأول الأكثر جاذبية لفترة طويلة، ففي فيلمها الثاني "هذا جناه أبي" كانت مظلومة وحزينة خاطئة ، عرفت الطريق إلى المحاكم.

وقد استطاعت صباح أن تفرض جاذبيتها في أفلامها التالية مثل : "اكسبريس الحب" و"أول نظرة" و"أنا ستوتة" و"لبناني في الجامعة" لكن لاشك أنها كانت في أحسن حالاتها في تلك الفترة حين كانت تقف أمام مطربين لتشكل ثنائياً فنيًا ، سواء مع فريد الأطرش أو محمد فوزي، حيث

كانت تبدو في قمة تألقها، سواء حين تغني بشكل فردي أو دويتو أمام المطرب الذي تقف معه .

وقد عملت صباح مع الأطرش في ثلاثة أفلام هي "بلبل أفندي" لحسين فوزي عام **1948**م، ثم "لحن حبي" لبدرخان عام **1953**م، و"إزاي أنساك" لبدرخان عام **1956**م ، أما محمد فوزي فقد عمل أمامها في "صباح الخير" لحسين فوزي **1947**م، و"الآنسة ماما" لحلمي رفلة و"الحب في خطر" لرفلة **1951**م، و"فاعل خير" لحلمي رفلة **1953**م، و"ثورة المدينة" لحلمي رفلة **1955**م.

وفي كلتا التجربتين كان على صباح أن تغني من ألحان المطرب الممثل الذي أمامها، وأن تدخل معه في مباراة عمادها الغناء وخفة الظل ففي "بلبل أفندي" ، رأينا صباح تقوم بدور فتاتين إحداهما بريئة تبحث عن طريق للشهرة والمجد، والثانية زوجة مخادعة لا تلبث أن تقع في شراك خداعها، وقد غنت صباح مع شريكها فريد الأطرش ثلاث أغنيات هي "حطة يا بطة" و"أنا قلبي" و"أنغام من الشرق" ، وغنت لنفسها أغنية واحدة هي " هاغني يا دنيا" .

وشتان بين الشخصية التي جسدتها صباح أمام فريد الأطرش في الأفلام الثلاثة، فهي في لحن حبي تؤدي دور ابنة مغلوب على أمرها، أمها تخون الأب المريض، وعندما تكتشف الابنة الأمر فإنها تنسب الخيانة لنفسها حتى لا توقع أمها في دائرة المتاعب، وهي في نفس الوقت تحب جارها المطرب الشاب الذي يود أن يشق طريق المجد في عالم الغناء، وفي إطار هذه الحدوتة غنت صباح أغنيتين فرديتين هما "يا علي" و :

بيحـــبني وباحبه .. ولي محبة في قلبه
لكن عزولي جنبه .. حارمني بهجة قربه

كما غنت في أوبريت "فارس الأحلام" الذي شاركها الغناء كل من فريد الأطرش وإسماعيل يس .

وفي الفيلم الثالث كانت صباح هي المطربة الشابة المتمردة، التي بدأت من الحضيض، كانت تطمح في الوصول إلى هدفها والتعرف على مطربها المفضل فريد بأي شكل، فراحت تطارده حتى أمكنها الوصول إليه ثم صارت مطربة الفرقة وانتزعت فريد من فتاته التي راحت تدبر المؤامرة لاستغلال الطموح المدمر لدى زنوبة من أجل إبعادها عن فريد .

وفي هذا الفيلم غنت صباح مجددًا أغنيتين فرديتين وأغنية أوبريت مع فريد الأطرش، الأغنيتان هما "أحبك ياني" و"زنوبة" . وكما نري فإنها أغنيات خفيفة كلماتها مليئة بالدلال والشقاوة وهي نفس سمات أغنيات صباح في تلك الفترة .

هذه السمات بدت واضحة في مجموع الأفلام التي جسدتها أمام محمد فوزي وهي أقرب إلى "بلبل أفندي" ، فالثنائي "فوزي صباح" يتمتع بحضور وخفة ظل ملحوظتين، يبدوان كأنهما لاعبا كرة بنج بونج يتقاذفان الممازحات والمداعبات فيما بينهما، ومن الواضح أن حسين فوزي قد وجد في صباح نجمته المفضلة قبل أن يتعرف على نعيمة عاكف فعملت معه في أكثر من فيلم، منها "بلبل أفندي" ومن قبله "صباح الخير" ، والفيلم حول مطربة مصرية تعجب بمطرب لبناني دون أن تراه، يحاول الزوج أن يعرف سر هذا الإعجاب، يحضر إليها في هيئة المطرب اللبناني ويحاول إغراءها ولكنها تصده، وتشاء الظروف أن يحضر المطرب اللبناني بالفعل إلى القاهرة ويقابل الزوجين، لكن المرأة تثور عند مقابلتها الأولى بالمطرب بعد أن يحدث سوء تفاهم نتيجة ما فعله الزوج، وفي هذا الإطار راح الاثنان يغنيان معا ويتقاذفان المشاكسات والحب والغيرة .

أما فيلم "الآنسة ماما" فهو نموذج متميز للكوميديا الموسيقية، حول فتاة تهوى الغناء، تلتحق كخادمة بمنزل مطرب مشهور تعجب به ولكنه يصدها، تتقرب من أبيه الذي يعجب بها لكنه يتفهم مشاعرها نحو ابنه فيتفق معها على الزواج الشكلي من أجل إثارة غيرة الابن، خاصة عندما توهمه أنها في مكانة أمه، ووسط مواقف متناقضة جارفة يشعر نحوها بالحب، ولابد لمثل هذه المواقف مع كل من فوزي وصباح أن يتولد الضحك، خاصة أن الأب هو سليمان نجيب، وكعادة الأفلام التي يقوم فيها مطرب بالبطولة أمام مطربة، فإن على كل منهما أن يغني بمفرده، ثم لابد أن يشتركا في دويتو، وفي الدويتو الفكاهي "ماما" تبدو خفة ظل الثنائي، فهي تتصنع أنها الأم التي تدلل صغيرها، وهو يصدق الدور، ويتناطحان ويتحابان بشكل ملحوظ، وقد غنت صباح هنا مع إسماعيل يس "أغنية ما اعرفشي ما اعرفشي" وغنت في أوبريت صغير مع فوزي وإسماعيل يس بعنوان "أبطال الغرام" ، أما فوزي فقد غنى واحدة من أجمل وأرق أغانيه على الإطلاق "يا عيني يا قلبي .. كان قلبك ماله .. كان قلبك .. شاف الجمال كله" .

وقد كان فوزي في أحسن حالاته دومًا أمام صباح، عدا فيلماً واحدًا هو "ثورة المدينة" ، فهو فيلم كئيب حزين لا يناسب ما اعتاده الناس من الثنائي، لكنهما في فيلم "فاعل خير" شدا كل منهما بأغنيات صارت خالدة في خريطة الأغنية، والفيلم يتحدث عن فنان شاب فقير يحب فتاة ثرية تقدر فنه وموهبته، لكن أباها الأرستقراطي يقف في سبيل زواجهما من هذا الشاب قبل أن يضمن الشاب مستقبله، وتحاول فتاة مستهترة أن تساعد الشاب في احتراف الغناء ويحقق الشهرة والثراء على يديها، لكن الشاب يتقدم لخطبة الحبيبة مما يثير غيرة الفتاة العابثة فتسقيه شرابًا يفقده صوته، فيلحق به اليأس ويعمل

على إبعاد خطيبته عنه ويحيا حياة الفقراء، وعندما تجري له عملية جراحية تعيد له صوته يعود إلى حبيبته .

وفي إطار هذه الحدوتة غنى فوزي مجموعة من أشهر أغنياته مثل "مال القمر ماله .. ماجيناش على باله" ثم "السعد واعدني" ، و"روحي وروحك من زمان عايشين سوا .. واللي رماني ع الهوان اسمه الهوى" . أما صباح فغنت "حبيت الليل" و"خدعتني" ، وكان الدويتو الذي جمعهما هو "مثلا .. يعني مثلا .. قصدي مثلا" .

وقد كانت صباح دومًا في أفضل حالاتها حين كانت تقف أمام مطربين مثل سعد عبد الوهاب، وعبد الحليم حافظ، وقد عملت أمام سعد عبد الوهاب في فيلم "سيبوني أغني" لحسين فوزي أيضًا، وصباح هنا هي توتة التي تعشق الموسيقى والغناء، أما زميلتها هند فتعشق الآداب والفلسفة، يرسلهما والداهما من لبنان إلى مصر ليتولى صديقه إدخال كل منهما إلى المعهد الذي يختاره لها، تتفقان على أن تحل كل منهما مكان الأخرى في المعهد الذي يختاره الأهل لهما ، وبهذا تصبح توتة مغنية وهند أديبة، وتتداخل الشخصيتان مما يؤدي إلى حدوث مفارقات .

وليس سعد عبد الوهاب بالطبع على نفس القدر من الموهبة والتدفق الذي يتمتع به فريد الأطرش أو محمد فوزي، لذا فإن الثنائي لم يعمل مرة أخرى معًا .

وقد بدت في أحسن حالاتها كأنثي ومطربة وممثلة خفيفة الظل في فيلم "خطف مراتي" لحسن الصيفي **1954**م، وفيه تقوم بدور سميرة الفتاة التي تتزوج شابًا يدعي أنور بدون حب من أجل مسألة الميراث وينتظران الانفصال، لكن ابن خالة الزوج وابنة عمة سميرة يأتيان لزيارة المنزل، فتنتهز الزوجة هذه الفرصة وتتقرب لابن خالة الزوج مما يثير غيرة زوجها الذي

يكتشف أهمية الزوجة، وفي نفس الوقت فإن الضيفة الثانية ترمي بشباكها على الزوج، مما يوقد الغيرة في قلب سميرة ويدفعهما هذا إلى استكمال حياتهما بدون مشاكل .

والحقيقة أن صباح مصنوعة في المقام الأول لهذا النوع من الأفلام تبدو في قمة تألقها كممثلة ومطربة، وهي هنا تغني أربع أغنيات مشهورة، تتمتع بأريحية عالية منها "شبكتو قلبي" تلحين منير مراد و"شرفتنا" تلحين السنباطي، والتي اشترك في الغناء معها أنور وجدي وفريد شوقي، ثم أغنية "الحلم" تلحين السنباطي أيضًا و"أنت السبب" ألحان عزت الجاهلي .

ومن المهم أن نتوقف هنا عند الحوار المتبادل بين الزوجين سميرة وأنور ثم فريد شوقي في "شرفتنا" :

فريد : الله يا ستي يشرفك   دا من زمان نفسي أعرفك

سميرة : وأعرفك بحضرته   جوزي ومنايا ومطلبي

شوف رقته شوف خفته   دا أنا نفسي حلوة والنبي

لو شفته ليلة دخلته   ما كنت جيت تبارك لنا

لكن بقى القسمة كده   هنعمل إيه في بختنا

أنور : لطيفة خالص

فريد : مدهشة

أنور : غاوية الهزار والفرفشة ..

يا ستي بزيادة بقى   هو دا وقت التريقة

سميرة : من صغري حلوة مدردحة   لكن أعمل إيه في اللي حصل

وردة جميلة مفتحة   حطوها في حزمة بصل

ومع عام 1954م بدأت أفلام المآسي تعرف طريقها إلى خريطة أعمال الفنانة، مثل "يا ظالمني" و"ثورة المدينة" و"صحيفة السوابق" و"دموع في الليل" و"نهاية حب" ، ومن الواضح أن عدد الأغنيات بدأت تقل من فيلم لآخر، وصارت صباح تعتمد على قدراتها كممثلة ، لكنها لم تتخل عن دورها كمطربة تغني حتى وإن لم يستدع الدور الغناء، فهي في "العتبة الخضراء" و"سلم لي على الحبايب" ، تقوم بدور مطربة لكن عليها أن تغني في أفلام أخرى مثل "جوز مراتي" و"الحب كده" . وسوف نتوقف هنا عند تجربتيها مع حسن الإمام في فيلمي "وكر الملذات" 1957م ، ثم "إغراء" 1957م ، حيث غنت في الفيلم الأول ثلاث أغنيات فقط هي "كتكوتة" و"طرق الهوى بابي" ثم "الحلم" ، أما في الفيلم الثاني فقد غنت أربع أغنيات كلها من ألحان عبد الوهاب "من سحر عيونك يا" و"حبيتك يا اسمك إيه" و"جوه القلب" ، و"أغنية الوداع" .

وقد تألقت صباح مجددًا أمام عبد الحليم حافظ في فيلم "شارع الحب" لعز الدين ذو الفقار 1958م، وجمعت بين بنت الأكابر الحسناء الذكية العاشقة، وبين الأنثي الناضجة التي يغير الحب كثيرًا منها وتصبح أكثر إحساسًا بالمسئولية .

وفي البداية نري كريمة فتاة تتنافس في النادي دائمًا مع زميلتها ميرفت، ويأتي إلى النادي الموسيقار الشاب عبد المنعم صبري ليعلم البنات الموسيقى، ويشترط في الوظيفة أن يكون المدرس عجوزًا، فيتخفي عبد المنعم صبري في زي رجل عجوز، ويصبح مثار سخرية وتنافس . وتأخذه كريمة إلى منزلها الريفي، من أجل أن تدفعه إلى قص لحيته وهذا هو الرهان الذي عليها أن تكسبه من ميرفت، وتغني له أغنية خفيفة تحاول أن تقتنص الموسيقار، فإذا به

يحاول أن يبتعد عن مخاطرها ويتراجع دوما، وهي تبدو كالقناص بأنوثتها وطغيان سحرها .

وقد تألقت، في هذه السنوات كأفضل ما يكون التألق كامرأة جميلة وممثلة، وبدا هذا في مشهد الحمام الذي تنادي بعده عبد المنعم أن يعود، وأيضاً في مشهد الشرفة الذي انتهي بقبلة من الطرفين .

ورغم أن صباح غنت هنا أغنيتين فقد كانت في إحدي أحسن حالاتها، وفي مشهد جمع بين الحبيب الذي عاد إلى فتاته كي يعطيها النقود التي أعطتها له، تبدو وقد ارتدت فستان أبيض فاخر للغاية يكشف عن جمال كتفيها، وتروح تغني له : "لأه .. يا ملوع لي قلبي دقة دقة .. قصدك أنسي حبك .. برضه لأه" ، وقد انتهي المشهد أيضًا بقبلة ساخنة من الحبيبين .

ومع كل فيلم جديد لصباح في تلك الآونة كانت تلمع لها أغنية أو أكثر مثل أغنية "الحلو ليه تقلان قوي" التي غنتها ضمن ثلاث أغنيات في فيلم "ثلاثة رجال وامرأة" لحلمي حليم **1960**م ، وهي من كلمات فتحي قورة وألحان محمد الموجي والتي تقول فيها :

يا سيدي رق يا روحي ميل يا حبيبي ما يصحش كده
خلاص عرفنا إنك تقيل ولحد امتي التقل ده
مش بس انت اللي جميل ما احنا كمان حلوين قوي
تتقل قوي تزعل قوي أنا قلبي بيحبك قوي

وفي فيلم "جوز مراتي" لنيازي مصطفى عام **1961**م ، غنت صباح واحدة من أشهر أغنياتها "حسونة" ، وفي فيلم "طريق الدموع" جسدت شخصية ليلى مراد على الشاشة، باعتبار أن الفيلم يروي قصة حياة أنور وجدي ، وقد غنت أمام كمال الشناوي أغنية بديعة بعنوان "زي العسل".

وقد جسدت صباح في أفلام عديدة في تلك الفترة دور المطربة فلم يكن هناك فارق بين ما تؤديه على الشاشة وبين الشخصية التي تعيشها في الحياة، وقد حدث هذا في فيلم "توبة" و"الليالي الدافئة" حيث جسدت هنا دور مطربة تعاني من زوجها الذي آثر أن تكون علاقتهما الزوجية سرية، لأنه كطبيب من أسرة راقية يرى أن زواجه من مطربة يقف ضد التقاليد، وقد عانت المطربة في هذا الفيلم كثيرًا من الموقف المتعالي من الزوج الذي سعي إلى حرمانها من ابنتها، ومن أجل هذه الابنة غنت "حبيبة أمها" كلمات حسين السيد وألحان فريد الأطرش، وقد نجحت الأغنية مثلما حدث في أغنية سابقة لصباح لم تنشدها في فيلم وهي "أكلك منين يا بطة" .

وقد ظهرت صباح باسمها كمطربة في ثلاثة أفلام هي "هذا الرجل أحبه" و"القاهرة في الليل" ثم "منتهي الفرح" ، وفي هذه الفترة بدت كأنها تختتم مشوارها في السينما المصرية حيث ستسافر إلى لبنان لتعمل هناك بشكل مكثف، في فترة عرفت بالهجرة إلى لبنان سافر فيها إلى بيروت كل من محرم فؤاد، ومريم فخر الدين وإسماعيل يس، وعبد السلام النابلسي وآخرون ، والتقوا هناك وعملوا معًا في أفلام غنائية وكوميدية عديدة .

وقبل أن تسافر صباح إلى لبنان كان دورها في فيلم "الأيدي الناعمة" لمحمود ذو الفقار **1963**م بارزًا ، وغنت فيه أغنيتين طويلتين جميلتين بدتا وكأنهما تقطعان إيقاع الفيلم كي نري الفتاة تمشي في حدائق المنتزة لتغني "ب فتحة با .. باحبك ، ب كسرة بي .. بشدة ، ر ضمة رو .. روحي جنبك" ، ثم لتغني أغنية طويلة أخرى مليئة بالطرب هي الدوامة" .

وفي لبنان غنت صباح أغنيات مصرية أحيانًا وأغنيات باللهجة اللبنانية كثيرًا ، وقامت بدور المطربة التي تقع في غرام الصحفي الذي يهاجمها في فيلم "حبيبة الكل" عام **1964**م، وقد عملت مع يوسف معلوف ومحمد سلمان

كمخرجين، ومن أبرز أغنياتها "على كرم الهوى" في فيلم "كرم الهوى" عام 1967م ، ويمكن الوقوف عند فيلم مصري لبناني هو "ثلاث نساء" ، حيث قامت صباح بدور البطولة في القصة الثالثة من الفيلم وبدت فيه في قمة تألقها، فهي مطربة في أحد الملاهي الليلية، تتعرف على شاب بعيدًا عن عملها، يحاول أن يتعرف على عملها وأن يحظي باهتمامها لو زارها هناك ، وتحذره الفتاة شمس من أن يزورها في عملها، لكنه يفعل فتسقيه مثل الآخرين ثم تخرجه من حياتها .

وقد غنت صباح في هذا الفيلم أغنية خفيفة تحتاج إلى حنجرة قوية وروح شبابية عالية هي "يابو الطاقية" .

ومن أبرز الأفلام اللبنانية لصباح في تلك الآونة "المليونيرة" 1965م، و"الصبا والجمال" 1966م، و"أهلا بالحب" 1968م، وفي عام 1970م أخرج لها محمد سالم فيلم "نار الشوق" الذي جمع بين ابنتها هويدا ووديع الصافي، وفي الفيلم تقوم المطربة بأداء شخصية مطربة اسمها صباح رفض شقيق حبيبها على أن يتزوج منها، فتزوجت من رجل آخر ورحلت إلى بيروت وأنجبت فتاة هي هويدا، ويموت زوجها، تهوى هويدا أيضًا الفن وتسافر إلى القاهرة لتشارك في عمل فني فتتعرف على شريف ابن عمها حسن، وهو مصمم ديكور العمل، يرفض الأب زواجهما، ومن الواضح أن هناك جزءًا من حكاية الفيلم مأخوذ عن حياة صباح .

وفي السبعينيات عملت صباح في أفلام قليلة للغاية، وظلت هناك لسنوات طويلة وعادت إلى مصر عام 1980م ، لتختتم حياتها السينمائية في فيلم غنائي أخرجه أحمد يحيي باسم "ليلة بكي فيها القمر" ، وهو أيضا فيلم عن معاناة مطربة عاطفيًا ، والفيلم مأخوذ من الفيلم الأمريكي "مولد نجمة" لجورج كيوكر .

والفيلم عن حنان المطربة المعروفة التي تتعرف على شاب أصلح لها سيارتها في الطريق الزراعي وعرفت أنه مخرج مسرحي، فتحابا ومدت له يد المساعدة وصار مخرجًا مشهورًا وتزوجها، لكنها صدمت ذات يوم حين اكتشفت أنه يخونها مع امرأة أخرى فقررت أن تهجره وأن تعيش من أجل الفن .

وفي الفيلم مجموعة من أغنيات صباح الجميلة، الأخيرة في السينما المليئة بالشجن، مثل "ساعات ساعات" ثم "الحب اتعلموه" ، وقد حاولت صباح في هذا الفيلم أن تبدو على أحسن ما تكون فهي عندما أدت "ساعات" ارتدت ثوبًا أبيضًا بورود بديعة وكأنها طاووس أحمر الريشات.

وقد كتب الناقد مجدي فهمي عن المطربة في هذا الفيلم "صباح لا تدعي أنها ممثلة، هي فقط مطربة تتصرف بعفوية وبساطة تصل بها إلى قلوب الجماهير، ومن هنا نجحت جدًا في أن تمثل "حالة الحب" ولم تمثل انفعالات الحب في مواقفه المختلفة، وكان الموقف الدرامي الذي تعرضت له وهي تكتشف خيانة زوجها أضعف مشاهدها .

الفصل العاشر
محمد الكحلاوي

نظرت السينما المصرية دومًا إلى المطرب على أنه الشخص الذي يغني وأن الناس تود رؤيته في حالة غناء، ولذا فلم تكن وسامته ولا موهبته الفنية كممثل مصدر قلق كبير للمنتج أو المخرج، المهم أن الناس التي اعتادت سماع هذا المطرب في الإذاعة فإن أقصي ما يحلمون به هو رؤيته، وهل هناك أكثر من السينما كي يراه الناس على شاشة عريضة .

وقد عمل محمد الكحلاوي في أفلام كثيرة لأكثر من خمسة عشر عامًا ورغم أنه لم يكن بالشخص الوسيم أو الجذاب أو الممثل الموهوب، فإنه قد بقي يتعامل مع المخرجين بدرجات مختلفة، وقد حدث نفس الشيء لمطربين عديدين من أبرزهم عبد الغني السيد ومحمد قنديل .

ولاشك أن الكحلاوي كان أحد الذين يحب الناس غناءهم، خاصة أنه كان يتمتع بشعبية واسعة ولذا فإنه في أفلامه الأولى التي قام ببطولتها كان المخرجين يكتفون بإسناد أداء أغنية ما قد لا تكون لها أية علاقة بالفيلم نفسه

وكانت هذه هي بدايات الكحلاوي وغيره ممن يملكون نفس السمات في السينما، وقد رأينا الكحلاوي مثلًا في أحد مشاهد فيلم "على مسرح الحياة" لأحمد بدرخان **1943**م، جالسًا بملابس الريف فوق الساقية التي تلف به وهو يغني للطبيعة من حوله، وذلك في إطار أن بطل الفيلم حسين رياض كان عليه أن يذهب مع أسرته زوجته وأختها التي تحبه من أجل قضاء بعض الوقت .

ومحمد الكحلاوي هو مطرب شعبي وبلدي مطلوب، نجحت أغنيته "يا زين يابا زين" في أوائل الآربعينيات مما دفع بالمخرجين إلى التعامل معه ويقول محمد قابيل في كتابه "موسوعة الغناء المصري" أنه كان يصر على أن يتقاضي أجرًا لا يقل عن الأجر الذي تتقاضاه ليلى مراد عن الفيلم وهو خمسة عشر ألف جنيه ، وذلك يعكس مكانته لدي الناس رغم السمات التي وصفناه بها .

وقد عمل الكحلاوي في أفلام عديدة فقط كمغن، وكما أشرنا في فيلم "على مسرح الحياة" ، فإنه غنى فقط وبحضوره الجسماني في أفلام من طراز "بحبح في بغداد" **1942**م، و"جوهرة" ثم شارك في بطولة فيلم "رابحة" عام **1943**م.

وفي أفلامه الأولى كانت توضع أسماء أبطال الفيلم ثم يكتب اسم المطرب هكذا "محمد الكحلاوي" ، باعتبار أن ظهوره على الشاشة يستغرق وقتًا يؤهله إلى هذا التميز، وقد غنى في "بحبح في بغداد" لحسين فوزي عام **1942**م وشاركته الغناء كل من حورية محمد وسعاد زكي . وفي هذا الفيلم لمع في الدور "البدوي" والريفي الذي كان الناس يطلبونه فيه ، فيغني "غنوة الصحراء" ، و"قف يا مراكبي" ، و"بدور تلاعب بحبح".

ومنذ اللحظة الأولى كان الكحلاوي صاحب لحنه، لذا فإن أغنياته حملت اسمه، وكان سبب نجاح الأغاني لدى الناس أن صار المخرجون يطلبونه باعتبار أن الأغنية في الأفلام بمثابة "طرفة" لابد من وجودها، وقد اشترك الكحلاوي في تلحين بعض الأغنيات البدوية في أفلام عديدة لم يشارك فيها بالغناء، فلحن لنور الهدى أغنية "راعية الغنم" في فيلم "جوهرة" ليوسف وهبي **1943**م. ولحن لها أغنية "الشجن" في فيلم "برلنتي" لنفس المخرج **1944**م، ثم غنى لنفسه نفس النوع من الأغنيات في نفس الفيلم باسم "جمال الليل" التي كتبها عبد العزيز سلام.

وفي عام **1944**م أيضًا شارك الكحلاوي بألحانه وأغانيه بقوة في بعض الأفلام، وزاد لمعانه كمطرب وملحن، منها فيلم "ابنتي" الذي أخرجه نيازي مصطفى، ومن الواضح أن المخرج قد وجد ضالته في مطرب كي يصير النجم الغنائي المتواجد في كل أفلامه، خاصة أن نيازي مصطفى قد وجد نفسه في اللون البدوي من الأفلام، ولم يكن أمامه أكثر لمعانًا وجاذبية في هذا الدور من الكحلاوي فجعله يعمل معه بشكل دائم في أفلامه التالية حتى وإن لم يكن الفيلم في حاجة إلى مطرب .

وفي فيلم "ابنتي" قام الكحلاوي بتلحين أغنية "البحث" من غناء شافية أحمد ثم لحن لنفسه أغنيتين لمعتا بقوة ولا تزال واحدة منهما موجودة في أذهان الناس حتى الآن، الأولى هي "الوابور" والثانية كانت من تأليفه وألحانه وغنائه وهي "دوبني دوب يا هوى" .

وقد كان الكحلاوي هنا مجرد مطرب يظهر في المناسبات كي يغني ولم يكن له دور تمثيلي بالمرة، فنحن أمام قصة امرأة حاولت انقاذ ابنتها من الوقوع في خطيئة ارتكبتها هي يوما، وهي خيانة الزوج ، لذا قامت بحماية ابنتها التي لا تعرفها ونسبت الخيانة إلى نفسها، وهي كما نلاحظ قصة "مروحة الليدي وندرمير" المسرحية التي كتبها أوسكار وايلد وأخرجتها السينما المصرية أكثر من مرة .

ومن اللون البدوي الذي قدمه الكحلاوي في "رابحة" عام **1943**م، إلى فيلم عصري هو "حسن وحسن" ، رأينا نيازي مصطفى يحاول الاستفادة من شعبية مطربه فيقدمه للناس يغني، وليس الغناء أمام الكاميرا بحاجة إلى قدرة تمثيلية، وكان "حسن وحسن" وهو الفيلم الأول الذي يكتب اسم الكحلاوي في المقدمة، ثم يأتي من بعده أسماء كل العاملين ابتداءً من المطربة حورية محمد ، وبشارة واكيم وفردوس محمد وهاجر حمدي وغيرهم .

والفيلم عن السائق حسن، له ابن عم يدعي حسن بك، إلا أنه نصاب ومحتال ووجيه، وأراد حسن بك هذا أن يتزوج بأخت السائق فانتهز الفرصة وطلب من السائق أن يعطيه مالًا يستثمره في إحدي المشروعات، وعند سفرهما إلى الإسكندرية أحب فتاة كانت تركب مع خادمتها بالقطار، أحب الاثنان الفتاة وظنت الخادمة أن أحدهما أحبها ، وانتهت العلاقة بزواج حسن من الخادمة وحسن من السيدة، لكن أهل الفتاة رفضوا واعتدوا على حسن السائق وكذلك اعتدي أهل الخادمة على حسن بك عندما هرب لعلمه أنها الخادمة، يبدأ حسن بك في الاحتيال على أهل الفتاة ويورط والدها حتى يجعله يبدد أموالًا كانت أمانة لديه ، ويتعرض للسجن مما يجعل حسن السائق ينقذ العائلة التي قامت بإنكاره فيما قبل .

والفيلم كما هو واضح نموذج لولع نيازي مصطفى بالحيل، فنحن أمام ممثل يؤدي شخصيتين متناقضتين، وهو نفس الأمر الذي قدمه في "سي عمر"، ونجح فيه بكفاءة ، وفي الفيلم دخل الكحلاوي بكل قوة ليس فقط بوجوده طيلة الأحداث من خلال الشخصيتين، ولكن أيضًا لأنه لحن أربع أغنيات في الفيلم وغنى منها وحده أربع أغنيات ، والغريب هنا أنه غنى لنفسه من ألحان القصبجي أغنيتي "البحر" ، و"خاين ودي" ، كما غنى من ألحانه إحدي الأغنيات البدوية "على دقات الطبول" ، ثم "ولو كان بكيفك" ، أما الأغنيات الأخرى فهناك مونولوج لشكوكو باسم " أنا زقزوق" وأغنية شدت بها ليلى حلمي باسم "يا اسكندرية" .

وكان على نيازي مصطفى أن يسرع للاستفادة من النجاحات المتوالية التي يمثلها المطرب، فقدمه في واحد من أشهر أفلامه "طاقية الإخفاء" ، وهو الفيلم الذي قام بإنتاجه كل من عزيزة أمير ومحمود ذو الفقار التي أنتجت في نفس السنة فيلم "ابنتي" .

وبطل "طاقية الإخفاء" هو المعلم عباس الذي يعيش حياة بسيطة لا تخلو من الديون والأحلام البعيدة المنال، يعثر ذات يوم على طاقية الإخفاء التي تستطيع أن تخفي من يضعها فوق رأسه فلا يراه أحد، ويستغلها عباس في سداد ديونه وتحقيق أحلامه البسيطة، ثم يكتشف حقيقة أخلاق الناس حوله فاستطاع أن يعرف مدي ما يتسم به الآخرون من نفاق، فصار وحيدًا لا جليس له ولا يتخذ له صديقًا سوى الطاقية، وعندما يفقد الطاقية يحس بالوحدة الشديدة ويعرف أن اللصوص قاموا بسرقة الطاقية وأنهم يحاولون استغلالها في أعمال خارجة على القانون .

ويدرك عباس في النهاية بعد القبض على العصابة أن تحقيق الآمال ليس بطاقية الإخفاء وإنما بالجهد والعمل، وهذه المرة كانت الأغنيات الست كلها من تلحين الكحلاوي فغنت تحية كاريوكا من تأليف عبد العزيز سلام "يا قاتلي بحبك" ، وغنى هو لنفس المؤلف "الله ع الرقص اللي يسلي" و"صحتك بالدنيا" و"يا قلبي داري على هواك" ، و"زينة زين" ، كما غنى من كلمات أبوالسعود الإبياري "يادي النعيم" .

وفي عام **1945**م ، كان نيازي مصطفى قد راهن على مطرب آخر هو فؤاد الرشيدي في فيلم "عنتر وعبلة" ولكنه لم يلمع بنفس القدر، أما الكحلاوي ، فقد عمل في فيلم "الآلة الكبري" الذي شارك بطولته أنور وجدي،وحسين رياض ، وفيه لم يجد الكحلاوي نفس الجماهيرية التي حققها في أفلامه السابقة ، فقام الكحلاوي بنفسه في نهاية نفس السنة بتأليف قصة فيلم "المغني المجهول" والتي دفع بها إلى أبو السعود الإبياري كي يكتب لها السيناريو والحوار وأخرج الفيلم مصطفى حسن .

والفيلم يروي قصة محمد ابن القهوجي ، الذي يدرس في نفس المدرسة مع شفيق ابن أخو عاصم بك المقاول الثري، يصبح شفيق مهندسًا بينما

يحترف محمد صناعة الزخرفة ويصبح ماهرًا فيها، كما أنه يمتلك صوتًا شجيًا . ينجح في أن يسجل أغانيه في الإذاعة، تحبه محاسن ابنة عاصم بك لكن ينافسه في الحب شفيق، لذا يرفض عاصم بك طلبه ويصر على زواجها من شفيق الذي يعمل على إزاحة محمد حتى كاد أن يدخله السجن، يحصل محمد على جائزة تكريم بصفته عاملًا فيغير عاصم بك نظرته إليه ويزوجه ابنته .

وكما نلاحظ ، فإن المهن التي أداها الكحلاوي في السينما هي مهن شعبية تمجد الصانع الشعبي، وتسمو بأخلاق أبناء هذه الطبقة في الأفلام على أبناء الطبقة الموسرة .

ولاشك أن مثل هذه الشخصيات تساعد في اقتراب النجم الذي يغني باسمها من قلوبها، فهو لسان حالها ويعكس أهم صفاتها، وقد تنبه صناع الأفلام إلى هذه النقطة لدى المطربين الشعبيين دوما، فتكررت عند عبد الغني السيد، وعبد العزيز محمود وكارم محمود ، وسوف نري أن آخرين لهم جمال الصوت قد ظلوا دومًا يعبرون عن أبناء الطبقة الراقية الثرية ومنهم إبراهيم حمودة كأوضح مثال على هذا .

إذن فالكحلاوي جسد شخصيتين مثلما حدث في "حسن وحسن" ، فلابد أن يكون الصانع أو الشعبي هو الطيب، أما الثاني الثري فهو الشرير، وقد تكرر هذا في "المغني المجهول"، وهو هنا جسد فقط شخصية محمد ابن القهوجي الذي يبرع في صناعة الزخرفة، ولاشك أن الكحلاوي الذي ألف الفيلم قد وضع عينيه على هذه الرؤية فراح يؤكد عليها بكل قوة .

وفي نهاية نفس العام قدمه حسين فوزي في فيلم يدور في نفس المناطق وحول نفس الشخصيات، وهو فيلم "يوم في العالي" من تأليف وإخراج فوزي نفسه، وفيه قامت بالبطولة زميلته السابقة حورية محمد مع محمود شكوكو .

وبطل الفيلم هنا هو شاب من الطبقة المتوسطة يسكن مع أبيه في حي شعبي ولكنه يحترف الغناء الذي يوفر له عملا في صالة ليلية، يتعرف هناك على راقصة يغني معها في الصالة، يتعلق بها وتحبه إلا أن أباه يرفض هذه العلاقة ويرغب أن يرتبط ابنه من ابنة صديقه وجاره الذي ينتمي لنفس طبقتهم وطباعهم، ولاسيما وأن ابنة جاره تحب ابنه وتعجب به .

لكن المطرب الشاب هذا يصد جارته ، ويصر على زواجه من الراقصة فيغضب عليه أبوه، لذا يتزوجها رغمًا عنه ويعيش بعيدًا عن والده ، وبعد مواقف تثبت مدي إخلاص الراقصة وحبها لأهله يرضي عنه والده ليعود إليه ، ويعيش في وسط أهله في الحي الشعبي .

وقد صنع حسين فوزي شخصية بطله هنا كي تنتمي إلى عالمين معا الحي الشعبي والصالات فكلاهما محبب لدى رواد السينما ولابد للمطرب الشاب هذا أن يغني من ألحانه كي تغني الراقصة وكي يحقق النجاح .

وفي عام **1957**م ، قام الكحلاوي ببطولة فيلم "أحكام العرب" لإبراهيم عمارة، وهو من تأليف وإنتاج وألحان وتوزيع وتمثيل الكحلاوي، وقد اشترك معه في وضع الألحان محمد حسن الشجاعي، فقام بدور الأخ الطيب الذي ورث أرضًا من الأب الراحل مع أخيه (سراج منير) وهو شخص أناني يعشق ذاته ويحب المال، لذا يحاول الأخ الطيب أن يتجنب الخصام مع أخيه فيتنازل له عن حقوقه في الأرض كلها ليعيش في نعيم ورغد، ويقاسي الطيب الفقر والحاجة .

إلا أن عدل السماء يتدخل حين يرعي الأخ الشرير عداوته مع الآخرين بسبب المال الذي لم يوفر له السعادة يوما، بل وفر له القلق والخوف من ضياعه حيث يتسلل أعداؤه إلى منزله ليلًا ويسرقونه ثم يقتلونه وتؤول الأرض كلها إلى الأخ الطيب .

والأفلام التالية للكحلاوي كان أغلبها من تأليفه وإنتاجه وألحانه، لذا فقد كان هو الذي يختار مخرجه وطاقم العاملين معه، وكان فيلمه التالي "ابن الفلاح" لعبد الفتاح حسن سنة **1948**م ، الذي كتب له الحوار بديع خيري وشاركته البطولة تحية كاريوكا .

ونحن هنا أمام القصة التقليدية في السينما الغنائية، حول الشاب الذي يطمح في أن يصير مشهورًا في عالم الغناء، حيث يمتلك صوتًا جميلًا فيسافر إلى العاصمة بحثًا عن فرصة يعرض فيها موهبته في الغناء ويجد فرصته في إحدي الصالات ويصبح ذو حيثية وشهرة ويتعرف على راقصة يحبها ويبثها الشوق الجميل، إلا أنه يجدها وقد صرحت له بحبها لغيره .. فيعاني كثيرًا من زيف العلاقات والنفاق مما يجعله يضيق بالمدينة وبالشهرة فيعود إلى قريته ويغني فقط للفلاحين .

النهاية هنا غير تقليدية، لكن فيها العزف على الاقتراب من البسطاء فهو يفضل الفلاحين على الأغنياء، ويرى في أبناء الريف نقاء لم يجده في العاصمة .

وقد جسد الكحلاوي دور المطرب في أفلامه التالية ، مثل "مبروك عليكي" وهو من تأليف وإخراج عبد الفتاح حسن، ثم "أسير العيون" لإبراهيم حلمي **1948**م، وفي الفيلم الثاني اشترك الكحلاوي في صناعة العمل بشكل مباشر، فهو ليس فقط مؤلف القصة والسيناريو، بل ساعد في كتابة الحوار مع بيرم التونسي وأبو السعود الإبياري، كما أن الفيلم من إنتاجه وتوزيعه وألحانه، وفيه يقوم بدور مطرب يحب الصيد، يدخل في مبارزة مع شخص مجهول فيكتشف أنه فتاة فيحبها، وهو بالطبع فيلم بدوي، فالفتاة تدعي ليلى من قبيلة بني بكر هربت من أسرتها التي تود أن تزوجها من ابن عمها، وتقرر الزواج بالفارس الذي يغلبها، لذا فهي تعيش مع محمد، إلى أن

تشي بها فتاة لدى القبيلة، وتعود إلى القبيلة، وهناك تطلب مبارزة كل شباب القبيلة فتغلبهن بمن فيهم ابن عمها، إلا أن محمد يتقدم لمبارزتها ويتغلب عليها ويكون ذلك سببًا لأن توافق القبيلة على الزواج .

والفتاة التي جسدت دور ليلى هنا هي ليلى فوزي، أما الممثلة التي قامت بدور البطولة أمامه في فيلم "أنا وأنت" عام **1950**م ، فهي هاجر حمدي منتجة الفيلم ، والفيلم من إخراج بدرخان .. والذي غنى فيه مع فايدة كامل عدة أغنيات .

كان نيازي مصطفى قد ظل بعيدًا عن الكحلاوي لأكثر من خمس سنوات لكنه عاد مرة أخرى إليه عام **1951**م ليجمعه وتحية كاريوكا وشادية في فيلم من إنتاج الكحلاوي نفسه، والغريب أنه قد تنازل هنا عن التأليف، فتركه كاملًا لبديع خيري لكنه لم يتخل عن الطبقة التي انتمي إليها دوما في أفلامه، كما أنه لم يتخل عن اسمه "محمد" ، فهو هنا عامل بنزين يعمل مع ابنة خاله كراملة في إحدي محطات البنزين، ولما كان من هواة الغناء أثناء العمل فقد فصلا من المحطة بسبب هذه الهواية وعادا إلى البيت فطردتهما والدة محمد مما يدفع برجل أعمال إلى أن يلحقهما بمصنعه .

وفي المصنع تقوم منافسة بين محمد وأحد زملائه بسبب خطيبته بطة التي تعمل في نفس المصنع، ويتمكن محمد من اختراع طريقة جديدة تزيد من إنتاج الآلات، سيتكرر نفس الأمر في "خليك مع الله" ، لكن جزاء محمد هنا الطرد وذلك بسبب بطة التي يحبها صاحب المصنع، في نفس الوقت فإن الشابة درية تلجأ إلى محمد كي يعاونها ضد عزت بك الذي بدد أموالها، وذلك حتى تسترد رسائلها الغرامية التي يطلب فيها ثمنًا غاليًا.

هي إذن نفس شخصية العامل، وهي كفء في النهار، حتى يتمكن من اختراع ما يطور الآلات ، وفي الليل حيث يذهب إلى الملاهي ويغني، ولذا فإن

الأغنيات التي تضمنها الفيلم ليست كلها عاطفية، بل عن العمل مثل أغنية "شل" التي كتبها حسين توفيق :

آه يا عيني على شل وبترين شل وعمال شل

خدمة من العال وتجيك في الحال ساعة ما تهل

آه يا عيني على شل وبترين شل

كما غنى الكحلاوي في الفيلم مع زميلاته ، فأمام شادية غنى "يا طارحين الشبك" ، تأليف جليل البنداري :

يا طارحين الشبك في بحركم غالي

ولما قلبي انشبك طلع الشبك خالي

يا طارحين الشبك

وأمام حورية حسن التي تظهر في السينما لأول مرة غنى ، "لا تصيبك العين" من كلمات كمال محمد :

محمد : لا تصيبك العين لا تصيبك العين

أنا قلبي عليك من حسد العين

لا تصيبك العين

بطة : داري هواك عن كل عزول

ده اللي عشق عمره ما بيقول

محمد : واللي صبر

بطة : بالصبر ينول

وقد غنى الكحلاوي هنا لأول مرة سينمائيًا ؛ واحدة من أغنياته الدينية الشهيرة التي لمع بها فيما بعد، وتخصص في أدائها وهي أغنية الحج التي كتبها كمال محمد:

الأولة : آه .. يا فرحكم يا هناكم

والتانية : آه .. نور النبي دعاكم

والتالتة : آه .. بروحي معاكم

أشوف حبيب الله وأقول لعيني آه

وقد تضاءلت علاقة الكحلاوي بعد ذلك بالسينما، حيث بقت له ثلاثة أفلام، هي "خليك مع الله" لحلمي رفلة **1954**م، والذي قام فيه بدور عامل وفي وماهر في أحد المصانع، رغم أنه وريث نفس المصنع الذي يعمل فيه دون أن يدري، وقد شاركته البطولة هنا مطربة جديدة لم تعمل كثيرًا فيما بعد هي نادية رياض وغنت من ألحانه "أول ليالي الهنا" .

أما الأغنيات الأخرى فهي "داري جمالك داري" تأليف نجاح الغنيمي و"على فين يا وابور" تأليف حيرم الغمراوي ، و"غزالي الحلو قابلني " تأليف عبد الفتاح مصطفى، ثم الأغنية التي تحمل اسم الفيلم والتي كانت سببًا في نجاحه "خليك مع الله" تأليف حيرم الغمراوي :

خليك مع الله وأعمل الطيب

سلمها لله تلقي البعيد قريب

وفي العام التالي قام الكحلاوي بالغناء في فيلمه الشهير "كابتن مصر" وهو هنا يؤدي شخصية يمكنها أن تقترب كثيرًا من الجماهير، فهو مولع برياضة كرة القدم ويصبح بطلًا قوميًا بعد أن يحرز فريقه عدة انتصارات، يحب فتاة ولكن هناك غريمه الرجل الثري الذي يحاول إبعاده ويلجأ إلى حيلة وهي أن يضع في طريقه راقصة يمكنها بأنوثتها إبعاده عن البطولات فينهزم فريقه في عدة مباريات ويفصل من الفريق إلا أنه بمعاونة شقيق الفتاة التي يحبها، وأهل الحي يتمكن من استرجاع البطولات وتعود له شهرته ويتزوج حبيبته .

ورغم أنه رياضي فلا مانع أن يغني سواء مع دينا زاد في "إيش لونك" ، أو سواء مع صوت نادية فهمي المطربة التي غنت كثيرًا في السينما على شفاه العديد من المطربات مثل هند رستم في "الملاك الظالم" دون أن تظهر على الشاشة في أغنية "إن كنتوا نسيتوا اللي جري .. هاتوا الدفاتر تنقرا" ، كما غنى الكحلاوي أيضًا أغنيات مثل "سبع سنين ويوم" و"ياللي غرامك نار" وأغنيته الشهيرة "أتوب" .

الكحلاوي الذي اعتزل السينما بعد فيلمه "بنت البادية" عام **1958**م يكون قد عمل في أكثر من عشرين فيلمًا ، وطالت مدة بقائه في السينما أكثر من أقرانه الآخرين ، سواء الذين ظهروا معه أو الذين جاءوا من بعده خاصة الذين لمعوا في الغناء الشعبي، ومنهم عبد العزيز محمود وكارم محمود، وعزيز عثمان وآخرين.

الفصل الحادي عشر
السينما الغنائية في الأربعينيات

الأربعينيات هي العصر الذهبي للسينما الغنائية، وهناك أسماء عديدة لا يمكن أن نفرد لكل منها فصل في الحديث عن إنجاز كل منهم، ليس أبدًا لقلة أهميتهم، ولكن لقلة المراجع عن أغنيات كل منهم في الأفلام، وأيضًا لعدم توافر نسخ الأفلام لمشاهدتها، ولذا فإننا عندما نحاول أن نجمعهم هنا للحديث فإننا لا نسعي أن نقلل من أهمية عطائهم .

وعلى جانب آخر، فإن بعض الأسماء منها كان عطاؤها في السينما قليلا للغاية، مثل حياة محمد التي غنت في فيلم "ليلى البدوية" عدة أغنيات بمفردها، ومع إبراهيم حمودة، كما أن هناك في نفس القيلم أحمد عبد القادر الذي غنى "يا لوعة المشتاق" و"يا ظبية الوادي" بالإضافة إلى حكمت مجدي

وأول هذه الأسماء هو "إبراهيم حمودة"، وهو أحد أطول المطربين عمرًا في السينما منذ أن غنى في فيلم "ليلى بنت الصحراء" عام **1937**م، وقد غنى فقط عام **1965**م في فيلم "العلمين" لعبد العليم خطاب، وقد كان حمودة من أبرز وجوه الغناء السينمائي في الأربعينيات ووقف أمام أم كلثوم في فيلم "عايدة" لبدرخان عام **1942**م، وغنى معها دويتو يحمل اسم "أراك يا نور مراد" ، وفي عام **1944**م أدي دور روميو في "شهداء الغرام" أمام ليلى مراد، وغنى أمامها أغنية "راح تفوتني والوقت بدري" ، كما غنى بشكل فردي "ياللي ملكت الفؤاد" و"يا نايمة بين الشموع" ، وقد ظل إبراهيم حمودة يغني في السينما في أفلام من طراز "قصة غرام" و"الصبر طيب" و"ليلة الجمعة" عام **1945**م ، ثم "الدنيا بخير" **1946**م، و"معروف الاسكافي" **1947**م.

وقد كان إبراهيم حمودة قوي الصوت له قبول في الدراما، ولذا ساهم في الأداء في الكثير من الأفلام دون أن يشارك في بطولتها، منها "ليلة غرام" و"الحموات الفاتنات" ، كما غنى في العديد من المسرحيات الغنائية مثل "يوم القيامة" و"شهرزاد"، وغنى الدراما الإذاعية الغنائية الشهيرة "الدندورمة" ، ومن بين ما غنى استعراض "الحموات الفاتنات" في فيلم يحمل نفس العنوان لحلمي رفلة، كتبه فتحي قورة، ولحنه أحمد صبره وشارك في الغناء معه كل من حسن وحسان، وفيه يقول :

هو : ضلل يا ورد علينا وقول .. يا ريت لقانا يدوم على طول
قالوا اللي يصبر بكره ينول .. لكن صبرنا سنه وسنين
هي : ان كنت مش ناوي تسيبني .. روح ياللا على بابا واخطبني
مادمت عجباك وعاجبني .. وشغلت قلبي بنظرة عين
هو : هاروح لأبوكي طوالي .. مهما يكون مهرك غالي
وإن كان يوافق يا آمالي .. أدفع له بدل الميه متين

أما المطربة نجاة على، فقد وقفت أمام محمد عبد الوهاب في فيلم "دموع الحب" المأخوذ عن ماجدولين وغنت معه "ياما رق النسيم" ، ولمعت بأغنيات من طراز "فاكراك ومش هانساك ، مهما الزمان قساك"، وهي من الأغنيات الباقية لها طوال هذه السنين، وقد عملت نجاة علي في خمسة أفلام منها "شيء من لا شيء" و"حب من السماء" و"الحظ السعيد" و"الشاطر حسن" ، وقد غنت فيها جميعا أغنيات مثل "عاشق السهر" و"عاد الغريب يا ليل" ، وقد اشتركت في الغناء مع محمد أمين في فيلم "حب من السماء" لعبد الفتاح حسن عام **1943**م، وغنت من ألحان محمد عبد الوهاب وزكريا أحمد، حيث تؤدي دور سامية المصابة بالشلل رغم جمالها وهدوء طبعها مما يجعلها تشعر بالنقص

الكبير، تصد سامية المهندس الشاب الذي يحبها، ولكن حينما يرغب في الزواج منها ترفض ظنًا منها أن ما يشعر بها تجاهها ما هو إلا شفقة على حالتها، تسعي سامية إلى خلق عاطفة متبادلة بين المهندس وابنة عمتها الفوضوية المستهترة وتخفي هي دموعها .

تشفي سامية من مرضها بعد إجراء عملية علي يد طبيب كبير تكون حياة المهندس قد أصبحت جحيما مع زوجته، يفقد المهندس بصره في حادث تضيق به زوجته وتتركه فيطلقها وتقف سامية إلى جواره ويتزوجان بعد أن يشفي .

ومحمد أمين الذي قام بدور المهندس في الفيلم هو المطرب الوحيد الذي قدمه محمد عبد الوهاب في أحد أفلام ، حيث غنى "يا مراكبي" في فيلم "ممنوع الحب" ، واشترك في بطولة **12** فيلما ، منها "الجنس اللطيف" و"أحلام الحب" و"غرام بدوية" و"عشرة بلدي" و"الستات كده" ، وفي "أحلام الحب" لفؤاد الجزايرلي **1945**م قام بالبطولة أمام زوجته آنذاك مديحة يسري التي جسدت دور مليونيرة متكبرة تختار لنفسها شابًا من ضعاف الشخصية لتكون لها السيطرة عليه، وفي مرحلة الخطبة تحب رجلًا يتمتع بشخصية قوية، تحاول شراءه بالمال لكنه لم يعبأ بثرائها، فهو إنسان من نوع مختلف، تتأكد من حبها له وتترك خطيبها كي تتزوجه .

ومن أفلام محمد أمين "الحب بهدلة" لصلاح أبو سيف **1952**م، حيث يقوم بدور واحد من ثلاثة شباب يحبون ثلاث فتيات يعملن سويًا في كباريه يمتلكه ثري، ينافس أحدهم وهو المغني في حبه للراقصة، يحاول أن يستأثر بها لنفسه ويعمل على التفرقة بينهما .. يترك المطرب الكباريه ويفتح هو وزملاؤه ملهي ليلى خاص بهم، يغري صاحب الكباريه الراقصة بالمال، يخطفها ويحبسها، وينقذها المغني وزملاؤه، تعود للكباريه مع زملائه لتقوم بدور

البطولة في العمل الذي يعده المطرب ويستعدان للزواج، وفي هذا الفيلم لحن محمد أمين العديد من الأغنيات لنفسه كتبها فتحي قورة، منها "الليلة نشرب شمبانيا" ، وهناك أغنيات شهيرة لمحمد أمين، منها أغنية "أهلا بيك فرصة سعيدة الله يخليك" التي غناها أمام إسماعيل يس في فيلم "عشرة بلدي" لإبراهيم حلمي 1952م. ويصف المونولوج حالة الفنان عندما يكون عاطلًا ويجرفه التيار ليقوم بعمل غير فنه فيتحايل عليه، كما غنى نفس الثنائي أغنية أخرى هي "استعراض التأمين" .

وإذا كان محمد أمين هو المطرب الوحيد الذي غنى في واحد من أفلام محمد عبد الوهاب، فإن هذا الفنان الكبير قد أتاح الفرصة لمطربات كثيرات أن يغنين أمامه، مثل ليلى مراد ، ونجاة علي ، ورجاء عبده التي قامت أمامه ببطولة فيلم "ممنوع الحب" ، وكانت رجاء هي المرشحة كي تقوم بدور البطولة أمام محمد عبدالوهاب في فيلم "الوردة البيضاء" ، لكن الأمر تأخر قرابة تسع سنوات، وبدأت رجاء العمل في السينما من خلال فيلم "وراء الستار" لكمال سليم 1937م أمام عبد الغني السيد حول علاقة حب بين المطربة زينب وعبده المطرب الشهير اللذين يتعاونان من أجل عمل أوبريت يساعد في إخراج المسرح الذي يعملان فيه من الإفلاس . أما الفيلم الثاني "صرخة في الليل" لإبراهيم لاما عام 1940م، فكان يدور في أجواء الخيانة، ولم يكن موضوعًا مناسبًا لصناعة فيلم غنائي، حيث تنتقل الأحداث إلى ساحات القضاء .

وبدت رجاء عبده سينمائيًا في أحسن حالاتها أمام محمد عبد الوهاب في "ممنوع الحب" المأخوذ عن "روميو وجولييت" وأخرجه محمد كريم 1942م، وقد غنت في هذا الفيلم بمفردها " هيحبني" ، كما غنت مع عبد الوهاب "ياللي فت المال والجاه" و"قوللي بقى اتأخرت ليه" .

وفكرة هذا الفيلم هي جولييت في عمل مقتبس عن شكسبير ، وهي تلتقي بالشاب الذي ينتمي إلى أسرة خصيمة لأسرتها في القطار، لكنها عندما تصل إلى القرية تعرف أن من انشغلت به هو ابن الاعداء اللدودين ويتفقان على الزواج تحت ادعاء أن كل طرف يقنع الأهل أنه سوف يذيق ابن الطرف الآخر الويل والعذاب، ولكنهما يعيشان في سعادة ووئام .

وقد غنت رجاء عبده في أفلامها العديدة، وبدت في أحسن حالاتها كمطربة وممثلة ذات حضور وجاذبية، خاصة في فيلم "حبايبي كتير" لكمال عطية 1950م، حيث تقوم بدور المطربة نبيلة التي لا تهتم بالمعجبين، وتحاول أن تعيش في محراب الفن فقط. يظهر في حياتها شاب هو مدير إحدي شركات الإعلانات فتقع في غرامه، ولكن شقيقها الشرير لا يرضي عن هذا الغرام ويحارب فكرة زواج شقيقته من هذا الشاب لأنه يريد أن يزوجها من غندور بك طمعا في ثروته الضخمة، وهنا يقوم الصراع بين المطربة وشقيقها ينتهي بانتصار الخير ، حيث تتزوج من الرجل الذي تحبه .

وفي هذه الأفلام غنت رجاء عبده لكل من محمد عبد الوهاب وأحمد صدقي ومحمود الشريف، ومن هذه الأغنيات "اشهدوا يا ناس" ، و"أنا مش على كيفك" و"هاتوا الورق والقلم" و"حبيبي بدر في تمامه" .

أما المطرب الذي وقف أمام رجاء في فيلمها الأول فهو عبد الغني السيد أحد الذين غنوا للإذاعة المصرية عند افتتاحها الرسمي عام 1934م، وقد اشتهر بأغنيات عديدة ، منها "البيض الأمارة" ، و"وله يا وله" ، وهذه الأغنية كانت ضمن العديد من أغنياته في فيلم "شارع محمد علي" لنيازي مصطفى 1944م، وقد وقف عبد الغني السيد أمام مطربات من جيله في أفلامه، منهم رجاء عبده في "وراء الستار" ، ونجاة علي في "شيء من لا شيء" ، وأمام محمد الكحلاوي في "حسن وحسن".

وفي "شارع محمد علي" نري عالم المنطقة الأكثر شهرة في إنجاب أهل الطرب للصالات والسينما، وقد قام عبد الغني السيد هنا بدور المطرب إسماعيل الذي يحب الراقصة نعيمة التي تعيش مع زوجة أب تعشق المال ، فتستولي على ما تربحه نعيمة من الرقص، تتعاهد الفتاة مع إسماعيل على الزواج، ولكن زوجة الأب تعترض على هذا الزواج لأن إسماعيل مطرب مبتديء فقير، ولأن الزواج سوف يمنع المال عنها وتختار لنعيمة زوجا ثريًا وتضغط عليها لقبوله، فتضطر نعيمة للزواج من هذا الثري الذي يسيء عشرهّا، وحين تلجأ إلى زوجة أبيها لا تبالي حيث أنها حصلت من هذا الثري على مبلغ من المال، ولكن نعيمة تكتشف سلوكيات الزوج غير الأخلاقية وترفض بشدة مجاراته فيها ، وتهرب من مترل الزوجية لتعود إلى شارع محمد علي .

وهناك تلتقي بإسماعيل الذي بدأ نجمه يعلو في الغناء، ويقف إلى جوارها في محنتها، وقد غنى عبد الغني السيد في هذا الفيلم أشهر أغنياته ومنها "ع الحلوة والمرة" :

ع الحلوة والمرة مش كنا متعاهدين

ليه تنسي بالمره عشرة بقالها سنين

في هذا الجيل أيضا برز عزيز عثمان كمطرب سينمائي له أسلوبه الخاص في الأداء، ورغم أنه لم يحصل على بطولات، فإن الأغنيات التي كان يؤديها في الأفلام التي يشارك فيها، كانت تترك أثرًا لدى المستمعين والمتفرجين ومنها أغنية "بطلوا ده واسمعوا ده" التي غناها في فرح الفتاة التي يحبها على زوجها الذي يكبرها سنًا في فيلم "لعبة الست" لولي الدين سامح ويقول فيها :

بطلوا ده واسمعوا ده

ياما لسه نشوف وياما

الغراب .. يا وقعة سوده جوزوه أحلي يمامة
كما برز في الاسكتش الذي لحنه محمد عبد الوهاب في فيلم "عنبر":
مربوط ع الدرجة التامنة والناس درجات
ومرشح آخد التاسعة غير العلاوات
ما أعرفش لا كده ولا كده م الباب للباب
ولا لي دعوة لا بده ولا بده ولا ليا أصحاب
يعني الماهية من الصراف مع العلاوة على الإنصاف
هيكونوا ملك ايديكي نضاف
وانشا لله آكل أنا عيش حاف

وقد عمل عزيز عثمان في أكثر من خمسة وعشرين فيلمًا، منها "شباك حبيبي" لعباس كامل 1951م، الذي غنى فيه أغنية "المحترم" من تأليف فتحي قورة وألحان محمود الشريف :

آلو ..
أيوة يا سيدي أيوه يا بيه
طلباتك كلها موجودة
قوللي بسرعة عايز إيه
أصل الكمية محدودة
طبعا طبعا عندي يا فندم
طباخة من الدرجة الأولى
ما تلاقيهاش عند أي مخدم
وماهيتها كمان محدودة

وفي فيلم "المنتصر" لحلمي رفلة 1952م، قدم استعراضًا ضخمًا غنى فيه مع كارم محمود، باسم "دكان الأفراح" وهو من كلمات فتحي قورة وألحان أحمد صبره، يقول هو في بدايته :

يا فتاح من غير مفتاح ابعت لنا أي استفتاح
فيه عندنا دكان أفراح كله طرب وليالي ملاح
يا فتاح من غير مفتاح
المطربين بالوقة والرقاصات بالكيلة
وفيه عوالم رقة يحيي لكوا أجدع ليلة
وتخش باب الشقة تمدح في أصل العيلة
وتقول ع القرد غزال شارد
والدم خفيف ويكون بارد

ومن مطربي هذه الحقبة أيضا حامد مرسي ، حيث ظل يغني في كافة الأفلام التي عمل بها ، وكان صاحب صوت قوي ، وقام ببطولة فيلم ، ألف ليلة وليلة "لتوجو مزراحي" ، كما غنى في أفلام "ثمن الحرية" لنور الدمرداش 1963 ، و"شفيقة القبطية" 1963 أيضا . وفي بعض هذه الأفلام غنى من ألحان سيد درويش مثلما فعل في "ثمن الحرية" ، حيث غنى "أنا المصري كريم العنصرين" ، كما غنى في فيلم "بداية ونهاية" أغنية محمد عبد الوهاب "كلنا نحب القمر والقمر وبيحب مين".

وإذا كانت منيرة المهدية قد قامت ببطولة فيلم واحد في السينما هو "الغندورة" عام 1935م، فإنها لم تكرر التجربة ، وهناك حالات كثيرة لمطربات عملن في السينما لمرة واحدة ، مثل نادرة، كما عمل زكريا الحجاوي أيضًا لمرة واحدة في السينما، وذلك موضوع آخر له مكان من هذه الدراسة .

ومن هذا الجيل أيضًا ، شافية أحمد التي غنت في حوالي 35 فيلما أغلبها ينتمي إلى النوع الصحراوي الذي قامت ببطولته "كوكا" مثل "رابحة" و"عنتر وعبلة" ، وعملت في أفلام أخرى مثل "أحبك أنت" لبركات أمام فريد الأطرش وقد اشتهرت بأغنيتها "يا عاشقين الورد" .

أما محمد عبد المطلب فقد صنع غنائيات سينمائية، وحصل على بطولات عديدة في السينما واشترك في بطولات عديدة في ذلك العقد منها "علي بابا والأربعين حرامي" 1942م، و"كدب في كدب" ، و"تاكسي حنطور" 1945م، و"الجيل الجديد"، و"كازينو اللطافة" وهو من الأفلام القليلة التي قام ببطولتها من إخراج جمال مدكور، والفيلم يحكي قصة عزيزة وشريفة الصديقتين، كما أن الباشا زوج عزيزة ورفعت زوج شريفة صديقان، يحدث أن تشك عزيزة في سلوك زوجها وتدعم صديقتها هذا الشك وتدبران لكشف الحقيقة، فترسل شريفة خطابًا غرامياً غير موقع إلى الباشا.

تضرب له موعدا في كازينو اللطافة ويتلقي الباشا الخطاب على أنه حدث مثير فيطلع عليه أصدقاؤه، فيتعرف رفعت على خط زوجته ويتهمها بالخيانة ويتأزم الموقف، حيث يحزم رفعت أمره على الانتقام من زوجته شريفة، فيهرع الباشا إلى الكازينو ليحذر شريفة من غضب زوجها، إلا أن عزيزة تراه هناك فتتأكد من خيانته، ويصل سوء الفهم إلى ذروته ولكن في مواجهة تضم الأربعة .

وقد غنى عبد المطلب في الأفراح التي تقام في الأفلام، كما غنى في استعراضات ورقصت على أدائه نعيمة عاكف في "لهاليبو" لحسن فوزي 1949م، واشتهر بأغنيته "بنت الحتة" عام 1964م في فيلم لحسن الصيفي بنفس العنوان ، أداها على رقصات زينات علوي في فرح شعبي وهي من تأليف فتحي قورة :

بنت الحتة يا زاينة الحتة

ياللي مفيش في حلاوتك ستة

واللي في سنك غايرين منك

مش طايلين من حسنك حتة

يا بنت الحتة

لما خطر في عز شبابك

ألف عريس خبط على بابك

واللي الهني خش الجنة

جه رضوان وكتب له كتابك

والله يا بخته يا بنت الحتة

لو مش عيبة لأقول هات حتة

واللي في سنك غايرين منك

وفي عام **1971**م قام محمد عبد المطلب بإنتاج فيلم شارك في بطولته من إخراج السيد بدير باسم "**5** شارع الحبايب" ومن الأغاني في هذا الفيلم "نقش الحنة" :

ولا ألف جواب وصلك منا

ولا جانا الرد يطمنا

اشمعني احنا بنسأل دايما

يعني على ايدك نقش الحنة

صعبان علينا عدم السؤال

فين المحبة .. فين الوصال

هو احنا مش قد المقام

ولا خلاص ماحناش على البال

اشمعني احنا بنسأل دايما

كما غنى عبد المطلب أيضا من كلمات محمد حمزة وألحان بليغ حمدي "آه يابو قلب دهب" :

آه يابو قلب دهب

آه يا ذوق وأدب

يا جمال ما وصفش زيك ما حصلش

سبحان من وهب

يا عيون حلوين غالي وغاليين

جرحونا بنظرة وفاتونا حايرانين

وكما هو واضح فإن المعاني هنا قد تدنت كثيرًا قياسًا إلى ما كان يغنيه في أفلام سابقة ، مثل "يا نايمة الليل وأنا صاحي" ، ولاشك أن محمد عبد المطلب واحد من الذين لم يلمعوا في السينما قدر لمعانهم في الأغنيات الشعبية في الحفلات والإذاعة، وهو حالة نادرة من الجيل الذي عمل في الأربعينيات، فاستمر يغني في الأفلام حتى نهاية الستينيات ثم أوائل السبعينيات ، فظهر على الناس بطلًا أمام نجلاء فتحي وحسن يوسف ووضع الباروكة المصبوغة وغنى كما يغني الشباب .

ومن هذا الجيل أيضًا هناك عبده السروجي الذي اشترك في خمسة أفلام منها "وداد" مع أم كلثوم ، و"حب من السماء" السابق الإشارة إليه مع نجاة علي، وقد كان مجرد مغني في هذه الأفلام وذلك ضمن من غنوا في هذه السنوات في السينما المصرية .

وقد تحولت الأربعينيات إلى حالة من الغناء، فغنى أشخاص ليسوا من أبناء الطرب، مثل هاجر حمدي في "أنا وأنت" ، ومثل راقية إبراهيم التي غنت أمام محمد عبد الوهاب في "حكيم عيون"، أما فاتن حمامة فغنت وهي شابة

صغيرة بصوت مطربة أخرى ليست لدينا مراجع عمن تكون في فيلم "دنيا" و"نور من السماء" ، كما تنتمي عقيلة راتب إلى المطربات اللاتي عملن في التمثيل ثم هجرن الغناء شيئًا فشيئًا واحترفت التمثيل وحده، وقد غنت في أفلام عديدة منها "ألف ليلة وليلة" لتوجو مزراحي عام **1947**م، كما غنت أغنية لطيفة في فيلم "طلاق سعاد هانم" من تأليف مصطفى السيد وألحان عبد العزيز محمود وفيها تقول :

ما عرفش منين دا طلع لي منين .. وف غمضة عين اتجوزني

كان حلم وراح والقلب ارتاح .. قيموا الأفراح هيطلقني

هيطلقني هيطلقني

دقن وبشناب ومش لاقي يحلق .. مالقاش إلا أنا بيشكشكني

دي عنيه يا حفيظ لما تبحلق .. ما عرفش إزاي كده ترعشني

موش عارفة إزاي ولا فاهمة إزاي

ولنفس المؤلف والملحن غنت "عين في الجنة وعين في النار" :

عين في الجنة وعين في النار

أنا هاتجنن مين أختار

أنا هاتجنن

عين غمزتلي وقالت لي أهو ده المطلوب

غلبان ومهلهل وهليهلي لكن حبوب

مين عارف لو اصفا له يمكن يتعدل حاله

ونعيش سوا زي العشاق موش يوم جواز التاني طلاق

أنا هاطلقك أنا هاطلقك

الفصل الثاني عشر
أغاني للملوك والرؤساء

كانت المفاجأة حين عرض فيلم "غرام وانتقام" ليوسف وهبي عام **1944**م في محطة (**A.R.T**) أن شاهدت أغنية تؤديها المطربة أسمهان في حفل غنائي، لم أكن أتصور وجودها، فكم شاهدنا الفيلم على الشاشات وفي المحطات التليفزيونية دون أن نراها .

تقف المطربة أمام جمهورها ومن بينهم فتحي الذي ستقع في حبه فيما بعد وتغني أغنية ليست لها علاقة بالفيلم، وقد تم إخراجها بشكل جديد تمامًا على الأغنية السينمائية في تلك الآونة .

الأغنية عبارة عن ذكر مأثورات أسرة محمد علي، ولأن الأغنية من أربع كوبليهات، فقد توقفت فقط عند أربعة من الحكام، هم محمد علي والخديوي إسماعيل والملك فؤاد ثم الملك فاروق الأول، وبالطبع فإن المفاجأة لم تدفعني إلى تسجيل الأغنية لنذكر كلماتها هنا، ولكنها أغنية عن أمجاد كل منهم فمحمد علي كما تقول الأغنية هو صانع مصر الحديثة، وهو راعي نهضتها أما إسماعيل فهو باعث التمدين فيها، والملك فؤاد رجل شجاع حكيم والملك فاروق حبيب الناس ومعقودة عليه الآمال .

والجديد في إخراج هذه الأغنية هو أنه مع ذكر أو الغناء لكل شخصية، تظهر صورة للشخصية في عزوة ومجد، وصور متحركة لبعض إنجازاته، مثل القناطر الخيرية أو الحقول الخضراء، وقناة السويس ومبنى القناة في بورسعيد، والأوبرا القديمة، ورأينا صورة للملك فؤاد وهو في عربيته الملكية يحيي الناس

، وصور لمصر الحديثة من الأفق، ثم جاءت صور لفاروق وسط الناس، ثم وهو يركب العربة الملكية ويبدو شابًا رشيقاً ينحني أمام الكاميرا بكل تواضع

من المهم أن تعود إلى كلمات هذه الأغنية، الضائعة بالنسبة للناس والباحث، وليس في إمكاننا الآن العثور على الأغنية، لأن النسخة الكاملة تملكها المحطة ولا يعرض لدينا في مصر أية نسخ كاملة من هذا الفيلم، بالطبع لدواعي تاريخية .

هذا يعني بالطبع أن الظروف السياسية المتعاقبة في مصر، قد دفعت إلى ضياع العديد من الأغنيا ، حتى على الباحثين، لكن من المهم هنا أن نسجل هذه الظاهرة، لنثبتها في تاريخ الأغنية السينمائية كأول محاولة من نوعها .

لكن هذا ليس بالأمر السهل، فنسخ الأفلام الكاملة غير متوافرة والكتاب الدعائي للفيلم غير موجود في أغلب الأحيان، لكن من خلال ما نتمكن من الوصول إليه سنحاول الوقوف عند هذه الظاهرة ورصدها من أجل ألا يضيع التاريخ مهما اختلفت الأنظمة السياسية المتعاقبة وبصرف النظر عن تناقض النظم ومواقفها من بعضها، خاصة بعد الثورة، فمن المعروف أن الأغنيات الوطنية وأغنيات الحكام بعد الثورة قد تغير شكلها، فالأغنية الوطنية موجودة أكثر في التليفزيون أما الأغنيات الخاصة بالحكام الذين جاءوا بعد الثورة، فهي ليست موجودة، أي أنه لم يتم الغناء لعبد الناصر وهو الحاكم الذي حظي في حياته بأكبر قدر من الأغنيات التي تمجد اسمه في السينما .

ولعل من الأغاني التي تغنت للملك فاروق والتي لا نعرف عنها شيئًا هي تلك التي غنتها المجموعة في فيلم "ليلى بنت الفقراء" **1945**م لأنور وجدي، وهو أول فيلم من تأليف وإخراج وإنتاج أنور وجدي، ولذا كتب إهداء

مطول إلى الملك فاروق في مقدمة الكتاب الدعائي للفيلم، يهمنا هنا أن نورده كوثيقة تاريخية :

"إلى مولاي صاحب الجلالة

"مولاي ..

لقد كنت يا مولاي ولازلت مسوقًا بأمل جميل كان لي منه إلهام ووحي واتخذته نفسي مثلًا عاليًا وهاديًا، هو أن يحل كل يوم أحس فيه بأن في مقدوري أن أرفع إلى سدة المليك المفدي باكورة إنتاجي وأطمع في أن يحوز هذا الإنتاج عطف جلالته السامي .

"فإن نال عملي رضا مولاي أو بعضًا منه فسيكون هذا حافزًا لي على السعي حثيثًا نحو الكمال حتى استزيد من هذا الرضا الكريم .

وإذا كان الصواب قد تخطاني فيما قدرت فلن أدخر وسعًا في العمل على تحقيق هذا الأمل الذي يملأ شغاف قلبي .

"وأنا يا مولاي الخادم الخاضع الأمين ..

أنور وجدي

ومن الواضح أن هذه الفترة بالذات كانت خصبة بالنسبة للملك في أغنيات السينما، فحسب الكتاب الدعائي لفيلم "جوهرة" ليوسف وهبي 1943م ، فإن هناك أغنية باسم "لحن التتويج" كتبها بيرم التونسي ولحنها رياض السنباطي، ولكن ليس لدينا أي إشارة لكلماتها، لكن من المهم أن ننقل هنا كلمات أغنية "عاش الملك" التي كتبها أحمد رامي وتلحين الصاغ عبد الحميد عبد الرحمن وأداها أفراد سلاح المشاة حسب الفيلم وبقية الأسلحة كما سنري .

والغريب أيضا أن صلاح طنطاوي في كتابه عن الفيلم في كتابه عن ليلى مراد لم يشر إلى هذه الأغنية بالمرة ضمن قائمة أغنيات الفيلم ، رغم أنه شاهد الفيلم حين عرض في حينه كاملًا .

وفي هذا الفيلم كما هو معروف ، فإن أنور وجدي يؤدي دور ضابط من أسرة ثرية، يقع في غرام فتاة فقيرة من حي السيدة، ووحيد هذا ابن مختار باشا يسكن الزمالك، وهو يعتقد خطأ أن ليلى ابنة درويش باشا يقرر وحيد الزواج من ليلى إلا أنها ترفضه في البداية للفارق الاجتماعي بينهما، ولكنها تتكتم الأمر . يذهب والد وحيد ليخطبها من (يونس باشا) فيظهر سوء التفاهم الذي حدث، وعندما يعلم وحيد أن ليلى فتاة فقيرة فيظن أنها خدعته طمعًا في ثروته، وفيما بعد يتعرض الاثنان لمتاعب من فتاة من أسرة وحيد أرادت الزواج منه والسخرية من ليلى، لكن العواطف تتغلب ويتزوج الحبيبان .

إذن .. فقد أراد أنور وجدي في فيلمه هذا أن يظهر كما يحب ، ضابط وطني لديه الولاء لوطنه ولمليكه وللجيش ، فحسب ما جاء في الكتاب الدعائي أيضا أننا أمام أول فيلم تدور أحداثه بين صفوف الجيش المصري، وهناك صفحتان كاملتان بهما أكثر من تسع صور للجيش المصري في تلك الآونة .

والآن .. ماذا جاء في هذه الأغنية ! "عاش الملك" ..

سلاح المشاة :

في ظل فاروق رفعنا العلما .. رمز البلاد للمليك والوطن

أرواحنا فدي له وللحمي .. عزت به أيامنا على الزمن

يا من روينا روحنا من منهلك .. تحيا لنا عاش الملك ، عاش الملك

سلاح الفرسان :

على ظهور الخيل تجري كالرياح .. إلى سبيل النصر بين الفاتحين
لي كفنا سحر العوالي والرماح .. تهوى بها كالبرق في ساح المنون
فاروق يا فخر الزمن .. تحيا لنا عاش الملك ، عاش الملك
سلاح الطيران :
وفي عنان الجو نسري كالشهاب .. نشق صدر الريح كالسيف السليل
لنا بساط طائر بين السحاب .. نمضي به للعز في كل سبيل
فاروق يا كنز المني .. تحيا لنا عاش الملك عاش الملك
سلاح المدفعية :
وفي لهيب النار نقضي عمرنا .. حديثنا على لسان المدافع
نذود بالأرواح عن ديارنا .. ونلتقي حول المليك الأرفع
الجميع :
فاروق يا حامي اللواء .. تحيا لنا على المدي معززا مؤزرا
تحيا لنا عاش الملك عاش الملك

ومن الواضح أن إهداء الفيلم باسم الملك لم تكن حالة عابرة بالنسبة لأنور وجدي كمنتج ومخرج، حيث كررها مرة أخرى في فيلمه "قلبي دليلي" **1947**م، وهو هنا لم يضع أغنية خاصة للملك، ولكنه عاد وأهدى الفيلم مجددًا إلى الملك، وذلك أيضا في الكراس الدعائي للفيلم، ومن المهم هنات أن نورد ما كتبه أنور وجدي إلى :

"مولاي صاحب الجلالة ..

إن الفن السينمائي والمسرحي الذي تشرف بتشجيع سيادتكم لرجاله ورعاية المشتغلين به ليعتز بهذا التشجيع وهذه الرعاية ..

وإني يا مولاي لا أعدو الحق إذا قلت أنه اكتسب شبابه من شبابكم ، وفتوته من فتوتكم، وها أنا ذا أتشرف اليوم بتقديم فيلمي الثالث "قلبي دليلي" إلى جلالتكم ، وكل ما أرجوه أن ينال الرضاء السامي "

عاش الفاروق

حامي الفن والفنانين

الخادم الأمين أنور وجدي

ومن الواضح أن هذه الأغنيات كانت توضع في الأفلام حتى وإن لم تكن هناك مناسبة، وذلك من أجل تحية الحاكم، خاصة الملك فاروق فمن المعروف أن الفنان محمد عبد الوهاب قد غنى أغنيته المعروفة "الفن"، وضم بها كوبليه خاصًا بتمجيد الملك فاروق وهي أغنية غير سينمائية بالمرة، لكن السينما حاولت الاستفادة من هذه الأغنية ومن مدح الملك، فقامت بوضعها في فيلم "الماضي المجهول" من إخراج أحمد سالم ، وذلك ضمن أحداث الفيلم .

ولم تكن هناك أية مناسبة أن يكون للأغنية مكان في الفيلم لكن أحمد سالم كان في حاجة إلى تعضيد نفسي وخاص للوقوف إلى جانبه، أي أن هذه الأغنيات قد تكررت للمرة الثانية في فيلم من بطولة ليلى مراد بعد "ليلى بنت الفقراء" ، لكن أنور وجدي لم يكن داخل الدائرة هذه المرة.

ويتضمن الفيلم عددا من الأغنيات منها "يا ليل سكونك حنان" و"أنا قلبي خالي" و"سلم على" و"ياللي غيابك حيرني" و"منايا في قربك أشوفك سعيد، وأشوف نفسي جنبك دا شيء مش بعيد" ثم "حيران في دنيا الخيال .. محروم من الذكريات .. لا عندي فيها آمال .. ولا باناجي اللي فات" ، وهي كلها أغنيات عاطفية ، قد ترتبط بشكل أو بآخر بأحداث الفيلم ، والقصة العاطفية التي تدور بين الوجيه أحمد علوي والممرضة الحسناء نادية، لقد فقد الأول الذاكرة وتلقفته الثانية في شخصيته الجديدة فأحبته وتزوجته، لكن ما

لبث أن رجعت إليه ذاكرته فعاد إلى قصره القديم، وترك امرأته وأسرته، وبعد أن يصطدم بالواقع القادم من الماضي يعود من جديد إلى نادية .

وأغنية "الفن" أو "الدنيا ليل" هي كما يقول صلاح طنطاوي في كتابه عن ليلى مراد، الوحيدة التي غنتها ليلى مراد وكانت هذه أول تغني فيها مطربة أغنية لا لحنًا لمطرب آخر .

كما أن تصوير الأغنية في الفيلم جاء بطريقة ذكية ، كانت ليلى مراد تحتفل مع زميلاتها في المستشفي بعيد ميلاد واحدة منهن وأعلن الراديو غناء محمد عبد الوهاب للأغنية، ثم انقطع النور فجأة وطلبت الزميلات من ليلى مراد أن تغني الأغنية فغنتها .

وكلمات الأغنية كما هو معروف تقول :

الدنيا ليل والنجوم طالعة تنورها

نجوم تغير النجوم من حسن منظرها

ياللي بدعتوا الفنون وفي ايديكوا أسرارها

دنيا الفنون دي جميلة وانتو أزهارها

والفن لحن القلوب يلعب بأوتارها

والفن دنيا جميله وانتوا أنوارها

الفن مين يوصفه .. إلا اللي عاش في حماه

والفن مين يعرفه .. إلا اللي هام في سماه

والفن مين أنصفه .. غير كلمة من مولاه

والفن مين شرفه .. غير الفاروق ورعاه

انت اللي كرمت الفنان .. ورعيت فنه

رويت فؤاده بالألحان .. برضاك عنه

الفن جنة تسحرنا بألوانها

نعيش على ظهرها ونغني بألوانها

نعيش على ظهرها ونغني ألحانها

احنا يا تاج البلاد في الجنة سكانها

وأنت راعيها وحارسها ورضوانها

والأغنية من كلمات صالح جودت وألحان عبد الوهاب بالطبع، وقد غنتها ليلى مراد بأكملها في الفيلم، ومن الواضح أن إقحام الأغنية بهذا الشكل يعكس منظور الفنان للحاكم في تلك السنوات فهو يغني له في الإذاعة وفي الحفلات الخاصة والعامة ، ولكن انتقال الأغنيات إلى الشاشة يعكس إلى أي حد حاول المطرب أن يتقرب من الملك باعتبار أن السينما حدوتة والناس تذهب لمشاهدة الحدوتة، ومتابعة أحداثها من خلال الشكل الفني الذي يختاره المخرج وكاتب السيناريو . ولو أننا أمام فيلم عن هذه الشخصية وحياتها وأثرها في الناس، لبقي الغناء هنا مقبولًا ومهما ، لكن تم حذفها بعد قيام الثورة، لم يحس الناس بأنها موجودة، وإن تذكر أحد أن أسمهان غنت للأسرة المالكة أغنية باسم "مواكب النصر" ، فإن الدهشة سوف تعتريه وهو يتساءل : في أي مكان من الفيلم غنت .!

وكما رأينا فإن جيل النجوم الكبار قد غنى بأكمله للملك فاروق في الحياة العامة، وأغلب هذا الجيل غنى لمليكه على الشاشة وتضافر أبرز المؤلفين للكتابة، ولحن البارزون، وغنى عبد الوهاب وأسمهان وأم كلثوم وليلى مراد، ليس مرة واحدة بل إن البعض كرر التجربة .

وهؤلاء الفنانون هم الذين غنوا بعد ذلك للثورة، في الإذاعة والتليفزيون، ولكن الكثيرين منهم لم يطل بهم العمر السينمائي بعد قيام الثورة، حيث كان كل من عبد الوهاب وأم كلثوم قد توقفا تمامًا عن العمل بالسينما ، لكن عبد الوهاب غنى في فيلم وطني يحمل اسم "منتهي الفرح"

لمحمد سالم **1963**م وهو الفيلم الذي تدور أحداثه حول عودة جنود مصر من اليمن بعد مؤازرة الانقلاب الذي قام به عبد الله السلال على الإمام أحمد، وامتلأ الفيلم بأغنيات وطنية وعاطفية أداها نجوم الفن، فأدي فريد الأطرش أغنية وطنية، واستقبلت شادية الجنود في القطار، وكان هم الشيخ حسن هو عودة عبد الوهاب كي يغني في الفرح ، وفوجيء به يأتي ويغني أغنية عاطفية هي "هان الود عليه" .

قالوا لي هان الود عليه .. ونسيك وفات قلبك وحداني

رديت وقلت بتشمتوا ليه .. هو افتكرني عشان ينساني

والغريب أنه رغم الحس الوطني العالي إبان الخمسينيات والستينيات ومؤازرة جمال عبد الناصر، فإن الأغنيات الخاصة بالحكم لم نشاهدها سينمائيًا، أي أنه لم يتم الغناء لعبد الناصر في الأفلام مثلما حدث للملك فاروق إلا في أضيق الحدود، وقد رأينا في بعض الأفلام السياسية شخصيات تحس أنها جمال عبد الناصر ، مثل "الله معنا" لأحمد بدرخان **1955**م حيث هناك تشابه واضح بين الضابط أحمد وبين عبد الناصر، فكلاهما من نفس الدفعة، وصدم باشتراكه في حرب فلسطين **1948**م ، وكلاهما أسس تنظيم الضباط الأحرار والثورة بالطبع ، لكن دون غناء ، وفي أفلام عديدة من هذا النوع لم نر أية أغنيات ، ومنها "حب من نار" لحسن الإمام **1958**م الذي تدور أحداثه حول العدوان الثلاثي عام **1956**م ، و"لا وقت للحب" لصلاح أبو سيف ، حول النضال السياسي قبل الثورة ، وأيضا "الباب المفتوح" لبركات **1963**م.

لكن يحضرني هنا أغنية رائعة الأداء جماهيرية التنفيذ ورددها هدى سلطان في فيلم "بورسعيد" لعز الدين ذو الفقار **1957**م ، فقد أدت دور فتاة من حي شعبي بالمدينة الباسلة، مخطوبة للعريف طلبة، وهي ضريرة مغلوب على

أمرها، وعندما يقوم جمال عبد الناصر بتأميم قناة السويس فإنها تخرج إلى النافذة إلى أبناء الحي السعداء بالنبأ، وتغني بينهم أغنية باسم "أمم جمال" وكلمة "أمم" هنا هي فعل الأمر من تأميم، أي أنها تطلب من جمال أن يؤمم القناة كي تعود حسب كلمات الأغنية إلى المصريين.

وقد أدت هدى الأغنية بصوت قوي، وشاركها في الأداء المجموعة بصوت له نفس القوة والتأثير .

ولا يحضر الذاكرة أي أفلام في تلك الفترة بها غناء لعبد الناصر، ولعل النجمين الأكبر في الطرب السينمائي في تلك الآونة ، وهما عبد الحليم حافظ وفريد الأطرش، قد غنيا أغنيات عاطفية فقط في الأفلام وإن اختلف الأمر تمامًا في الحياة خارج السينما، حيث كان المطربون يتنافسون بقوة في أعياد الثورة لتقديم أغنيات، كان بالكثير منها إشارة لعبد الناصر بالاسم فغنى فريد الأطرش في "المارد العربي" لجمال، وغنى عبد الحليم حافظ لعبد الناصر باسم "أبو خالد نوارة بلدي" ، وغنى عبد الوهاب "ناصر كلنا بنحبك – ناصر وحنفضل جنبك – ناصر ونعيش ونقول لك يا حبيب الشعب يا ناصر" ، كما غنى أكثر المطربين في تلك المرحلة .

وقد تضاءلت هذه الظاهرة بشكل واضح فيما بعد، لدرجة أن يوسف شاهين غير منطوق الهتاف الذي ردده الشعب عقب تنحي عبد الناصر حيث خرج الناس في شوارعنا على الأقل يهتفون باسم الرئيس المتنحي "ناصر .. ناصر" مطالبين إياه بالعودة إلى الحكم، أما يوسف في نهاية فيلم "العصفور" فقد جعل بهية وأبناء الحي، بل أبناء الشعب يرددون "هنحارب .. هنحارب" .

ومن المعروف أن الثورة لم تمح فقط هذه الأغنيات من الأفلام، لكنها كانت تكشط صور الملك فاروق من المشاهد البارزة في الأفلام .. مثل مشهد أغنية عبد الوهاب "عاشق الروح" في نهاية فيلم "غزل البنات" حيث كان يغني

وفي الخلفية صورة الملك، وكذلك نهاية فيلم "الأسطي حسن" لصلاح أبو سيف عام **1952**م في مشهد المحاكمة، وبعد وفاة عبد الناصر بدأت النسخ الجديدة تطبع من هذه الأفلام ويرى الناس صورة مليكهم السابق دون أية حساسية، ودون أن يثير ذلك شيئًا سوى رؤية الصورة أو الحنين إلى الماضي .

والآن .. وبعد مرور أكثر من عقد على هذا التاريخ ومع انتشار قنوات الأفلام وعرض الكثير من هذه الأفلام في قنوات فضائية عربية، صار على المشاهد أن يرى الأفلام كاملة بدون حذف فيرى أسمهان وهي تغني لأبرز أفراد أسرة محمد علي في "غرام وانتقام" ثم ليلى مراد وآخرين، ولعل الأفلام التي تحدثنا عنها هنا ليست كل النماذج التي يمكن الرجوع إليها .. فسوف يكشف الزمن عن أغنيات مجهولة كثيرة من هذا النوع .

الفصل الثالث عشر
محمود شكوكو
ثريا حلمي

انتقل المونولوج الشعبي من صالات الملاهي الليلية والكباريهات إلى الإذاعة المصرية، ومنها ذاع صيته في صالات السينما باعتبار أن السينما سرعان ما تستقطب كافة الفنون الناجحة الصالحة لأن تكون صورة .

وصارت السينما تقدم المونولوج في صور متعددة، فصار أحيانًا اسكتش غنائي أو دويتو أو استعراضًا جماعيًا، وهناك نجوم برعوا في تقديم مثل هذا النوع من الغناء منهم إسماعيل يس، وثريا حلمي، ومحمود شكوكو وآخرون .

وسوف نتوقف هنا عند كل من شكوكو وثريا حلمي كاثنين من أشهر فنانيِ هذا الفن، وباعتبار أن هذا الفن لم يجد فرسانه الكبار بعد توقف كل منهما وزملائهما عن العمل، والغريب أن الاثنين لم يصعد نجمهما إلى أدوار البطولات إلا في فرص قليلة كانا فيها لا يؤديان أي نوع من الغناء ونقصد هنا فيلم : "اليتيمتين" لحسن الإمام 1948م بالنسبة لثريا حلمي ، و"عنتر ولبلب" بالنسبة لمحمود شكوكو .

إذن فنحن أمام حالة خاصة بالنسبة للفنانين اللذين نتكلم عنهما، فكان ممثلا مشاركا يساهم في الإضحاك والغناء من أجل المشاركة في صناعة الكوميديا والبهجة.

وهذا النوع من الغناء يرتبط أساسًا بالكوميديا وخفة الظل، ويحتاج إلى مؤدٍ ماهر، يعرف كيف يخرج ألفاظه كي يكون له التأثير الأعلي ، ويمكن

لصاحبه أن يرقص ويغني، وقد كانت لشكوكو حركاته كما أن ثريا حلمي كانت تغني، ولا مانع أن ترقص .

وظهر كل من شكوكو وثريا حلمي في الأفلام من أجل صنع البهجة، لكن سنوات المجد بالنسبة لهما كانت هي أيضًا سنوات المجد بالنسبة للسينما الغنائية والاستعراضية بشكل عام .

إذن فقد كان وجود شكوكو في هذه الأفلام بمثابة عامل مساعد أو صديق البطل، حتى ولو كان اسمه هو الثالث على الأفيشات، والجدير بالذكر أن أدوار شكوكو ظلت دائما ابن البلد، والشهم ،ولم نعرف أنه جسد دورًا واحدًا لشخص شرير، وتعالي نبدأ بفيلم "صباح الخير" لحسين فوزي الذي قام ببطولته صباح ومحمد فوزي عام **1949**م، فهو يحكي قصة زوجين متحابين هما زقزوق وظريفة، يعملان في الطرب بكازينو الدلال لصاحبته دليلة وزوجها شمشون، يغار كل منهما على الآخر غيرة عمياء ويتدخل مشكاح معلم الرقص وزوجته ريما فيما يقع بينهما من نزاع .

تستغل ظريفة قرب وصول المطرب اللبناني جميل رضوان ليعمل مطربًا بالكازينو، وصارت تثير غيرة زوجها بإعجابها بشكله وصوته حتى غار زقزوق، ولما كان جميل يشبه زقزوق كل الشبه فقد أشار شمشون على زقزوق أن يتنكر في صورته ليتعرف على عواطفها الحقيقية، وتساير ظريفة زقزوق عنما تكتشف المكيدة فدعته إلى مترلها حتى علم زقزوق بأن زوجته تخونه فثار وأغرق همه في الخمر التي قادته إلى السجن ولحق به شمشون ومشكاح للترفيه عنه حتى أنقذ الثلاثة بالجهود التي بذلت من زوجاتهم الثلاثة ظريفة ودليلة وريمة .

وقد كتب حسن توفيق كلمات أغاني الفيلم ولحنها محمد فوزي، منها مونولوج "جاي جاي" الذي ألقاه شكوكو وحده، وفيه يقول :

جاي منك جاي ، آي منك آي

بتسبني يا روميو أرف ، وتموت جولييت من السهر

طب لما تشوفني باحس ، بوس ايدك وش وضهر

هو أنت تطول ، خليك معقول

وأنا عرض وطول ، والهوى له أصول

تنساها ازاي ، جاي منك جاي

وإذا كان فيلم "صباح الخير" ينتمي إلى الكوميديا الغنائية، فإن فيلم "نحو المجد" لحسن صدقي عام **1948**م يختلف تمامًا، فهو فيلم مباشر مثل عنوانه، عن خالد الشاب الجامعي الذي يشق طريقه إلى الحياة المثالية وبيده قبس من نور الشباب الوهاج، فأبوه عبد العزيز بك شديد القسوة ومنيرة زوجة الأب صاحبة مكائد، وشقيقتها فردوس فاتنة لعوب نصبت له بأنوثتها شباكًا كلها إغراء، يعيش مع زميلين من الجامعة ، أحدهما ملاك طيب يساعده، والثاني شيطان رجيم يتآمر ضده ويحاول اغتياله في اللحظة التي يخطب فيها الجماهير دفاعًا عن قضية العمال، ويشن خالد حملة على رجل الأعمال رحمي بك الذي لا تعرف الرحمة إلى قلبه سبيلا.

في وسط هذه الأجواء الجافة المباشرة يغني شكوكو مونولوجين ، الأول من تأليف حسن توفيق باسم "النجاح" لحنه محمود الشريف ، يقول فيه :

ميت فل وفل على الجدعان .. استقروا وانجحوا في الاستمحان

ليل ويا نهار .. هات في استذكار وبنات أفكار من أحلا بنات

جابوا السؤالات ..خدوا الشهادات أعلي الدرجات يا سبع بركات

وقليل الهمة من خيبته .. لا شهادة ولا جنبه حبيبته

أما المونولوج الثاني فقد كتبه أحمد المسيري ولحنه شكوكو لنفسه بعنوان "تطلع تنزل" وفيه يقول :

تطلع تنزل ، تنزل تطلع

المكتوب لك والمقسوم لك

لازم يحصل غصب عنك

تطلع تنزل ، تنزل تطلع

سيب الهموم ، سيب الزعل

قوم وجاهد للعمل

دا الحظ ينعنشك

ويفرفش حضرتك

في تلك الفترة كان شكوكو يمثل ثنائيًا مع إسماعيل يس، يظهر أن في بعض الأفلام بأسمائهما الحقيقة، من أجل أن يؤديا بعض الاسكتشات وقد حدث هذا في فيلم "قلبي دليلي" ، ثم في "حب مجنون" لحلمي رفلة 1948م الذي قام ببطولته محمد فوزي وتحية كاريوكا .

وفي وسط الصعود والهبوط من حيث مساحة الأدوار التي كانت تصنع لشكوكو في هذه الفترة، وأيضا في كل تاريخ حياته، كان على أنور وجدي أن يمنح فرصة البطولة الثالثة بعده وبعد عقلية راتب في فيلم "طلاق سعاد هانم" من إخراجه عام 1948م أيضًا .

وشكوكو هنا هو صديق البطل الذي يجد نفسه وقد صار محللًا ليتزوج من فتاة ثرية بدلًا من زوجها الذي يلقي عليها اليمين كثيرًا، حاول الصديق أن يثني صديقه عن الانغماس في مثل هذه التجربة عندما أدرك أن حبًا حقيقيًا قد تولد بين الاثنين صار يسانده .

وفي الفيلم هناك مونولوج واسكتش، وكليهما من تأليف أبو السعود الإبياري، الأول بعنوان "مطرح ما ترسي" من ألحان شكوكو نفسه، وفيه يتحول المونولوج إلى بديل عن الحوار ويخاطب صديقه قائلا :

مطرح ما ترسي دقلها .. وأنا أدق معاك

مش قلت لك حيعدلها .. يا حدق مولاك

هيص فصص مصمص بص .. واترقص على وحد ونص

مطرح ما ترسي

عيشة أهل العز تلذ هيص واتمتع

دول كتاكيتهم زي الوز فرتك قطع

أما أغنية يا حسن التي لحنها محمود الشريف، فلاشك أن مشاهدها على الشاشة أكثر متعة من الحديث عنها، فهاهو حسن الزوج الأول يدخل في مشاجرة مع العريس الذي يتغلب عليه ويحمله شكوكو وخادمات المترل على السلم يضربونه ويحسون بالشماتة فيه، ويسخر على اللحن الشهير "يا حسن يا خولي الجنينة يا حسن" ، مرددًا على طريقته المألوفة التي يسخر فيها من الأغنيات الشهيرة، وهي سمة سوف نراها تتكرر لدى شكوكو سواء في أفلامه أو في حياته .

فهو يقول هنا والبنات تحمل حسن :

يا حسن يا شوك الجنينة يا حسن

ماحدش في خيبتك يا كروديا يا حسن

اتمشمش يا حسن

اتدشدش يا حسن

اتفشفش يا حسن

اتلبش يا حسن

ها ها هاءوا أنست يا حسن

ومن الواضح أن هذا الأسلوب من الغناء قد وجد نجاحًا وهوى لدى شكوكو، لذا فإنه في عام **1949**م راح يغني مع سامية جمال أغنية حكيم

عيون لمحمد عبد الوهاب، ولم يكن الغناء لسامية جمال بل بصوت سعاد مكاوي، فراحا يرددان باعتباره طبيب بيطري، وهي صاحبة الكلب، أما عبد العزيز فيقف بعيدًا :

شكوكو : كنت فين تايه يا غرامي

سامية : هنا هنا يا دكتور

شكوكو : أنا مش شايف قدامي غير صفين لولي

وده يلزمه واحد جواهرجي يا مدام

سامية : مش حضرتك حكيم سنان

شكوكو : لا .. حكيم ذوات

سامية : حكيم ذوات يعني إيه !

شكوكو : حكيم ذوات لأربع رجلين، ولا بتشتغلشي نهار الاثنين ، أعرف عياهم بييجي فين، وأعرف كمان ينبحوا فين، أنا أصلي حكيم مدهش وقديم، ولا يحتاجليش غير كل بهيم وبأداوي جاموس ولا أخدشي فلوس وباعالج حت كمان الفيل، وداويت أسدين واقفين الاثنين على كوبري قصر النيل .

سامية : لكن أنا أعرف يا دكتور إن أسنانه بتوجعه كل أما يأكل عضمة جامدة .

شكوكو : عشان تحرمي تاكلي جلاس وتدوبي في قلوب الناس

وفي فيلم "شباك حبيبي" لعباس كامل لعب شكوكو دور الجار الشهم الذي يقف إلى بجوار جارته، من أجل كشف غمتها وبراءتها أمام أهلها ، ونحن هنا أمام فيلم غنائي يغني فيه نجوم من طراز عبد العزيز محمود ونور الهدى، وفي نفس الوقت فإن شكوكو قد ساهم بأغنية "المحترم" التي ألفها فتحي قورة ولحنها محمود الشريف :

آلو ..

أيوه يا سيدي .. أيوه يا بيه ، طلباتك كلها موجودة

قول لي بسرعة عايز إيه ، أصل الكمية محدودة

طبعا طبعا عندي يا فندم ، طباخة من الدرجة الأولى

ماتلقيهاش على أي محترم ، ومهيتها كمان معقولة

خمسة جنيه بتقول إيه .. حلوة ، آهي برضه مقبولة

وشكوكو غنى وكان في أحسن حالاته أمام شادية وإسماعيل يس في "ليلة الدخلة" لحلمي رفلة **1949**م ، فشدا على أخته راقية في الفيلم "احنا التلاتة سكر نباتة" من ألحان محمود الشريف، و"مجنون ليلى" ، و"اوعى يمينك اوعى شمالك" .

وقد غنى شكوكو مع آخرين ، أي أنه لم يكن مونولوجست بقدر ما هو مغنٍ يشترك في أداء استعراض مثلما حدث في فيلم "ظلموني الناس" لحسن الإمام **1950**م، حيث غنى أمام كل من شادية وبرلنتي أغنيتان من كلمات فتحي قورة، الأولى هي "الرقص جميل" لحن أحمد صدقي، ثم "لحن العربية" ألحان أحمد صدقي، ولقد استعان به حسن الإمام في أكثر من فيلم من أجل أن يغني، وتكون استكشاته بمثابة الطرفة وسط أجواء مأساوية فغنى في فيلم "حكم القوي" مع ثريا حلمي أغنية "يا صلاة النبي يا صلاة الزين" ، وغنى في "حب في الظلام" أغنيتين بالمشاركة مع آخرين هما "لولا يا لولا" ، و"أنا من سنباط" ، وفي "بائعة الخبز" غنى "يا خديجة سلامتك" من كلمات فتحي قورة وألحان محمود الشريف .

وقد ظل تواجد شكوكو في السينما يتأرجح بين الصعود والهبوط بين المساحة الصغيرة الغنائية وبين الدور الكبير، ونحن نعرف أن له بطولة واحدة لم تتكرر في "عنتر ولبلب" ، وفي فترة لاحقة توقف شكوكو عن الغناء في الأفلام

وانقطعت صلته إلا من أفلام قليلة ، مثل "حب ودلع"، وفي "أم رتيبة" 1959م استعان به السيد بدير ليغني مونولوج واحد فقط هو "الليلة ليلة الأربعين .. تفرح القلب الحزين" ، وفي "زقاق المدق" 1963م، الذي تدور أحداثه في الأربعينيات تم الاستعانة به باعتباره محمود شكوكو مغني الأفراح كي يغني في إحدي المناسبات السعيدة أغنية قديمة هي "ورد عليك ، فل عليك ، يا مجنني سحر عنيك" .

وفي فيلم "حرامي الورقة" لعلي رضا عام 1970م لم يغن شكوكو لكنه شارك سعاد حسني في الاستعراض في فيلم "أميرة حبي أنا" لحسن الإمام 1974م، وعاد للغناء مجددًا في آخر أفلامه على الشاشة "شلة الأنس" ليحيي العلمي 1975م.

أما ثريا حلمي (1923م 1994م) ، فقد بدأت علاقتها بالمونولوج من خلال المسرح، حيث كانت تصعد إلى المسرح بين الفصول وتقدم وصلات غنائية، ومن هنا بدأت علاقتها بالمونولوج، وسرعان ما التقطتها السينما كي تغني مونولوجاتها فظهرت عام 1942م في فيلمي "لو كنت غني" ، "أخيرًا تزوجت" ، وكانت تملأ الأفلام التي كانت تمثل فيها بالبهجة والسعادة من خلال ما تؤديه من مونولوجات، وتم الاستعانة بها كثيرًا لتعمل في أفلام من طراز" السوق السوداء " لكامل التلمساني و"ليلة حظ" لعبد الفتاح حسن و"القرش الأبيض" لإبراهيم عمارة و"ليلة الجمعة" لكامل سليم ، و"كازينو اللطافة" وكلها عام 1945م. ثم "أنا وابن عمي" لعبد الفتاح حسن، و"النفخة الكدابة" لبدرخان ، و"حرم الباشا" لحسن حلمي عام 1946م. ثم "دموع الفرح" الذي أخرجه أحمد سالم عام 1948م ، وقام ببطولته أمام مديحة يسري، وفيه تري ما أسماه الفيلم "ديالوج" بين إسماعيل

يس وثريا حلمي ، ألفه فتحي قورة ولحنه أحمد صدقي باسم "جولييت ما هذا السكوت" والذي يبدأ على النحو التالي :

نبيه : جولييت ما هذا السكوت .. اتكلمي احسن هموت

سكتي ليه ، بقك دا إيه .. عشش عليه العنكبوت

بطة : هقولك إيه مدام مافيش

نبيه : أهو الغرض ماتسكتيش

أنا عندي فكرة كويسة .. ياللا نوصف بعضنا

من غير مجاملة ومحلسة

بطة : لطيف وحياة ربنا .. وإزاي هنوصف بعضنا

وفي عام **1949**م عملت ثريا حلمي في فيلم "أحبك انت" لأحمد بدرخان، ولم تكن هناك أية فرصة لها للغناء في وجود فريد الأطرش الذي استأثر وحده بالألحان والأغنيات .

وكان حظ ثريا في الأفلام كمغنية أقل بكثير مما قدمه شكوكو، فكانت مجرد كوميديانة تغني أحيانًا في فيلم من طراز "نص الليل" لحسين فوزي **1949**م، و"الصيت ولا الغنى" لحسن الإمام " أيضًا في نفس العام.

أما أهم تجربة سينمائية قدمتها ثريا حلمي فهي كما سبقت الإشارة فيلم "اليتيمتين" لحسن الإمام، وفيها وقفت رأسًا برأس أمام فاتن حمامة، حيث جسدتا دور أختين ، حيث يعثر رجل في الطريق على مولودة فيتبناها ويطلق عليها اسم نعمت وتنشأ مع ابنته سنية كأختها، ويموت الرجل وتصبح الاثنتان وحيدتين، فتكافحان معا في الحياة، تسافر الاثنتان معًا ولكن الظروف تفرق بينهما، تلقي الظروف بالأولى فتتعرف على شاب من أسرة راقية يحبها ويعرض عليها الزواج إلا أنها تؤجل الموضوع لحين عثورها على أختها التي تقع في يد امرأة شريرة تدير وكرًا للإجرام وتسومها كافة أنواع العذاب .

وبعد معاناة يجتمع شمل الأختين كي تعوضا ما فاهما من سعادة، وقد جسدت ثريا حلمي دور الأخت "سنية" ، ومن الواضح أن كمية المآسي التي تعرضت لها لم تسعفها أن تغني أي أغنية من أغنياتها الخفيفة المعروفة عنها، أي أن حسن الإمام قد وضعها في إطار غير مألوف بالنسبة للناس، ومن الأهمية أن نرجع إلى ما كتبه محمد عبد الفتاح عن الأغنية التي جسدتها ثريا حلمي في هذا الفيلم في كتابه عن حسن الإمام فيقول :

"في تصوير أغنية "يا معزيّ" يستخدم القطع على مؤدية الأغنية "سنية" ونعمت والحقول والشوارع، وخلفية الصورة بتقديم صور الفلاحين يرقصون بالعصا وراقصات يرقصن في الحقل على نغمات الأغنية" .

وفي أغنية "منديل بأوية" يستخدم نفس الأسلوب فهو يقدم سنية المؤدية وهي تسير في أكثر من شارع وداخل المقهي وتستوقف أحد المارة ومعه خطيبته لعرض المناديل عليه، والسكان في الطوابق العليا يطلون عليها ثم وهي تدخل أحد البارات لتبيع داخلها .

حسن الإمام لا يتوقف كثيرا أمام الغنية، بل يعتمد على حركة الكاميرا وتنوع اللقطات وزوايا التصوير في اسكتشات، وتقديم ملامح المكان وحركة المؤدي والتجاوب .

وأغنية "يا معزيّ" تأليف مأمون الشناوي وألحان عزت الجاهلي ، وقد أدتها ثريا مع فاتن حمامة ، أما "المناديل" فهي من تأليف فتحي قورة وألحان عزت الجاهلي وأدتها ثريا وحدها بالطبع، كما أدت أغنية ثالثة هي "احنا هنا" من كلمات فتحي قورة وألحان أحمد صبره .

ومن الأفلام التي برزت فيها ثريا حلمي "بيت الأشباح" لفطين عبد الوهاب حيث جسدت بطولة أخرى أمام كل من إسماعيل يس وكمال الشناوي، والفيلم من نوع الكوميديا السوداء، يدور في قصر بعيد مظلم

أغلب الوقت، جاءت إليه مجموعة من الورثة من أجل تنفيذ وصية تركها صاحب القصر، حيث من شروط الوصية أن يبقى هؤلاء الأقارب لمدة شهر داخل القصر، لكن وكيل الدائرة يدعي أن بالقصر أشباح وكانت مدة الشهر كافية لتنفيذ خطته والتخلص منهم ويستولي على الثروة لكن محاولته تفشل بفضل خادم أخرس، يتمكن من كشف أبعاد الخطة وهو في حقيقة الأمر من الشرطة ، وينال كل من الورثة ما هو مكتوب له .

والغريب أن ثريا حلمي لم تغن في هذا الفيلم ، كذلك تركت شادية وإسماعيل يس يغنيان في فيلم "الهوا مالوش دوا" عام **1952**م ولم تشارك في الغناء، ولكنها غنت في ثلاثة ألحان من فيلم "آمنت بالله" لمحمود ذو الفقار **1952**م، حيث غنت مع إسماعيل يس "أطفال الروضة" ، وهو دويتو أداه معها إسماعيل يس، كما اشتركا معا في "اسكتش المصارعة" تأليف فتحي قورة وألحان أحمد صبره، واشتركت معهما مغنية تحمل اسم فاطمة علي في أغنية الريف التي لحنها محمود صادق .

وفي فيلم "بشرة خير" لحسن رمزي في نفس السنة غنت ثريا حلمي عدة استعراضات اشتركت فيها بطلة الفيلم شادية وهي تؤدي دور وصيفتها التي تحب موظف الإصلاح القادم من أجل إصلاح السخان، ثم مع مهندس الشركة، وقد غنت ثريا هنا "استعراض مصر والسودان" مع شادية ، و"أنا خايفة" ، والأول من كلمات السيد زيادة صار مخرجًا فيما بعد وألحان حسن أبو زيد، أما الثاني فمن كلمات جليل البنداري، وألحان حسن أبوزيد أيضًا .

وقد كانت ثريا حلمي سعيدة الحظ دوما وهي تعمل مع حسن الإمام، فكان يمنحها الفرصة كي تغني دوما مثلما حدث في فيلم "بائعة الخبز" عام **1953**م حين غنت مع شادية أغنية خفيفة كتبها فتحي قورة ولحنها محمود الشريف بعنوان "مصنع الأزياء" .

وفي الوقت الذي كانت سعاد مكاوي تعمل مع زوجها عباس كامل فإن ثريا حلمي التي كانت تؤدي نفس أنواع الأغنيات كانت تعمل مع حسن الإمام، وفي الوقت الذي لم يستعن فيه عباس كامل بإسماعيل يس في تلك الفترة غنت معه في فيلم "حلاق بغداد" لحسين فوزي 1954م ، حيث اشتركت مع كل من كارم محمود وإسماعيل يس في اسكتش "ناولنا الكاس" من ألحان كارم محمود وتأليف محمد أنور نافع وهي كما نري مشاركة ضعيفة رغم أنها بطلة في الفيلم ، ومن الواضح أن المونولوجست التي قدمت "فتح يابني فتح ، شوف مين بيكلمك" قد قلت أسهمها كمطربة في السينما .

وقد منحها حمادة عبد الوهاب دورا كوميديًا متميزًا في فيلم "إسماعيل يس يقابل ريا وسكينة" عام 1955م، فغنت بقوة في هذا الفيلم وحدها "بنات اليوم" تأليف أبو السعود الإبياري وألحان فريد غصن، ثم "بيت ريا" تأليف فتحي قورة وألحان سعيد فؤاد ، و"الإيدين" تأليف فتحي قورة وألحان علي إسماعيل .

ومع انتهاء مرحلة السينما الاستعراضية في السينما المصرية بدأت ثريا حلمي تبتعد عن الغناء في أفلامها التالية ومثلت فقط في أفلام عديدة منها " حبيبي الأسمر" لحسن الصيفي 1958م ، و"صائدة الرجال" 1960م و"زقاق المدق" 1963م، إلا أنها عادت للغناء الجماعي مرة عام 1967 م مع حسن الإمام في فيلم "إضراب الشحاتين" .

الفصل الرابع عشر
الغناء السينمائي
مرة واحدة فقط

كان للمطربين دومًا جاذبية خاصة لدى السينما، فما أن ينجح مطرب ما في الإذاعة حتى تسرع السينما وتتلقفه وتدفعه إلى أدوار البطولة وتراهن عليه بشدة أنه سوف ينجح في هذه التجربة .

ولو راجعنا أسماء المطربين الذن عملوا في عصر السينما ، فسوف نجد أن السينما جذبتهم وأعطتهم الفرصة سواء كانوا موهوبين في التمثيل أم لا لم يكن المهم هو أن يكون ممثلًا، لكن في المقام الأول يجب أن يكون مطربًا يغني للناس، وفي تا ريخ السينما المصرية سنجد أن هناك مطربين عملوا مرة واحدة فقط أو أكثر بقليل، وأن السينما لم تكرر التجربة معهم أبدًا ، وقد حدثت هذه الظاهرة دائما في تاريخ السينما منذ بدايتها وحتى الآن ، بداية من نادرة وبديعة مصابني كراقصة ، وحتى مصطفى قمر في عام **1998**م.

وسوف نتوقف هنا عند هذا النوع أمثال محمد وكمال حسني ورياض السنباطي وعفاف راضي ومحمد الحلو عمل كل منهم في أكثر من فيلم وعمر فتحي ، ونحن هنا نقصد بالأسماء الساطعة في نجوم الطرب التي عملت في بطولات الأفلام .

التجربة الأولى أو الفيلم الأول الذي يمكن أن نقف عنده وهو "أنا وحدي" لبركات، حيث منحت البطولة لثاني مرة لسعاد محمد، ومن الواضح أن التجربة الأولى لسعاد محمد في السينما لم تنجح، لا فنيًا ولا سينمائيًا ولكن هذا الفشل لم يجعل بركات يتراجع عن الإقدام من جديد على العمل معها ،

ففي عام 1948م قدم محمود ذو الفقار فيلمه "فتاة من فلسطين" وقام فيه بالبطولة ، وغنت سعاد في الفيلم أغنيات مثل "يا مجاهد في سبيل الله" ، و"بنت البلد عنديكم" .

وقد جسدت سعاد محمد هنا دور الفتاة الفلسطينية التي تتلقف طيارًا مصريًا اشترك في حرب 1948م، حيث أصيب وسقط بطائرته في إحدي القري الفلسطينية، فتقرر مساعدته والوقوف بجانبه .

وقد قدم ذو الفقار المطربة في أفيشات الفيلم كما يلي : "مع المطربة الجديدة صاحبة الصوت الساحر" ، ولم تكن سعاد محمد تتمتع سوى بصوت جذاب، ولذا تأخرت كي تظهر مرة أخرى، حيث راهن عليها بركات لآخر مرة في "أنا وحدي" وقدمها على أفيشات الفيلم : "ذات الصوت الذهبي الساحر" ، وسبق اسمها كافة الممثلين في الفيلم، من ماجدة ومني وعمر الحريري وميمي شكيب، وغيرهم .

ويحكي الفيلم قصة فتاتين تعيشان في القاهرة تكافحان من أجل لقمة العيش، تحلم إحداهما بالحب والثانية بالثروة، يصل خطاب من شقيقة إحداهما تعيش معذبة بين أم حائرة وزوج غليظ القلب وتود أن تلحق بهما، وهي صاحبة الصوت الجميل، تبحثن الفتيات الثلاثة عن أسرة وهمية، وتتكون الأسرة من أناس غرباء يكتشفون أن الحب هو أغلي كنوز الحياة، وتتسلق المطربة سلم الشهرة وتصادف الحب، وتعرف معني العذاب، وحين تصبح نجمة تفقد الحب وتعود وحيدة إلا من ذكري هذه البيئة الناعمة، وهنا يبدأ كل فرد من هذه العائلة الوهمية يكشف عن معدنه .

ولأننا أمام فيلم تقوم ببطولته مطربة فلابد من الرهان على أغنياتها ورغم أن البطولة تشعبت هنا بين أفراد الأسرة والجيران الذين انضموا إليهم، فإن سعاد محمد تغني مجموعة أغنيات من بينها "في مدح الرسول" التي لحنها

زكريا أحمد، وكتبها صالح جودت، وقد غنتها في إحدي المناسبات الغنائية وتقول فيها :

يا حبيبي يا رسول الله يا أغلي طموحي

يا شفيعي يوم ترتد إلى الديان روحي

دينك السمح على الأيام مرفوع الصروح

ينشر الرحمة والنور على الشرق الفسيح

بلسان عربي طاهر الذكر فصيح

أنا في حبك أهوى الموت إن طهرت روحي

وحسب قصة الفيلم ورغم أن البطلة هنا مطربة، فإن الأحداث كانت تحاول أن تلفق أية ظروف إلى الفتاة كي تغني، كأن يطلب الجيران من الأب الوهمي أن تغني ابنته فيعترض بشدة، ثم تبدأ في الغناء ، وسرعان ما يتم التعاقد مع الأب كي تعمل الابنة في ملهي .

وقد تركت سعاد محمد بصمتها في الطرب من خلال أغنيات شدت بها في هذا الفيلم، لكنها لم تكن ممثلة بها أي جاذبية يمكن الاستعانة بها مرة أخرى، فغنت أغنيتها الشهيرة "القلب ولا العين" التي كتبها مأمون الشناوي ولحنها محمود الشريف:

القلب ولا العين ، مين السبب في الحب

فيه ناس تقول العين ، وناس تقول القلب

مين يا تري كان السبب في الحب مين

والا الهوى وعد انكتب ، على الجبين

الفرحة والابتسام ، م القلب والا العين

والحيرة ساعة السلام ، م القلب والا العين

كما غنت أغنيات أخرى ذائعة الصيت منها "فتح الهوى الشباك .. والنوم طار مني" التي كتبها مأمون الشناوي ولحنها رياض السنباطي ومن أشعار صالح جودت أيضا وألحان السنباطي غنت قصيدة "أنا وحدي" كما غنت "إيه دنيا" للشناوي والسنباطي أيضا .

وقد تكررت نفس التجربة مع أحلام في نفس السنوات، حيث ما أن ذاع صيتها في مجموعة أغانيها خاصة أغاني الأفراح ومنها "يا عطارين دلوني" ، و"القمح الليلة" و"توب الفرح" ، حتى أسند إليها حلمي رفلة بطولة فيلم " البنات شربات" أمام إسماعيل يس عام **1951**م، وفيه غنت ثمانية أغاني فردية وأغنيات مع بطل الفيلم إسماعيل يس ومحمد البكار .

والغريب أننا هنا أيضا أمام ثلاث بنات يعشن في ظروف اجتماعية قاسية، من وردة وفلة وقرنفلة، وهن يعشن بعيدًا عن الأب الذي تزوج من امرأة أخرى وأنجب ولداً ، يتعرف على قرنفلة (المطربة) في ملهي ليلي ويرمي شباكه حولها في الصالة دون أن يعرف أنها أخته تتزوج أمهن وتعاني الثلاثة من قسوة معاملة زوجها الذي يريد تزويجهن من ثلاث رجال كبار في السن، هرب الفتيات ويكتشف الأخ الحقيقة فيصحب أخواته إلى منزل الأب ويتغير سلوكه ويدرك الأب مقدار خطئه في ترك زوجته، ويزوج بناته الثلاث ويعاهد ابنه أن يستقيم في حياته .

ومن الأغنيات التي تضمنها الفيلم " هتروح لمين" و"مين هو اللي باحلم بيه" و"البنات شربات" تأليف صالح جودت وألحان زكريا أحمد، أما أغنية "التماثيل" فهي من كلمات فتحي قورة وألحان محمد البكار وهما أيضًا اللذان كتبا أغنية "ماما جمالات" وكتب فتحي قورة أغنيتي "أجزخانة الهوى" و"عيد الميلاد" اللتين لحنهما أحمد صبره .

أما البنتان الأخرتان فكانتا الراقصتين الاستعراضيتين رجاء وعواطف يوسف، وقد غنت أحلام وهي توقظ أختيها عقب العودة إلى المترل، وراحت تردد في أغنية "ماما جمالات" :

أحلام : ياللا يا فلة ياللا يا وردة .. نعمل شغل البيت يا بنات

ونخليه كده زي الوردة .. عشان يعجب ماما جمالات

رجاء : أنا هابسطها وراح أخليها .. تعرف إني ماليا شبيهة

عواطف :وأنا هتشوفني تقول دي نبيهه.. ومن شطارهًا أنا معجبة بيها

أحلام : وأنا هاطاوعها وأحايل فيها .. وأقطع روحي عشان أرضيها

وقد قدمت هذه الأغنية على سبيل المثال في إطار استعراضي راقص حيث تقوم البنات بتنظيف المترل، ملابس البيت ، فيترلن السلم وينظفنه ويدخلن المطبخ ويغيرن من شكله .

ومن الواضح أن حلمي رفلة هو صانع السينما الغنائية في مصر هو الذي خاطر أكثر من مرة، فهو الذي راهن على الملحن رياض السنباطي في فيلم "حبيب قلبي" عام **1952**م، وقد بدت المراهنة قوية من خلال ما جاء في الإعلانات المنشورة في الصحف والمجلات التي تقول "الفنان الملهم رياض السنباطي يمثل ويغني ويلحن لأول مرة في تاريخ السينما في فيلم التجديد والابتكار" ، وكلمات الأغنيات في الفيلم مثل "على عودي أنام وأصحي" كتبها جميعا حسين السيد ، ولحنها السنباطي نفسه الذي قام بدور الموسيقار سمير الذي يعمل صديقه فتحي في وظيفة صغيرة بعد أن أصيب في حادثة أدت إلى إصابته في صوته وتفشل ناهد في العثور على وظيفة لأن الكل يطمع فيها، تتعرف على فتحي الذي يكتشف فيها حلاوة صوهًا ، يقدمها لسمير الذي يعجب بموهبتها ويقرر أن تؤدي ألحانه يتفق معها على الزواج إلا أنه يضحي بحبه ففتحي يحبها، يضطر فتحي للاختلاس من الشركة لمكثرة نفقاته بعد

زواجه، يطرد زوجته متوهمًا أنها تحب سمير، وعندما يتم القبض عليه ينتحر ويتولى سمير رعاية أسرته ثم يتزوج من ناهد .

ومن الواضح أن السنباطي لم يكن ممثلا جذابًا ، لذا لم تتكرر التجربة مرة أخرى، وقد حدث نفس الشيء بعد حوالي واحد وعشرين عامًا مع ابنه أحمد حيث أفسحت له مساحة من الدعاية وهو يقدم فيلمه "البنات لازم تتجوز" ، وسوف نعود إليه في مكان آخر .

وفي منتصف الخمسينيات تم الرهان على كمال حسني، حين قدمه إبراهيم عمارة في فيلم "ربيع الحب" أمام شادية، أي أن إبراهيم عمارة الذي قدم لعبد الحليم حافظ أول أفلامه "لحن الوفاء" أمام شادية كان يستعد لتقديم نجم جديد يلمع في السينما أيضًا وذلك من خلال حكاية تصلح لأن تكون فيلما غنائيا، فهناك قصة حب بين آمال ابنة الثري وابن عمها جلال، حيث يعارض الأب زواج ابنته بعد أن يترك جلال دراسته في كلية الحقوق كي يكون فنانًا ويرى أن تتزوج من ابن أخيه كمال، وهو شاب يهتم بدراسته . توافق آمال أن تخطب لكمال بعد أن تشك في علاقة جلال بامرأة أخرى، إلا أن آمال تكتشف الحقيقة وأن السيدة التي يعيش معها جلال هي والدته التي طلقها أبوه، فتدرك أنها ظلمت جلال فتعود إليه ويرجع الأب لزوجته.

وقد غنى كمال حسني في هذا الفيلم أغنيته الشهيرة :

غالي عليا .. غالي عليا

وأغلي عندي من الدنيا ديا

قدمت قلبي إليه هدية

أتمنى فرحه وأدعي له

ومن كل قلبي أغني له

وكما قدم عمارة لعبد الحليم وشادية دويتو جميل هو "تعالي أقول لك" في الفيلم الذي أخرجه لهما، فإنه قدم كمال حسني وشادية في دويتو آخر لا يزال حتى الآن في أذهان الناس تقول كلماته :

كمال : لو سلمتك قلبي .. واديت لك مفتاحه

راح تقدر على حبي .. ودموعه وأفراحه

لو تقدر على حبي .. أنا أوهب لك قلبي

شادية : راح تحلف بهوايا .. وتبطل طول وقتك

لما كنت معايا .. أول مرة عرفتك

قوللي هتنسي عهودي .. وتجيني في مواعيدي

فكر قبلة شوية .. بعدين رد عليا

وتقول الأوساط الصحفية أن كمال حسني تعرض لحملة إعلامية قاسية قام بها أحد الصحفيين الذين صاروا مشهورين لصالح عبد الحليم حافظ، ولذا لم ينجح الفيلم، وقد تحدث كمال حسني نفسه عن هذه الفترة في أحد البرامج التليفزيونية وأكد هذا الأمر، لكن لاشك أن الجاذبية لم تسفر عن ميلاد تجربة أخرى من قبل كمال حسني، لا في السينما ولا في مجال الغناء نفسه، ومن الواضح أن السينما خسرت مطربا حلو الصوت.

وفي الوقت الذي فشلت فيه تجارب شهر زاد أكثر من مرة في أفلام اشتركت في الغناء فيها مثل "زينب" لمحمد كريم عام **1952**م، فإن المطربة لم تسند إليها أي بطولة ولا يكاد أحد يذكر تجاربها السينمائية ولو نظرنا إلى أغنياتها في هذا الفيلم فإنها لم ترسخ بالأذهان .

والغريب أن هذه الظاهرة عادت مرة أخرى للتواجد بقوة في السبعينيات، ففي عام **1973**م راهن علي رضا على أحمد السنباطي بعد نجاحه الساحق في الإذاعة والتليفزيون في أغنيات مثل "مين في الجمال قدك"

و"لو بينا بلاد" ، وبدا الرهان من خلال فيلم ضخم الإنتاج وقف فيه نجوم السينما القدامي كي يساندونه مثل يوسف وهبي ورشدي أباظة ومريم فخر الدين، أما البطلة التي وقفت أمامه فهي نجلاء فتحي، وقد كان الفيلم ملونًا في فترة لم تكن جميع الأفلام ملونة .

وكاتب الفيلم هو أحد الكتاب القدامي للأفلام الغنائية علي الزرقاني إذن فالموضوع مناسب من أجل صناعة نجم، وقصة الفيلم عن أحمد مدرس الموسيقى، الذي يتزوج من صافي رغم اعتراض والدها ولكن بموافقة جدها، يثور عليها الأب ويطردها فتعيش حياة متواضعة مع أحمد في مترل أمه، في نفس الوقت يتخلي عنها أخوها أشرف الذي ينهار لما فعلته، ينجح أحمد في عالم الغناء والتلحين تتعرض صافي للخطر وهي تلد فيسرع الأب إليها ليعرب عن ندمه ويبارك زواجها .

وقد نوع علي رضا كمخرج المطربين الذين كتبوا الأغنيات، منهم نزار قباني ومأمون الشناوي وحسين السيد ومصطفى الضمراني، أما رياض السنباطي فقد ساهم في تلحين الأغنيات كذلك قام أحمد السنباطي وهو في الأساس عازف عود وجيتار .

وبعد عامين في **1975**م قدم حسين كمال التجربة الوحيدة لعفاف راضي في فيلمه "مولد يا دنيا" ، والاختلاف البادي بين تجربة السنباطي وعفاف راضي أن هذه الأخيرة كانت عندما دخلت البلاتوه لتمثل كانت قد قطعت شوطًا طويلًا من الشهرة بعد أن غنت لأول مرة في عام **1968**م، أما السنباطي فقد أسرعت السينما بالتقاطه، ونحن أمام فيلم استعراضي أكثر منه غنائي، فنحن أمام مخرج مسرحي يلتقي بمجموعة من النشالين وهم يغنون ويرقصون فيعجب بموهبتهم، يتفق معهم على تكوين فرقة استعراضية بعد تدريبهم، يعلنون توبتهم من الإجرام مما يثير غضب زعيمهم أبو دومة، ينضم

إليهم العربجي أبو ريشة يستعدون لتقديم الاستعراض على أحد مسارح القاهرة إلا أن أبو دومة يحاربهم ويخطط لفشل العرض، وينجح المخرج المسرحي في أن يكسب ود أبو دومة إلى صفه وينجح الاستعراض .

وقد غنت عفاف راضي أغانٍ فردية بعيدًا عن أجواء المسرحية الاستعراضية، أغنيات تعبر عن مشاعر الحب الذي تكنه الفتاة للمخرج مثل "يمكن على باله حبيبي يمكن عن باله قريب ، لكن والله يا حبيبي عن بالي ما بتغيب" وأيضًا أغنية "حبيتك على قد الحب وحبيتك" .

وقد كتب النقاد يشيدون بعفاف راضي كثيرًا عكس ما حدث مع النماذج سابقة الذكر، حيث كتب مجدي فهمي في مجلة الشبكة "إن اكتشاف الفيلم الأكبر هو عفاف راضي ، فالسينما المصرية مشكلتها الكبري تنحصر في العثور على مطربة تملك موهبة التمثيل مطربات كثيرات حاولن وفشلن، رغم مقدرتهن الغنائية مثل فايزة أحمد وسعاد محمد وغيرها، إلا أن عفاف راضي قد تحولت في يد حسين كمال إلى عجينة لينة تحولت وتشكلت ، ثم نضجت في فرن التجربة فكانت ممتازة".

"عفاف خفيفة الظل ، خفيفة الحركة ، قريبة من القلوب . وهذه ميزات ضاعفت رصيدها الفني كمطربة من أول فيلم" .

وفي أوائل الثمانينيات بدأت السينما تراهن على نجوم الطرب الجدد خاصة بعد رحيل عبد الحليم حافظ ، وقدم حسن الإمام محمد ثروت في فيلمه الأول "ابن مين في المجتمع" عام 1982م، والغريب أن ثروت الذي لم ينجح في السينما، قد نجح فيما بعد في التليفزيون ومن الواضح أن حسن الإمام قد راهن عليه مثلما سبق وراهن على عشرات النجوم الذين اكتشفهم، لكن أفلام حسن الإمام في تلك الفترة، كانت بمثابة إعادة لأفلامه القديمة، وقد تصور المخرج بعد نجاح و"بالوالدين إحسانا" وهو إعادة لفيلمه القديم "غضب

الوالدين" أن مسألة إعادة هذه الأفلام ستكلل بالنجاح، إلا أنها جميعها فشلت بما فيها "ابن مين في المجتمع" ، وبرغم أن ثروت قد غنى في الفيلم عدة أغنيات منها "يا للي مالوش غيرك حما" من ألحان أحمد صدقي، فإنه لم ينجح وبدا كأنه يبتعد بعد هذا الفيلم للأبد عن السينما .

وكان مطرب من نفس الجيل قد قدم أكثر من تجربة مثل عماد عبد الحليم، لكن محمد ثروت الذي سمعه الناس بشغف في أغنيات من طراز "حلوين من يومنا والله" وأغنيات الأطفال "حبيبة بابا رشا" و"طيور النورس" لم يكن جذابًا أمام شاشة السينما .

وقد تكرر نفس الحظ السيء بالنسبة لأغلب أبناء هذا الجيل سينمائيًا فعلي الحجار ظهر في فيلم "أنياب" المليء بالتجريب والمباشرة من إخراج محمد شبل، ولم ينجح الفيلم ، كذلك لم ينجح الحجار صحيح أنه لم ينقطع عن السينما، لكنه في أفلامه التالية اكتفى فقط بالغناء وكانت قد فشلت التجربة الأولى في الغناء في فيلم "المغنواتي" لسيد عيسي؛ وهو فيلم مأخوذ عن "حسن ونعيمة" وهي قصة كانت سببًا في زمن السينما الغنائية في اكتشاف موهبة محرم فؤاد، وأطلقته في السينما لعدة سنوات .

أما محمد الحلو، صاحب أغنية "عراف" فقد عمل في أفلام ضعيفة تنتمي إلى سينما المقاولات، وهي أفلام تعتبر بمثابة مقبرة للمواهب الجديدة منها فيلم "ابتسامة في عيون حزينة" لناصر حسين **1987**م. والفيلم يروي قصة الموسيقار المشهور جلال الذي أصابته عقدة نفسية من النساء بسبب خيانة زوجته له فطلقها، يكرس حياته لتربية طفله عماد، تمر السنوات ويلتحق عماد بمعهد الموسيقى ويربط الحب بينه وبين جارته مني، يعارض الأب الزواج بسبب عقدته التي تلازمه مما يثير غضب عماد فيهمل دراسته وتدريباته وتكاد فرصة اشتراكه في بطولة فيلم سينمائي أن تضيع منه ولكن الأب يغير موقفه .

والملاحظ أن نصف قصة الفيلم مأخوذ من فيلم "لحن الوفاء" ، أي أننا أمام قصة تصلح لفيلم غنائي، لكن هناك مسافة بين الأزمنة، ومواهب الذين يعملون في الفيلمين، ونحن هنا لا ندافع عن إبراهيم عمارة وموهبته ولكن مستوى فيلمه فاق فيلم ناصر حسين الذي يختلف مستوى فيلمه تماما عن الفيلم القديم .

وقد عاد الحلو للعمل مرة ثانية مع ناصر حسين في فيلم "شباب لكل الأجيال" عام 1988م، حيث يجسد شخصية أحمد الذي تخلت عنه حبيبته جيجي تحت ظروف حياتها الصعبة كي تتزوج من رجل ثري كبير في السن، وعن طريق زملاء ثلاثة يكتشف أحمد أن زوج جيجي أنور الجواهرجي ، يمارس أعمالًا غير مشروعة فيراقبونه ويتعاونون ومعهم جيجي لكشفه .

إذن فنحن هنا لسنا أمام فيلم غنائي بقدر ما هو فيلم بوليسي، والمعروف أن مثل هذه الأجواء تفسد الغناء تمامًا .

وكان عمر فتحي قد قام بتجربته السينمائية الوحيدة في فيلم "رحلة الشقاء والحب" عام 1982م لمحمد عبد العزيز، وذلك بعد نجاحه، وقام في الفيلم بدور واحد من مجموعة شباب يقررون الهجرة من الوطن إلى اليونان بحثا عن فرصة عمل ، وفي الطائرة يتعرف على فتاة تهرب من تجربة حب فاشلة ، وهناك تتوطد العلاقة بينهما ولكنها تصاب بمرض الصدر وتموت بين ذراعي حبيبها ، ويكون الفشل قد حل محل الأمل ، ويعود كل الأصدقاء حاملين جثة الفتاة معهم بعد أن صدموا جميعا في الغربة .

وفي الفيلم غنى عمر فتحي أربع أغنيات هي : "وكان اللي كان" كلمات محمد حمزة وألحان محمد الموجي ، ثم "خدينا ولفي بينا" لمحمد حمزة وألحان محمد سلطان ، ثم "حبيبي حقيقي بحبك" لمأمون الشناوي ولحن رؤوف ذهني ، ثم "أيام" من كلمات عمر بطيشة وألحان محمد الشيخ .

وتم تقديم عمر فتحي على أنه نجم الأغنية الجديد، ولكن القدر لم يمهله كي يعمل مرة ثانية، وإن كان قد مثل في التليفزيون مسلسلا مأخوذا عن حسن ونعيمة.

الفصل الخامس عشر
حلمي رفلة

في السنوات الأولى من عمر السينما الغنائية والكوميديا الموسيقية عمل كل المخرجين تقريبًا في إخراج هذا النوع من الأفلام دون استثناء . ولم لا ؟.. والناس يحبونها ويقبلون عليها بدرجات مختلفة في وقت تحولت فيها فنون الشاشة الفضية إلى كيان مغرد، وصار وجود أغنية أو استعراض ممزوج بالغناء بمثابة ورقة البريد التي يجب أن توضع على كل مظروف عليه الوصول إلى مستقبله .

والذين صنعوا هذا النوع من الأفلام هم بلا شك المخرجون وكان عليهم العثور على مطربيهم من أجل تقديمهم بصور مختلفة، وكما نعرف فإن هناك مخرجين بأعينهم كانوا يحبون أكثر من غيرهم هذه الأفلام واهتموا بها، وبدا أن لكل نجم غناء مخرجه المفضل مثل محمد كريم الذي عمل فقط كما نعرف مع محمد عبد الوهاب، وبدرخان الذي عمل مع فريد الأطرش، وأم كلثوم التي عملت مع أكثر من مخرج، وهناك في تلك الفترة أسماء مخرجين آخرين مثل حسين فوزي وتوجو مزراحي وعبد الفتاح حسن .

ولاشك أن المخرج أكثر غزارة في تقديم هذا النوع من الأفلام هو حلمي رفلة، ويليه حسين فوزي، وسوف نفرد فصلًا هنا للحديث عن رفلة؛ على أن نخصص لزميله فصلا آخر، فرفلة له واحد وسبعين فيلما ينتمي أغلبها إلى الكوميديا الموسيقية ، والسينما الغنائية .

وقد نظر النقاد دوما إلى رفلة نظرة المخرج المتواضع القيمة، فلم تكتب عنه دراسة يستحقها، ونحن هنا لا نقيم المخرج فنيًا، ولكننا سوف نتوقف عند

الحالة التي صنعها في هذا النوع من الأفلام فلاشك أنه صنع حالة أكثر من غيره، فأضحك الناس وأبهجها واكتشف مواهب عديدة واستفاد أيضا من المواهب الموجودة، ونحن لن نعدد أسماء المطربين والمطربات الذين تعامل معهم، بل سنذكر هنا فقط اسماء من قدمهم لأول مرة على الشاشة في عالم الطرب فمع أول فيلم للمخرج عام 1947م، قدم حلمي رفلة المطربة الجديدة شادية في "العقل في اجازة" ، وهو الذي قدم أحلام في "البنات شربات" عام 1951م، وقدم الملحن رياض السنباطي كبطل سينمائي في فيلم "حبيب قلبي" عام 1952م، وذلك في تجربته السينمائية الوحيدة، كما أنه أول من قدم عبد الحليم حافظ في نفس السنة مع إبراهيم عمارة، كل منهما في فيلم ، الأول في "ليالي الحب" والثاني في "لحن الوفاء" .

وحلمي رفلة هو الذي راهن على المطربة الجزائرية وردة في فيلم "ألمظ وعبده الحامولي" فأعطاها دور البطولة أمام عادل مأمون الذي ظهر فقط في بعض الأغنيات من قبل، وذلك عام 1962م.

وسوف يجد القاريء حديثًا متناثرًا عن أفلام حلمي رفلة في الفصول التي تحدثنا فيها عن محمد فوزي وشادية وإسماعيل يس وفريد الأطرش، لذا فإننا سنتوقف هنا عند السينما الغنائية التي صنعها بعيدًا عن هذه الاسماء وغيرها، حتى لا يحدث أي تداخل أو تكرار لما نقدمه عن هذه الظاهرة .

وقد اخترنا أن نبدأ بفيلم قد يكون بعيدًا عن أذهان المتفرجين والقراء بعنوان "المنتصر" ، أخرجه حلمي رفلة عام 1953م، قامت ببطولته تحية كاريوكا، وقام فيه اللاعب الرياضي برهان صادق بالبطولة المطلقة إلى جوار إسماعيل يس، وجمع الفيلم حشدًا من نجوم الغناء منهم كارم محمود وعزيز عثمان كضيوف غناء وقد جمع الفيلم كافة التوابل المعروفة في هذا النوع من السينما، راقصة وقصة حب ورياضي وممثل كوميدي واستعراضات .

والفيلم يروي قصة الراقصة سهام التي تتنكر في إحدي الليالي في ملابس خادمة وتتسمي باسم زينب وذهب للفرجة على سيرك ، وهناك تنشب مشاجرة تكاد تصاب فيها زينب لولا أن يسرع منير وهو عامل في أحد المصانع كان في السيرك فيدافع عنها ويتمكن من إنقاذها دون أن تصاب بأذي، وتبدأ بينهما قصة حب، وتري زينب سهام أنه يمكن توجيهه إلى الرياضة فتسعي إلى أحد مدرسي الملاكمة وتقنعه بالاهتمام بتدريب منير، ويتمكن المدرب من جعله ملاكما ممتازا حتى ينال البطولة فيلفت برجولته أنظار سهام، وهي ابنة رجل ثري تسعي إلى مصادقة أبطال الرياضة .

وسرعان ما تتولد قصة حب بين إلهام ومنير وينسي حبيبته، ويقبل الشاب على السهرات الصاخبة ويتهالك على الخمر فيعرف معني الهزيمة ويفقد بطولته فتهجره إلهام، ويفيق منير على أنه فقد زوجته وبطولته وتصاب يده أثناء ثورة غضب ضرب أثناءها المرآه وتكتشف سهام ما حدث لزوجها فتحاول إعادته إليها وإلى الحلبة حتى ينتصر .

وطالما أننا أمام راقصة ، فلابد أنها هي التي سترقص، أما المغني فهو كارم محمود، وهو هنا لا يتدخل في الأحداث بل عليه أن يغني في الكباريه وله أغنية كتبها إمام الصفطاوي ولحنها السنباطي باسم "القصيدة" يقول فيها :

على دقة القلب حول النغم *** تاهت الموجة من ضياء

بورد من الثغر حين ابتسم *** تناثر في الكون معني الهناء

ويشترك كارم محمود مع تحية في استعراض ثنائي باسم "غرام القطط" جاء في الكوبليه الثاني منه :

كارم : فين أنت يا نو

تحية : أنا آهه يا روح نو

كارم : انتي لوحدك

تحية : نو

كارم : ما حدش عندك

تحية : نو

كارم : أنا جبت معايا هدية وجيت

بعد ما دورت ولفيت

ودخلت المطبخ ولا خليت

وسألت عليكي صحون البيت

كما أن كارم محمود غنى في حفل زفاف البطل الرياضي على حبيبته أغنية "الزفة" ، أما عزيز عثمان فقد اشترك مع الكورس وكارم في استعراض طويل باسم "دكان الأفراح" جاء في بدايته :

يا فتاح من غير مفتاح   ابعت لنا أي استفتاح

فيه عندنا دكان أفراح   كله طرب وليالي ملاح

يا فتاح من غير مفتاح

المطربين بالوقة   والرقاصات بالكيلة

وفيه عوالم رقة   تحيي لكوا أجدع ليلة

وتخش باب الشقة   تمدح في أصل العيلة

وتقول ع القرد غزال شارد

والدم خفيف ويكون بارد

أما الفيلم الثاني فهو "شرف البنت" عام **1954**م، وهو من بطولة عقيلة راتب وعماد حمدي، واشترك في البطولة كل من إسماعيل يس وشادية وحسن فايق وزينات صدقي وعمر الحريري، ومفاجآت الغناء هنا أن عقيلة راتب قد عادت للغناء بعد توقف طويل، وإذا كانت شادية قد غنت أغنيات شهيرة مثل "أحبك .. وأضحي لحبك أعز الحبايب" من ألحان محمد عبد

الوهاب، فإن عزت الجاهلي لحن استعراضًا غنائيًا كتبه صالح جودت لعقيلة راتب تحت اسم "العقل والقلب" .

نفسي أحب وخايفة أحب   وأنا أعمل إيه
ياللي سكرتو بكاس الحب   احكوا لي عليه
ناس بيقولوا عليه يا جماله   وناس سهروا الليل ولا نالوا
إن كان حلو أنا أموت في خياله   وإن كان مر أنا مالي وماله

وعقيلة راتب في هذا الفيلم ممثلة لها بنت شابة ذات ميول للتمثيل، ولكن أمها تمنعها من ممارسة هوايتها، يرى كاتب مسرحي كبير أنها ممثلة مناسبة لدور البطولة في إحدي مسرحياته بدلًا من أمها، تبدأ الفتاة في حفظ دورها سرًا، وبعد النجاح تصارح أمها، لكن المفاجأة أن الأم تتدرب على نفس الدور، وتري أنه الدور الذي تنتظره ليحقق لها مجدًا ، تظن الأم أن ابنتها قد تورطت وفقدت شرفها، ويتم اكتشاف الحقيقة وتتخلي الأم في النهاية عن الدور من أجل ابنتها، رمز الجيل القادم .

وفي الفيلم العديد من الأغنيات الخفيفة لحنها محمد فوزي وألفها مأمون الشناوي ، مثل أغنية :

قلبك يسمع دقة قلبي   يشهد على إخلاصي وحبي
روحي حياتي عقلي فكري   كل عواطفي هايمة معاك

وأيضًا أغنية "حبيبي اصحي" :

قوم يا حبيبي صح النوم   وشوف الحكاية كلها أحلام
العمر كله فيه كام يوم   علشان تفرط فيه وتنام
شوف ابتسام الزمان   وإن قربك
ياللي الرضا والحنان   والعطف في حبك

كما غنت صباح مع شكوكو استعراضًا طويلًا باسم "ياللي بافكر فيك"
أما الأغنيات الحزينة فعددها اثنتان هما "ظلموني الحبايب" و"حبيبي حياتي" ، وهي كلها من تأليف الشناوي ، وألحان فوزي ، وتقول في مطلع هذه الأغنية مثلا :

لا أنت حبيبي ولا حياتي   ولا بحبك
ياللي نصيبي منك آهاتي   وغدر قلبك
لا أنت حبيبي

وفي تلك الفترة كان يعز على حلمي رفلة، وأيضًا على الكثير من المخرجين أن يقدموا أيًا من أفلامهم دون أن يخلو من أغنية، ورغم أن أبطال فيلم "عاشق الروح" جميعهم من الممثلين الذين لا يمارسون الغناء ومنهم كمال الشناوي وتحية كاريوكا وزهرة العلا، فإن رفلة قد جعل الشناوي يغني، وقدم محمد سلمان اسكتش غنائي راقص ألفه ولحنه بعنوان "غرام البادية" :

كورس : ما أحلي السهر بضي القمرة   وسط الصحراء ياه ياه
سلمان : يا عرب بالله دلوني   شفتوا حبيبي
إن كنتوا شفتوا الزين   احكوا لي وطفوا لهيبي

وفي فيلم "الحموات الفاتنات" لم يود رفلة أن يجعله فيلما يمر إلى الناس دون أن يجعل إسماعيل يس يغني "الحماتين" من تأليف فتحي قورة وألحان حسين أبوزيد، وفيها يقول بخفة ظله المعهودة :

قسما بالذي رفع السموات   وحياة من خلي اللي اختشي مات
لو حكمتوني على الحموات   لابعتهم كوريا في غمضة عين
يا سلام عندما   يصبحوا خصمين
وأنا أشوف العمي   ولا أشوف الاثنين
هما زائد هما   يبقوا حماتين

وأنا أشوف العمي ولا أشوف الاثنين

وإذا كان رفلة قد استعان بمحمد سلمان كي يقدم اسكتش في فيلم "عاشق الروح" ، فإنه استعان هنا بإبراهيم حمودة، وفيفي ماهر، والثنائي حسن وحسان من أجل أن يقدموا استعراضًا طويلًا كوميديًا يحمل اسم الفيلم كتبه فتحي قورة ولحنه أحمد صبره ، وفيها يردد إبراهيم حمودة:

ضلل علينا يا ورد وقول يا ريت لقانا يدوم على طول

قالوا اللي يصبر بكره ينول لكن صبرنا سنة وسنين

إن كنت مش ناوي تسيبني روح ياللا على بابا اخطبني

ما دمت عجباك وعاجبني وشغلت قلبي بنظرة عين

وقد قدم رفلة الكحلاوي في فيلم "خليك مع الله" وهو واحد من بطولاته السينمائية الضعيفة ، وذلك عام **1954**م، وفي الفيلم غنى الكحلاوي أربع أغنيات هي : "داري الجمال داري" و"غزالي الحلو قابلني" و"على فين يا وابور" و"أول ليالي الهنا" ، وحول لغناء في هذا الفيلم كتب ابن زيدون ناقد مجلة الكواكب : "للكحلاوي أسلوبه الغنائي الخاص، وأعتقد كسميع أنه أرضي المعجبين بهذا الأسلوب، وهو طبعا أسلوب لا يصلح للسينما إذ يتخلله التكرار في الكوبليهات والاستطالة بالموال وترديد المذهب ، ولكن هذا عيب مشترك في أغانينا لا يؤاخذ هو وحده بجريرته" .

ومع النصف الثاني من الخمسينيات بدأت الكوميديا الموسيقية والسينما الاستعراضية في الانحسار في مقابل ارتفاع مكانة الفيلم الغنائي الخالي من الاستعراض، وقد حدث هذا مع ظهور جيل جديد من أهل الطرب يغني فقط دون أن تكون لديه القدرة على المشاركة في الاستعراض ومنهم عبد الحليم حافظ ، وكمال حسني ، ومحرم فؤاد ، ووردة الجزائرية ثم عادل مأمون ، وماهر العطار، وقد وجد حلمي رفلة نفسه أمام هذه الظاهرة فلم يشأ أن

يبتعد عنها وسعي قد إمكانه إلى استغلالها سواء في الأفلام المصرية أو في بعض أفلامه اللبنانية ، منها فيلم "مهرجان الحب" عام **1958**م الذي غنت فيه صباح .

وحلمي رفلة هو الذي أخرج أكبر عدد من الأفلام لعبد الحليم حافظ ، على سبيل المثال هي "ليالي الحب" **1955**م، و"فتحي أحلامي" **1957**م، ثم "معبودة الجماهير" ، وكان قد توقف عن العمل مع فريد الأطرش بعد أن قدم له مجموعة من الأفلام منها "تعالي سلم" **1951**م، ثم يراهن على المطربين الجدد ، ومن أبرزهم وردة الجزائرية التي قدمها في أول تجربة لها في "ألمظ وعبده الحامولي" عام **1962**م، ثم عاود العمل معها في "صوت الحب" عام **1973**م عقب عودتها من اعتزالها الذي استمر ثمان سنوات .

والفيلم كما نعرف يستعرض جانبا من حياة أثنين من أشهر نجوم الطرب العربي في القرن التاسع عشر، هما ألمظ عاملة من عاملات البناء، ثم أصبحت من ألمع كواكب الغناء في عهد الخديوي إسماعيل ، وكان وراء ذلك المطرب المعروف عبده الحامولي الذي شجعها وعلمها وقدمها للأوساط الراقية . وقد نظر الفيلم إلى هذه القصة من منظور سياسي ، من أجل إلقاء وجهه نظر تلك المرحلة التي كانت تري في الخديوي شخصية فاسدة اجتماعيا وسياسيا ، ولذا فإنه يطمع في ألمظ ، لذا فإنها تتزوج عبده الحامولي من أجل أن يحميها من الخديوي ، لكن الحامولي يطلب منها أن تعتزل الغناء والاكتفاء فقط بالتواشيح .

والفيلم يضم ست أغنيات مستوحاة من أغنيات مشهورة للمطربين مثل "زفة العروسة" التي تقول فيها :

يا نخلتين في العلالي يا بلحهم دوا

يا نخلتين على نخلتين طابوا في ليالي الهوى

والأغنيات الست من نظم صالح جودت اشترك في تلحينها ستة ملحنين هم محمد عبد الوهاب (إسأل دموع عنيه) ، وعلي إسماعيل (نشيد النصر) وفريد الاطرش (روحي وروحك حبايب) ، وبليغ حمدي (زفة العروسة) ، وكمال الطويل (ياللي سامعني) ، ومحمد الموجي (كنت فين) ، وأربع من هذه الأغنيات غنتها وردة، ومنها أغنيتها التي صنعتا شهرتها :

اسأل دموع عنيه　　　　واسأل مخدتي
كام دمعة رايحة جاية　　　　تشكيلك وحدتي
واسأل مخدتي

أما الأغنية التي ساهمت في رفع أسهم عادل مأمون الذي اشتهر بتقليده محمد عبد الوهاب ، فهي "ياللي سامعني" التي يقول فيها :

قولوا لطيري اللي سارح　عشه ما بين الجوارح　　وله على الأمان
هاجعل ضلوعي غصونه　وأعز حسنه وأصونه　　وأرويه بدمع الحنان

وفي تلك الفترة راهن حلمي رفلة على المطرب الجديد محرم فؤاد بعد نجاحه في فيلم "حسن ونعيمة" ، وفي فيلمه "لحن السعادة" بدا المخرج كأنه يحاول أن يصنع من المطرب الجديد صورة جديدة من عبد الحليم حافظ ، فها هو أمام مطرب شاب ولا يجيد سوى الغناء وعليه أن يغني في المروج والمراعي، باعتبار أن أحداث الفيلم تدور في الريف، وأبطال الفيلم يحلقون كالطيور يحلمون بالمثل والحب، فنحن هنا أمام معالجة قريبة من روميو وجولييت، والد الفتاة رجل مثالي، يرفض أن يبيع أرضه أما عم الفتي فهو يريد شراء قطعة أرض يمتلكها والد الفتاة من أجل أن يسد سبل الري على أحد خصومه .

إذن ، فقصة الحب تتولد بين أجواء شائكة وتبدأ بالشاب الذي يقابل الفتاة وهي تسير فوق الجسر فيغني لها "شفت بعيني ما حدش قاللي .. شفت

الحب ودقت الحب" ، ثم هو عندما تتعقد الأمور أمام الحب يسير في الشوارع يغني في يوم عيد :

وأنت عني بعيد قلبي عني بعيد

حتى يوم العيد

وقد اكتشف حلمي رفلة أن مطربه ليس في قوة من سبق التعامل معهم من المطربين خاصة عبد الحليم حافظ، لذا فإن المتفرج يحس أن كلا من زكي رستم وحسين رياض قد حملا بطولة الفيلم وملأ الأحداث بوجودها .

ومع انحسار موجة السينما الغنائية، بدأ حلمي رفلة يتعثر كثيرا في عمل أفلامه التالية، وواجه العديد من المشاكل خاصة بمرض بطله عبدالحليم حافظ في فيلم "معبودة الجماهير" ، الذي استغرق إعداده أكثر من أربع سنوات ، وبدأ حلمي رفلة يبتعد بشكل ملحوظ عن الأفلام الغنائية مجبرا لا مخيرًا ، وفي عام **1971**م عملت معه شادية في فيلم تم تصويره في لبنان هو "لمسة حنان" وفيه غنت أغنيتها المعروفة "عالي" ، وفي نفس السنة أخرج فيلما غنائيا ضعيفا لنجاة باسم "ابنتي العزيزة" ، وفي عام **1973**م استعاد وردة لتقوم بقصة سبق للسينما أن أخرجتها مرارا وشاهدناها في فيلم "قمر **14**" وغيره ، وذلك في "صوت الحب" ، وبدا رفلة كأنه يحاول استعادة أمجاد الفيلم الغنائي بأي ثمن، وتكررت المحاولة عندما دفع بشمس البارودي إلى الغناء في فيلم "الزواج السعيد" عام **1974**م، وفي العام التالي قدم آخر تجاربه في السينما الغنائية من خلال فيلمين هما : "جفت الدموع" آخر أفلام نجاة الصغيرة سينمائيًا، وأيضا في فيلم "حب أحلي من الحب" .

ونحن نتوقف هنا عند هذا الفيلم الأخير ، لأنه لا يوجد أحد من أبطاله من المعروفين أنهم مطربون سواء محمود يس أو نجلاء فتحي، أو نادية الكيلاني،

والفيلم مقتبس عن واحد من أشهر الأفلام الموسيقية في الستينيات وهو "صوت الموسيقى" لروبرت وايز عام **1965**م.

والفيلم يروي قصة رفعت الذي ماتت زوجته وتركت له ستة أطفال، وقد عاني كثيرا من جلب مربيات تقنن الصغار في طردهن، إلى أن جاءت ليلى من إحدي الجمعيات الخيرية التي رأت أن تخلص المترل من النظام العسكري الذي فرضه رفعت على الأولاد ، وتواجه ليلى بعض المتاعب مع سامية خطيبة رفعت ، ويميل الأولاد شيئا فشيئا إلى المربية التي تفاهمت معهم وعزفت على ألحانهم ومشاعرهم، لذا فقد أحبها الأطفال وسعوا إلى طرد خطيبة أبيهم من خلال مطالبهم المتعددة ودفعوا بأبيهم إلى الزواج من ليلى .

وقد حاول رفلة استعادة أمجاد الفيلم الغنائي لكن محاولته بدت خائبة ضعيفة للغاية، باهتة لدرجة أن مجدي فهمي كتب في مجلة الشبكة عن هذا الفيلم : "والغناء الاستعراضي في أفلامنا للأسف ينحصر في بعض حركات راقصة ... حيث الكل يغني والكل يرقص" .

إذن ، فقد بدأ حلمي رفلة يغلق أحد الأبواب الرائعة، أبواب السينما الغنائية التي ازدهرت على يديه، ولم تكن المشكلة فقط في عدم وجود نجوم لهم نفس موهبة من سبقوهم في هذا المضمار، بل أيضًا كان كل من تعامل معهم رفلة في كتابة الأغنيات والاستعراضات قد رحلوا مثل أبوالسعود الإبياري، وفتحي قورة، وخوت الساحة لا يدخلها امرؤ له نفس الموهبة والمقدرة .

الفصل السادس عشر
محمد فوزي

محمد فوزي هو أحد الحالات القليلة في السينما الغنائية، فهو يغني ويلحن له جاذبية لدى الناس كممثل، والغريب أنه المطرب الذي عمل في أكبر عدد من الأفلام السينمائية طيلة عمر السينما المصرية، هذا طبعا بالنسبة للبطولات والنجومية ،

حيث عمل في الفترة بين عامي **1944**م **1959**م في ستة وثلاثين فيلمًا، وهو عدد كبير بالنسبة للسنوات الخمس عشر ولذا فإنه على عكس مطربين آخرين يعملون فيلمًا واحدًا في العام على الأكثر فإنه في عام **1948**م ظهر في خمسة أفلام، وفي العام التالي عمل في أربعة أفلام، أما في سنة **1950**م فقد عاد ليمثل في خمسة أفلام ثم قلت هذه النسبة فيما بعد .

وقد ملأ فوزي هذه الأفلام بألحانه الشجية، فقام بالتلحين لنفسه بالطبع ولبطلات أفلامه اللاتي غنين أمامه، مثل نور الهدى وصباح وعقيلة راتب وليلى مراد وأحلام ونازك، ومن هذه الأسماء سوف نكتشف أيضًا أن محمد فوزي هو أكثر من وقف أمام مطربات على الشاشة، رغم أنه من الشائع أنه قد صنع ثنائيًا تمثيليًا مع زوجته مديحة يسري .

ومحمد فوزي هو أيضًا مثل كافة المطربين في السينما، هو مغنٍ يمثل ويستفيد من السينما للتواجد، لذا فإن كل رسالته هو أن تمتليء الأفلام بالأغنيات، وقد ظهر المطرب مع ازدهار السينما الغنائية والاستعراضية ثم بدأ في الاختفاء مع انحسار هذه الموجة، إذن فهو أحد صناعها وعلامة بارزة من علاماتها .

والسينما الغنائية هنا مرتبطة في المقام الأول بالكوميديا، فمن بين مجموع أفلام فوزي فإن حلمي رفلة أخرج له أربعة عشر فيلمًا ، والجدير بالذكر أن بدايات فوزي في السينما لم تكن لامعة ، فالفيلمان الأولان له وهما "سيف الجلاد" ليوسف وهبي 1944م ، و"قبلة في لبنان" لبدرخان 1945م ، لم يكونا من بطولة فوزي، إلا أنه صار بطلًا مطلقًا في فيلمه الثالث أمام نور الهدى، وهو أيضًا من إخراج أحمد بدرخان وهو "مجد ودموع" عام 1946م، وفي هذا الفيلم لم تبد ملامح فوزي التي عرفناها فيما بعد، فهو هنا في دور موظف تلحق به المآسي، سواء من ناحية حبيبته أو من قبل رئيسه في العمل الذي ينقله إلى مدينة بعيدة كي يخلو الجو لهذا الرئيس من أجل المغنية التي ينافسه الشاب على قلبها، لكن هذه المغنية تحب رجلًا آخر هو ابن أسرة ثرية، وإمعانًا في إذلالها فإنه يدعوها على خطبته وتغني في هذا الحفل .

والشخصية الرئيسية هنا هي درية المطربة، أما حمدي فهو شخصية ثانوية باعتبار أن المجد هو الذي يلاحق الفتاة حين تصير مطربة مشهورة ثم هي التي تحصل على الدموع، بعد أن يتزوج الرجل الذي أحبته وتموت أختها في حادث وتتراكم عليها الديون، وهنا يعود حمدي من وظيفته في أسوان كي يقف بجانبها في محنتها ويساعدها لتعود مرة أخرى إلى المجد ويتزوجان .

والغناء الرئيسي في هذا الفيلم أدته نور الهدى، ومن الواضح أن المخرجين كانوا يضعون أمام محمد فوزي مطربات أخريات في أفلامه الأولى، حيث كان يبدو كأنه لا يتحمل بطولة فيلم وحده، فوقف أمام رجاء عبده في "أصحاب السعادة" لمحمد كريم عام 1946م، ثم أمام صباح في "عدو المرأة" لعبد الفتاح حسن في نفس العام، ثم أمام المطربة الجديدة شادية وأيضا ليلى فوزي، حيث جمعهما بدرخان مرة أخرى في فيلم "قبلني يا أبي" عام 1947م،

ثم عاد للعمل مرة أخرى أمام صباح في أول فيلم يخرجه له حسين فوزي بعنوان "صباح الخير" .

وبالنظر إلى هذه الأفلام ستجد أن فوزي لم يجسد دور المطرب الذي يسعي إلى المجد، بل إنه لا يكاد يغني إلا قليلًا مثلما حدث في فيلم "مجد ودموع" وفي "أصحاب السعادة" يقوم بدور الابن العائد من بيروت من أجل رؤية أبيه المريض، ويترك زوجته في الفندق وعندما يعود إليها لا يجدها، يبحث عنها في كل مكان بلا جدوي، ويلح الأب من أجل رؤية خطيبته، يتعرف الابن على فتاة أخرى ويطلب منها أن تؤدي دور الخطيبة فتوافق، يعجب الأب بالعروس التي غيرت وجه حياته، ثم يحدث أن يطردها الابن من حياته فتعود إلى مدينتها، وعندما يعرف الأب الحقيقة يسافر إليها ويتزوجها، وتعود الخطيبة الأصلية إلى الابن .

والموضوع لا يناسب أي كوميديا موسيقية أو غنائية، ولذا فإن محمد فوزي لم يتميز بعد في هذه الأدوار، وبدا كأنه لم ينضج بعد وعليه أن ينتظر مخرجًا من طراز حلمي رفلة أو حسين فوزي، ومن الواضح أن محمد فوزي بدأ يحس بأهمية دخوله السينما كنجم متكامل، فراح ينتج أفلامه ، وفي فيلم "حب وجنون" بدا محمد فوزي كأنه قد أملي على حلمي رفلة الصورة التي يجب أن يكون عليها، فالمطرب الذي هرب من القرية إلى القاهرة هو أقرب إلى محمد فوزي الحقيقي ، الذي جاء إلى القاهرة باحثا عن فرصة للعمل في الغناء ، وكي يصبح نجمًا . هذا الشاب الذي يعمل مع مجموعة من الفنانين الجائلين في سيرك متنقل، يتعرف على مجموعة منهم ويتعرض لمتاعب عديدة يلفت نظر الراقصة أنهار بصوته الجميل، تعرض عليه أنهار أن يعمل ملحنا للفرقة وسرعان ما يقع كل منهما في غرام الآخر، مما يثير غيظ إحدي النساء فتكلف أحد أعوانها بخطف المطرب حتى لا يتم زواجه ولكن الخطة تفشل .

محمد فوزي هنا هو بطل مطلق يغني، والفيلم قائم عليه أساسًا . وقد تكرر نفس الشيء في فيلم "الروح والجسد" لحلمي رفلة عام 1949م، وهو يدور حول شابين، الأول مطرب والثاني أديب، وكلاهما سيء الحظ في حياته ، يتعرف الأول على مطربة ويتبادلان الحب دون أن يعرف كل منهما الآخر ، يحبها الأديب أيضا ويرسل لها الخطابات فتظن أنها من المغني ، ينجح المطرب في مجاله الفني وتطارده راقصة، وعلى إثر حادثة يفقد المطرب بصره فيختفي عن الأنظار، تضطر حبيبته أن تتزوج من صديقه الأديب، وبعد مدة يعود البصر إلى المطرب ويمارس الغناء من جديد .

والمطرب هنا هو محمد فوزي، أما الأديب فقد جسده كمال الشناوي وأغنيات الفيلم بالطبع من ألحان محمد فوزي ، وتوزيع فؤاد الظاهري . ولم يغن المطرب هنا وحده، بل غنى مع شادية دويتو "متهيألي" ، وغنى مع شادية وإسماعيل يس أوبريت "الربيع" ، ثم غنى وحده أغنيات ثلاث هي "غني" و"قصيدة الذكريات" ثم الأغنية الشهيرة "داري العيون داريها"

وفي فيلم "المجنونة" لحلمي رفلة أيضًا وجد نفسه أمام ليلى مراد يغني أمامها أحيانًا، ووحده في أحيان أخرى، والفيلم كما نعرف يروي قصة عادل الطبيب النفسي الذي يلتقي أثناء الإجازة بالإسكندرية بزميلته القديمة ليلى التي تعيش مع عمها وزوجته اللذين يدبران خطة لتدمير عقلها ونتيجة لذلك فإنها تشك في كل شيء، ويتولي عادل علاجها بإحدي المصحات، ويعلم أن العم يحاول تعذيبها من أجل أن يظل وصيًا عليها وعلى ثروتها الضخمة، خاصة عندما يكتشف أن هذا العم قد دبر موت أخيه وزوجته، يدبر العم خطة لقتل الطبيب لمنعه من علاجها، لكن البوليس يحبط هذه المؤامرة، ويكشف أسرار ليلى التي تشفي وتتزوج من عادل .

وكما نري ، فإن قصة الفيلم لا تصلح قط أن تكون موضوعًا لعمل غنائي فقليلة هي الأفلام الغنائية التي تمتزج فيها الحدوتة بالأجواء البوليسية والقتل والدم ، حيث يتنافي الاثنان تمامًا، لكن هذا هو السيناريو الذي كتبه محمد كامل حسن المحامي، والذي تخصص في كتابة وإخراج الأفلام ذات الصبغة البوليسية بصرف النظر عن النوع الذي ينتمي إليه الفيلم وأبطال العمل بشكل عام .

ومن الدويتو الشهير في هذا الفيلم ما تغناه الثنائي فوق البحي "أنا حبيتك الأول" ، و"فرحانة وخايفة" .

ولاشك أن العمل الأكثر تميزًا في أفلام محمد فوزي في تلك المرحلة هو "فاطمة ومريكا وراشيل" المأخوذ عن "زواج فيجارو" ، وهو موضوع تكرر أكثر من مرة، لكن الجزء الأول من الفيلم ليست له أي علاقة بالمسرحية الفرنسية، وهي التي يرسم الشاب فيها على الفتيات فيسمي نفسه يوسف عندما يوهم ماريكا أنه سوف يتزوجها، ثم إذا به يدعي أنه يوسف ليشع عندما يتقدم لخطبة راشيل، حتى يدفع به أبوه إلى مترل فاطمة من أجل أن يتزوجها زواج قائم على المصلحة، فيدفع صديقه لأن يتظاهر أنه ثري، ويتصرف هو على أساس أنه التابع .

والفيلم يبدأ وينتهي بأغنية ساخرة ألفها أبو السعود الإبياري، يردد فيها "كان بدري عليك عليك بدري" ، والمقصود بالطبع هنا هو الوقوع في دائرة الزواج، ويمسك المطرب بالدف ليدق دقات حزينة جنائزية تدعو إلى الرثاء وهو يردد تلك العبارة ثم سينتهي الفيلم بنفس الأغنية ونحن نري الشاب يغني لنفسه هذه الأغنية بعد أن وقع في براثن الحب، وأثر الزواج .

وفي عام **1949**م أيضًا قام عز الدين ذو الفقار ، بتجميع كل من فوزي وكاميليا وشادية ، الذين عملوا في فيلم "الروح والجسد" مرة أخرى وذلك

في فيلم "صاحبة الملاليم" ، والفيلم أيضا من إنتاج المطرب، لكن البطولة المطلقة لكاميليا التي قامت بدور إحدي ثلاث أخوات لا يمتلكن سوى خمسمائة جنيه هدفهن أن يتزوجن زيجات من شبان أثرياء، ولكن المبلغ لو قسم بينهن فلن تستطيع كل منهن أن تتصيد عريسها المنظر، يتفقن أن تدعي سهام أنها مليونيرة ونبيلة سكرتيرتها وسنية وصيفتها، تقع نبيلة في غرام المليونير كمال، أما سنية فتحب عنتر سكرتير هذا المليونير وتحدث مواقف عديدة عمادها سوء الفهم بين الأخوات وأحبائهن وتنتهي بزواج كل فتاة من الشاب الذي تحبه .

وكما نري، فإننا أمام فيلم كوميدي يمكنه أن يتضمن أغنيات واستعراضات عديدة .

وفي عام **1950**م، كان محمد فوزي قد صار أكثر نضجًا كممثل ومطرب يعرف كيف يقدم نفسه للناس، ومن المعروف أن الكثيرين من نجوم الطرب في تلك السنوات كانوا أيضًا من نجوم الكوميديا، أو بتعبير آخر فإن المطربين كانوا يلعبون أدوارًا كوميدية ، وانتشرت أفلام الكوميديا الغنائية في فيلم "رصاصة في القلب" مع عبد الوهاب ، ثم تخصص فريد الأطرش في أداء الأدوار الكوميدية في أغلب أعماله في تلك الآونة، وبدا فوزي أكثر خفةً وحضورًا في أفلام عديدة في تلك السنوات، ولعل من أبرزها "الآنسة ماما" الذي نتحدث عنه في الفصل الخاص بصباح، ثم "الزوجة السابعة" ، والذي تألق فيه فوزي إلى حد كبير، وهو يقوم بدور الشاب العابث اللاهي الذي تزوج أكثر من مرة ووجد نفسه يقترن بفتاة جادة قررت أن تلقنه درسًا خوفًا، من أن تصير واحدة من الواقفات في طابور المطلقات، ومن أجل أن يظل محتفظًا بها عندما بدأت تشعر نحوه بالحب .

وفي هذا الفيلم مثل محمد فوزي أكثر مما غنى، وبدا خفيف الظل وهو يتلقي الضربات والمكائد، حيث نجده محبوسًا في شرفة أثناء سقوط المطر فيصاب بالبرد وتدفعه امرأته للإحساس بالغيرة من صديقه المخلص وتوهمه أنها تحبه .

وفي عام **1950**م أيضًا ، مثل فوزي فيلمًا جديدًا من إنتاجه هو "غرام راقصة" لحلمي رفلة، وذلك أمام نور الهدى (زميلته القديمة التي يكتب دائمًا اسمها قبل اسمه في الأفيشات) ثم تحية كاريوكا التي يكتب اسمها أيضًا قبله ، ويعد الفيلم نموذجا حيًا للسينما الغنائية الجماعية، فلم يستأثر بالغناء هنا شخص دون آخر فقد غنى محمد البكار، ونور الهدى، وأيضًا تحية كاريوكا وشكوكو، واشترك أبطاله الآخرون في الاستعراضات الضخمة البالغة التكاليف، التي ملأت الفيلم الذي يروي قصة حب تقليدية نراها كثيرا في الأفلام الغنائية ، بين مطرب صغير ومطربة ناشئة في إحدي الفرق الاستعراضية ويتعاهدان على الزواج، تعمل معهما راقصة كبيرة تعجب بالمطرب وتحاول الايقاع بينه وبين حبيبته وإبعادها عنه حتى تنفرد به، يقع سوء تفاهم بين الحبيبين ، إذ تعلم المطربة أنه تزوج من الراقصة، وكانت هذه الخدعة من تدبير الراقصة مما جعل الاثنين ينفصلان مما يؤدي إلى إصابة الشاب بالمرض والعزلة عن الناس، وبعد شفائه يعود للبحث عن حبيبته ويفهمها حقيقة ما حدث ثم يتزوجان .

وكما أشرنا فإننا أمام نموذج مثالي للفيلم الغنائي الاستعراضي فهناك أكثر من أربعة مطربين يغنون وراقصة ، ومجموعات من العاملات بالرقص الاستعراضي وممثلين كوميديين، بالإضافة إلى طول الاستعراض في الفيلم، "فالسندباد المصري" الذي ألفه فتحي قورة هو أوبريت يغني فيه المطرب ، ترد

عليه بنات الكورس إما بشكل جماعي أو تقوم بذلك واحدة وراء الثانية ، وقد جاء فيه :

فوزي : حيران وبداري آلامي   من يوم ما فارقني جمالها
خايف لتفوت أيامي   وتروح من غيي ما أقابلها
ليه كل ما أقرب منها   ألاقيني بابعد عنها
وأرجع من غير ما ألاقيها

كورس: احكي لنا على أوصافها   يمكن نقدر نعرفها
أو نعرف فين أراضيها

كورس: عيونها ..

فوزي : عيونها الجنة في عيونها   وفيها كل معني جميل

كورس: جفونها ..

فوزي : بيان السحر في جفونها   يداوي كل قلب عليل

كورس: خدودها ..

فوزي : خدودها الورد في خدودها   تبوسه النسمة وتصحبه

كورس: بس خلاص احنا عرفناها   دي في إسبانيا هناك تلقاها

فوزي : ياللا يا بحارة على إسبانيا   على أجمل جمالات الدنيا

بنات : حنا بنات إسبانيا تشوفنا تحب في ثانية
احنا الدرجة الأولى وغيرنا الدرجة الثانية
نرقص ونرقص عشاقنا   وتخاف م النسمة لتسرقنا
والنار في قلوبنا وشفايفنا   كاوينا وكاوية اللي شايفنا
احنا بنات إسبانيا

فوزي : شفتوش يا بنات واحدة جميلة !

البنات : طب ما احنا كلنا جمالات ..

والاستعراض من جماله يبدو مليئًا بمثل هذا الحوار، حيث تظهر بنات بلدي فيما بعد، وإذا كان الاستعراض جذابًا على الورق ، فهو بلاشك أكثر سحرًا على الشاشة، والملاحظ أن كافة أغنيات الفيلم طويلة مثل دويتو "عايز أقولك" ، و"فهمت حاجة" ، وفي هذا الفيلم غنت نور الهدى أغنية قروية كتبها مأمون الشناوي باسم "الجواب" ، أما أطول الاستعراضات "ألف ليلة وليلة" ، وغنى فيه كل من نور الهدى وفوزي وشكوكو وحسن فايق بالإضافة إلى بنات الاستعراض .

وقد نوع المخرجون من الأدوار التي يقوم بها فوزي، ولم يضعوه في نفس القالب، فقد نراه مطربًا صاعدًا أو مشهورًا في أفلام من طراز "الآنسة ماما" ، و"غرام راقصة" ، لكنه ضابط في "ورد الغرام" ، ورسام في "بنات حواء" ، وصياد في "ليلى بنت الشاطيء" ، ومساعد سائق قطار في "دايمًا معاك" ، وهو موظف فقير في "معجزة السماء" ، وقد امتلأت هذه الأفلام وغيرها بالأغنيات، وبدت القصص كأنها عامل مساعد أو ديكور خلفي من أجل أن نشاهد وقائع الأغنية ، ففي فيلم "الحب في خطر" نراه يقوم بدور مطرب معروف وضعت له إحدي اللصات عقد سرقته في جيبه حتى لا يتم القبض عليها، ثم راحت إلى منزله وتحاول استرداد العقد لكنه يكتشف جمال صوتها ويعطيها الفرصة لأن تصبح نجمة ، وهنا توجد أيضًا راقصة تحاول إفساد الحب بين المطرب واللصة التي صارت مطربة فتكشف ماضي الفتاة ويتعرض الحب للخطر .

ولأن أبطال الفيلم أمام فوزي هما صباح وإسماعيل يس فلابد لهما أن يغنيا معه، وامتلأ الفيلم بالدويتو بين الثنائي "شاغلته بعيني" ، و"أنت حبيت أيوة .. جد حبيت" ، ثم "استعراض الحب" أما استعراض "جنينة الغرام" فقد

جسده كل من الثلاثة أبطال الفيلم، وهنا أيضًا لابد لكل من فوزي وصباح أن يغني كل منهما أغنية فردية بعيدا عن الدويتو .

وقد كان حلمي رفلة دومًا لا يترك الفرصة لمطرب أن يستأثر وحده بالغناء، ففي الأفلام التي لا توجد فيها مطربة فإننا نري إسماعيل يس هو الذي يشارك فوزي الغناء، مثل فيلم "نهاية قصة" عام 1951م، حيث غنى المطرب العديد من أغنياته الشهيرة ومنها "من نظرة عين قلبي ناداني" و"جمالك بيزيد في عينيه .. كل ما بتطل عليا" ، و"يا نور جديد .. في يوم سعيد .. دا عيد ميلادك أحلي عيد" .

وقد خرج فوزي في بعض الأحيان من جعبة حلمي رفلة، وكانت بعض أفلامه جيدة أحيانا والبعض الآخر أصابه سوء الحظ ، فرغم أنه عمل مع عزالدين ذو الفقار عام 1949م في "صاحبة الملاليم" إلا أن الفيلم لا يذكر كثيرا في تاريخ الاثنين ، وقد تباينت تجربة المطرب مع بركات ، فهو في الفيلم الأول "ورد الغرام" 1951م أكثر حيوية وأغنياته أكثر خلودًا من فيلم "دايمًا معاك" ، رغم أن البطلة هنا هي فاتن حمامة، كذلك تكرر الأمر بالنسبة للعمل مع نيازي مصطفى حيث كان فيلمهما الأول "من أين لك هذا" 1952م عملا متواضعا بينما تعتبر التجربة الثانية في "بنات حواء" عام 1954م من أهم أفلام محمد فوزي الغنائية والاستعراضية الكوميدية على الإطلاق، حيث امتلأ الفيلم بالتدفق وخفة الظل من لحظاته الأولى وبدا الموضوع الذي كتبه أبوالسعود الإبياري مختلفًا كثيرًا عن السينما في تلك الفترة، خاصة الغنائية فلسنا أمام عزول أو رغبة مطرب في الصعود الفني، أو اكتشاف موهبة جديدة، بل نحن أمام عملية تحول للإحساس لامرأة تؤمن بالحرية وقيمتها كامرأة عاملة في المجتمع، لكنها لا تصدق كثيرًا في الحب، وتدخل في رهان مع رسام شاب صدمته بسيارتها وهو متوجه إلى المعرض فتفسد عليه لوحته،

ويتفقان على أن يرسمها كتعويض عن اللوحة التي أصابها التلف، ولأن الرسام يحتاج إلى وقت ، فإن المرأة "حكمت" توافق على تعيين الرسام لديها كي يرسمها في أوقات الفراغ ويتراهن الاثنان على الحب، وهو واثق أنها ستقع في الحب وهي تبدو صلدة من الخارج لفترة، حتى تؤمن في النهاية بالحب .

وهنا لم نر العزول ولا جريمة، وامتلأ الفيلم بالأغاني الوردية ، ولذا فإننا أمام فيلم خلا تمامًا من كل أغنيات البكاء والحزن ، لذا فكل أغنياته باعثة على البهجة، وقد تضمن الفيلم الذي شاركت في بطولته مديحة يسري وغنى فيه كل من شادية وإسماعيل يس أيضا سبع أغنيات، فردية وجماعية، وأيضًا الاستعراض الأخير البالغ الجاذبية "الحب له أيام ، وله فصول ومواسم" .

من هذه الأغنيات التي شدا بها فوزي هناك "يا جارحة القلب بعيونك، يصونه المولي ويصونك" وأغنية "الزهور" و"تعب الهوى قلبي والحلو مش داري .. ولأمتي هنخبي على بعض ونداري" كما غنى موالًا، أما شادية فقد غنت بمفردها "لقيته لقيته ، وهويته هويته" ، و"دا أنا بنت حلوة ومهري غالي" .

ولذا ، فهذا يكاد يكون من الأفلام الغنائية القليلة التي تمتليء بأجواء بهجة وردية منذ بدايته حت نهايته ، وهو أيضًا ذروة أعمال فوزي في السينما الغنائية، ليس لما يتسم بها من جودة وجاذبية، ولكن أيضًا لأن منحنى علاقة المطرب بالسينما بعد ذلك بدأ في التزول، سواء من حيث عدد الأفلام أو جودتها وموضوعها، وليس لهذا الأمر علاقة بالمرض الذي أصاب المطرب في أواخر حياته، فقد ابتعد فوزي عن السينما عام **1959**م، ورحل عن العالم بعد هذا التاريخ بست سنوات .

الأفلام الخمسة الأخيرة التي مثلها فوزي بعد "بنات حواء" هي على التوالي "دايما معاك" لبركات **1954**م و"ثورة المدينة" لحلمي رفلة **1955**م،

ثم "معجزة السماء" 1956م، و"كل دقة في قلبي" لأحمد ضياء الدين 1959م، ثم "ليلى بنت الشاطيء" لحسين فوزي في نفس السنة .

ولو بدأنا بالفيلم الأخير ، سوف نلاحظ أن هناك تشابها بين موضوعه وفيلم آخر لنفس المخرج هو "بحر الغرام" حول الفنان الذي تدفعه الظروف للخروج من مدينته الساحلية كي يصبح نجمًا مشورًا في العاصمة تاركًا وراءه قصة حب يجب أن يعود من أجلها، هذا الفنان كان فتاة في الفيلم الأول، أما فوزي فقد أدي دور الصياد الذي يتحول إلى مطرب في آخر أفلامه .

وهناك فيلمان من هذه الأفلام يدوران حول مأساة الموت المنتظر، والقدر الذي يأتي بالمآسي، ففي "معجزة السماء" هناك الموظف الذي يتعرف على فتاة في رأس البر ويتزوجها ويعاني معها من الفقر والإملاق والحماة المتسلطة، فيرفض قدره ، فإذا به يحلم أن قدره قد تغير وأنه صار غنيًا وقام بقتل الحبيبة وخطيبها وصار مجرمًا ، لذا فقد ثار عليه وقام بقتل الحبيبة وخطيبها وصار مجرمًا ، لذا فقد صار عليه أن يرضي بما قسم له القدر من الفقر والزوجة ، أفضل من أن يصير مجرمًا .

وفي فيلم "ثورة المدينة" ، راحت فكرة الموت تطارد الزوجة منذ طفولتها فالأب الذي يموت في الربع الأول من الفيلم، يعرف أن بنات العائلة يمتن عندما يتزوجن، وفي ليلة الولادة، ولذا فإننا طيلة أحداث الفيلم ننتظر الموت القادم للزوجة حتى يتجاوزها في نهاية الأحداث .

ولاشك أنه رغم هذه الأفلام ، فإن الغناء الذي تركه لنا فوزي ، خاصة في أفلامه يملأنا بالبهجة والفرحة والكوميديا .

الفصل السابع عشر
شادية

شادية هي المطربة الوحيدة في السينما المصرية التي اكتسبت نفس الجاذبية حين غنت في الأفلام، وأيضًا حين توقفت عن الغناء واكتفت بالتمثيل .

كما أنها المطربة الوحيدة الأطول عمرًا في تاريخ الغناء على الشاشة في الأفلام التي عملتها بين عامي 1947م 1984م، وهي ممثلة جيدة بقدر ما هي مطربة حية جذابة ، استطاعت أن تتواجد وأن تثبت موهبتها في كافة الأشكال التي ظهرت عليها، وهي حالة خاصة في كل الثنائيات التي شكلتها مع كل من كمال الشناوي وعماد حمدي وصلاح ذو الفقار وعبد الحليم حافظ وفريد الأطرش، وأيضًا في الأفلام التي عملت فيها أمام إسماعيل يس .

وقد تدرجت الأغنيات التي شدت بها في أفلامها من الأغنيات الخفيفة إلى الدويتو والأغنية الحزينة، ورغم إن البطولة الأولى في عملها الأول "العقل في إجازة" لحلمي رفلة كانت لليلى فوزي، فإن ملامح البطلة القادمة ومطربة المرحلة القادمة تجلت في هذا الدور، وظلت الأدوار التي تقدم للمطربة في السنوات العشر التالية تكاد تكون صورة مكررة من الفتاة الخفيفة الشقية المظلومة أحيانا المطموع فيها أحيانًا .

وحلمي رفلة هو المخرج الذي أعطي الفرصة الأولى لشادية في فيلمها الأول، ثم ما لبثت أن قدمها في فيلمها الثاني "حمامة السلام" 1948م و"الروح والجسد" 1949م، وفي العام التالي قدمها في أحسن صورة في "ليلة العيد" ثم في "البطل" عام 1950م.

ومع بدايات الخمسينيات تنوعت أدوارها أمام المخرجين الذين عملت معهم المطربة الشابة آنذاك، وكانت تعود إلى حلمي رفلة بين الوقت والآخر الذي أخرج لها في عام 1951م "حمايتي قنبلة ذرية" ، و"قدم الخير" 1952 ، و"حظك هذا الأسبوع" ، و"شرف البنت" 1954م، ولو راجعنا قائمة شادية بين أعوام 1948م 1954م، فسوف نجد أنها قد مثلت حتى نهاية العام الأخير المشار إليه 59 فيلمًا ، وهو رقم ضخم بالنسبة لفنانة . عملت في المتوسط عشرة أفلام في العام ، وعلى سبيل المثال فإنها مثلت في عام 1951م وحده ثلاثة عشر فيلمًا ، وفي العام التالي اثنا عشر فيلمًا ثم عشرة أفلام في كل من عام 1953م، و1954م.

ونحن نشير إلى هذه الأرقام كي نؤكد أن شادية لم يتم استهلاكها سينمائيًا رغم أنها مطلوبة بشدة من صناع الأفلام، فكان عليها أن تنتقل من استوديو إلى آخر، وأن تغني وأن تحفظ الأغنيات كي تؤديها، وتنوع المخرجين الذين تعمل معهم .

وقد تركت شادية من خلال هذه الأفلام ثروة غنائية بالغة الأهمية في عالم الأغنية الخفيفة، وسوف نبدأ بالحديث عن فيلمها "ليلة العيد" باعتباره الأكثر حضورًا لدى الناس، حيث شاهدوه على شاشات التليفزيون مرات كثيرة، وهو فيلم نموذجي لما يمكن تسميته بالكوميديا الموسيقية، ففيه الأغنية الفردية والثنائية والاستعراضية، وفيه الحكاية الظريفة حول الأخوة الثلاثة ياسمينا وشوشو وسوسو، الذين يعملون في مجال الاستعراض ، وهم مثل أغلب أبطال الاستعراض في السينما يحاولون أن يجدوا لأنفسهم فرصة في عالم النجاح، فيتم طردهم من ملهي إلى آخر والعراقيل تطاردهم ويلاحقهم الفقر، ولكنهم لا يكفون عن العمل والحلم .

وهذا الثالوث يغني دوما، إما فيما بينهم ، أو في الشارع أو حين يذهبون لمقابلة مدير المسرح من أجل البحث عن فرصة عمل، وهم لا يملكون من الحياة سوى حاشية يحملوها معهم، وفي إحدي المرات يذهبون لمقابلة مدير مسرح من أجل العمل لديه في الملهي الذي يمتلكه، يدخلون عن طريق الخطأ شقة أخرى يعرفون أن هناك مؤامرة من فتاة لعوب ضد الشاب عادل ابن أحد الباشوات، تقرر الأخت ياسمينا إنقاذ عادل منها خاصة بعد أن تعجب به .

وفي هذا الفيلم منحت شادية الفرصة الأولى للبطولة، ففيما قبل كانت تلعب الدور الثاني مع كاميليا وعزيزة أمير، كما أنها منحت فرصة البطولة الثانية لاحقًا في أفلام من طراز "الزوجة السابعة" ، و"ظلموني الناس" و"أيام شبابي" . وحتى عام **1954**م كان يمكنها أن تأخذ الدور الثاني مثلما حدث في فيلم "بنات حواء" حيث جاءت بعد مديحة يسري .

وفي فيلم "ليلة العيد" غنت شادية مجموعة من الأغنيات منها الفردي ومنها أيضًا الاستعراض الذي انتقلت فيه من الفتاة الشامية إلى البنت المصرية التي يفضلها المدير المحلي .

ورغم هذا العدد من الأفلام الذي قدمته شادية حتى عام **1954**م، ورغم عدد الأغنيات التي غنتها، فإنها لم تكن دومًا المطربة الباحثة عن الشهرة بل إن ذلك قد حدث في أضيق الحدود، وكانت شادية في أدوارها السينمائية أقرب إلى شخصية سندريللا، تلك الفتاة المسكينة المغلوب على أمرها الوارثة التي يطمع الآخرون في أموالها وميراثها، وفي أثناء هذه الظروف المتوحشة فإنها تتعرف على شاب يحبها من أجل ذاتها ويحاول أن يثبت لها أنه يحبها من أجل ذاتها ، وقد بدا ذلك في فيلم "في الهوا سوا" ليوسف معلوف **1951**م، ثم

"آمال" لنفس المخرج في العام التالي ، وبدا أكثر وضوحًا في فيلم "قدم الخير" لحلمي رفلة عام **1952**م.

وهذه السندريلا حزينة دومًا ، تبكي من أجل حظها، والبكاء هنا أغنية . كما أنها حالمة رقيقة، ويبدو هذا واضحًا في أغنياتها، وهي في كل الأحوال تغني بينها وبين نفسها أو أمام حبيبها وسط المروج وبين الزهور وكثيرًا ما يشاركها هذا الحبيب الغناء في الأفلام الذي يشاركها البطولة مطرب مثل كمال حسني وعبد الحليم حافظ وفريد الأطرش، وفي بعض الأحوال محمد فوزي وإسماعيل يس وكمال الشناوي .

وهناك سمة بالغة الغرابة في أفلام شادية في هذه المرحلة، حيث بدت هذه الأفلام كأنها متقاربة الموضوعات والأغنيات، ولذا فمن الصعب على المتفرج أن يفرق بين اسماء أفلامها أو موضوعات هذه الأفلام، بين "الهوا مالوش دوا" و"في الهوا سوا" والاثنان ليوسف معلوف، وبين "آمال" و"الدنيا حلوة" وكلاهما لنفس المخرج .

ولا يرجع ذلك قط إلى أن شادية قد عملت بشكل متكرر مع نفس المخرج ، بل أيضا مع نفس الممثلين ، حيث عملت أمام كمال الشناوي بين عامي **1948**م **1954**م فقط في **13** فيلمًا ، وعملت أمام إسماعيل يس **19** فيلمًا ، وأمام عماد حمدي في ستة أفلام وأمام محسن سرحان في ثمانية أفلام ، بالإضافة إلى مشاركات في أفلام عديدة لكل من شكري سرحان ومحمد فوزي .

ويعطي هذا الإيحاء أن شادية كممثلة مطربة في تلك الآونة نفس الوجه الواحد ، سندريللا بصورها المتعددة، وقد غنت شادية في أغلب الأحوال في هذه الأفلام من كلمات فتحي قورة وألحان أحمد صدقي، وإن كانت قد نوعت من فترة لأخرى بين المؤلفين والملحنين .

ولو توقفنا عند فيلم "الهوا مالوش دوا" فهو عن صديقين يجمع بينهما العمل ، (نفس الشيء في فيلم "بشرة خير") لحسن رمزي، والصديقان هما لطيف وخفيف، اللذان يفصلان من العمل، يحاول لطيف مضاعفة مكافأته عن طريق سباق الخيل فيفقدها، إلا أن هناك خطأ في النتيجة تكون سببه فتاة ويربح ويبحث عن هذه الفتاة التي كانت سببا في الفوز، يعرف أنها المطربة سمارة . يسعي للتعرف عليها . أما خفيف فيتعرف على الراقصة شعلو وتقع مشاكل للطيف بينه وبين صاحب الصالة الذي يطمع في سمارة . يخسر كل أمواله . تطاردهم العصابة بشأن الأموال التي كسبوها ، وفي النهاية يتغلبان عليها ويتزوج لطيف وسمارة وخفيف من حبيبته شعلة .

والأغنيات التي في الفيلم هي "الحظ نصيب" تأليف عبد العزيز سلام وألحان أحمد صدقي و"لمين راح أغني" تأليف صالح جودت وألحان أحمد صدقي و"الهوا مالوش دوا" تأليف فتحي قورة وألحان محمود الشريف و"ياللا معايا" تأليف فتحي قورة وألحان عزت الجاهلي ، أما أغنية الجنينة فقد اشترك في أدائها أبطال الفيلم الأربعة : إسماعيل يس ، ثريا حلمي كمال الشناوي ، وشادية ، وسوف نورد هنا جزءًا منها :

إسماعيل : شعليلة يا حلو يا شعاليلو
محبوبك هيموت تعاليلو
وإن قال لك على بوسة اديله
قبل الإسعاف ما تيجي تشيله
ثريا : أديك إزاي هو أنا هبلة
لأ كتب كتابنا يكون قبلة
إسماعيل : لو أزعل منك مش هاسأل عنك
لو طلعت عينك على قبلة

ثريا : يخي جاك عربية تدوسك

يا بو بق كبير وفظيع

دي الواحدة تيجي تبوسك

تركب موتوسيكل سريع

إسماعيل : آي لف يوو

ثريا : يختي حوشوه

كمال : جري إيه جري إيه يا خفيف

إسماعيل : أنا عارف بقي يا لطيف

مش راضية تديني بوسة

مع أن بقي نضيف

شادية : كل الحبايب كدا والتقل صنعتهم

لولا الدلال في الهوا ما تبان حلاوتهم

واكمنه مالوش دوا هتطول محبتهم

وقد اخترنا أن نتوقف في المرحلة الأولى عند نهاية عام **1954**م لأنها الفترة الأكثر نشاطًا في حياة المطربة سينمائيًا ، وهي أيضا الفترة التي تفرغت فيها للسينما، فمن المعروف أن شادية لم تغن في حفلات غنائية أسوة بباقي زميلاتها وزملائها من المطربين، وعاشت لفترة طويلة أسيرة لاستوديوهات السينما .

والغريب أنه مع عام **1955**م، بدأت أدوار الممثلة تتغير بشكل ملحوظ فرغم أنها جسدت دور الفتاة الخاطئة في فيلم "ليلة من عمري" في نهاية **1954**م، فإنها في هذا الفيلم قد غنت لحبيبها الكثير من الأغاني السعيدة المبهجة ، لكنها في فيلم "شاطيء الذكريات" **1955**م كانت أكثر حزنًا وخطيئة باعتبار أن الشاب الذي أخطأت معه ظل يلاحقها حين عودته من

السفر، وكانت قد تزوجت أخاه فقلت الأغنيات الخفيفة، أو بالأحري لم يكن هناك داعٍ للغناء بعد أن اشتدت المأساة، وقد غنت شادية في القسم الأول من الفيلم أغنيات ثلاث هي "شبك حبيبي" و"أحب بكرة" و"يلا يا ريس" وكلها من كلمات فتحي قورة وتلحين منير مراد .

وابتداءً من هذه الفترة اشتهرت شادية بأغنياتها الدويتو، فغنت أمام عبد الحليم حافظ ، "تعالي أقول لك" و"احتار خيالي" و"لحن الوفاء" ثم "احنا كنا فين" في فيلم "دليلة" لمحمد كريم ، ثم "لو سلمتك قلبي" أمام كمال حسني في "ربيع الحب" لإبراهيم عمارة ، وفي عام **1957**م غنت "يا سلام على حبي وحبك" أمام فريد الأطرش في فيلم "أنت حبيبي" ليوسف شاهين ، وهذه الدويتات تعكس بدايات الحب وتولده بين شاب وفتاة قبل أن تتنامي المشاعر العاطفية بينهما .

والغريب أن قوة أدوار شادية كانت لاتزال تتأرجح بعد أن صارت لها هذه المكانة كممثلة ومطربة ، حيث رأيناها في دور شبه ثانوي في فيلم "شباب امرأة" لصلاح أبو سيف ، وغنت أغنيتين .

ورغم أن شادية قد وقفت أمام نجوم طرب ، فإنها في كل الأفلام التي عملت فيها كان عليها أن تغني أغنياتها الخاصة بها التي تعبر عن مشاعرها ، مثلما حدث في "إنت حبيبي" ، و"دليلة" وكافة الأفلام المذكورة، وبالطبع فإن هذه المرحلة لم تأت من فراغ ، بل كانت قد غنت دويتات أخرى أمام منير مراد الذي لحن لها في حياتها كمًا كبيرًا من أغنياتها الخفيفة .

والفترة الهامة من حياة شادية كمطربة استمرت حتى عام **1962**م، ولكنها منذ منتصف الخمسينيات بدأ عدد الأغنيات يقل وتلاشت تدريجيًا صورة البنت الدلوعة لتحل محلها الفتاة الخاطئة، حيث جسدت مثل هذه الشخصية في أكثر من فيلم منها "وداع في الفجر" و"لواحظ" و"قلوب

العذاري" و"الهاربة" و"المرأة المجهولة" ، ثم هي تكاد أن تخطيء في "لوعة الحب" بعد أن وقعت في غرام زميل زوجها الغائب .

وكما نلاحظ فإن أغلب هذه الأدوار لم تكن لامرأة تعمل في الطرب، ولا حتى في الملاهي الليلية ، وقليلة هي الأفلام التي رأيناها تقوم فيها بدور فنانة ، حتى وإن حدث ذلك في فيلم "لا تذكريني" لمحمود ذو الفقار عام **1961**م، فإنها لا تغني أمام الناس .

وغالبا ما تكون الفتاة الخاطئة أقل قدرة على الشقاوة، خاصة بعد الخطيئة حيث تطاردها فعلتها ، ويلاحقها ماضيها ، لكن الغريب أن أدوار الممثلة بدأت تتقلب تمامًا، فهي شريرة في فيلم "ارحم حبي" لبركات **1959**م تحاول أن تستأثر بزوج أختها وتمتلك الرجال وتوقع بين الأسر السعيدة ثم هي في النهاية ستدفع الثمن، بل إنها قامت في فيلم "لواحظ" لحسن الإمام **1957**م لأول مرة بدور فتاة ليل، هذا الدور الذي سيلتصق بها لفترة طويلة خاصة في الستينيات، ولو نظرنا إلى أغنياتها في هذا الفيلم لوجدنا أن مؤلفنا هو فتحي قورة وهي "أنا لواحظ" ، و"يا واد يا حيلة" ، واسكتش "العرايس" .

كما أن نوع الأغنيات قد تغير في فيلم "حب من نار" لحسن الإمام أيضًا عام **1958**م، مثل أغنية "أحسن لها" التي غنتها مع المجموعة و"يويويو" وهنا كانت قد استعانت بمؤلفي أغانٍ آخرين مثل حسيب غباشي وصالح جودت، لكنها عملت فقط مع الملحن محمود شريف، ومن الملاحظ أننا هنا أمام أغنيات سينمائية في المقام الأول لم تلفت أنظار الناس إذاعيا ولم تذع على الناس ، وقد تكررت هذه الظاهرة في أفلام كثيرة تنتمي إلى هذه المرحلة ، مثل أغنيتها في فيلم "قلوب العذاري" لحسن الإمام أيضا عام **1958** ، ومنها

"الانتظار" ، و"الحصاد" ، و"هوانا" وهي من تأليف فتحي قورة وألحان الشريف عدا الأغنية الأخيرة التي لحنها منير مراد .

ولعل بعض الأغنيات كانت تفلت أحيانا إلى الإذاعة ، مثلما حدث في فيلم "ارحم حبي" ، وقد عكس هذا شكل الأغاني التي شدت بها المطربة في الكثير من أفلامها، وما أشرنا فإن أغنياتها في فيلم "ارحم حبي" لبركات قد زحفت إلى الإذاعة وهي أغاني باقية في أذهان الناس، ومنها مثلًا "العروسة" التي تقوم في بدايتها :

خطابك كتير وقالوا لي	تستاهلي الدهب واللولي
من بين الحبايب واحد	بتشاوري عليه وتقولي
حبيبي آهوه	خطيبي آهوه
ما فيش غيره لي	وما فيش غيري له

ثم أغنية "إن راح منك يا عين" ، وكل أغنيات الفيلم من تأليف فتحي قورة وتلحين منير مراد، وقد اتخذت الأغنيات أشكالًا مختلفة في أفلام مثل "المرأة المجهولة" حيث غنت سعاد وهي حبيبة زوجها وزوجة سعيدة، ثم اختفي الغناء من حياتها، وفي "لوعة الحب" لصلاح أبو سيف **1960**م غنت لحبيبها سائق القطار وهي أغنيات لم تتبق مع الزمن سوى في دائرة الأفلام التي غنت فيها .

ولا يمكن أن نضع قاعدة عامة لأغنيات شادية في هذه الأفلام، فبعض الأغنيات كانت تنجح بشكل بارز وتختفي بعض الأغنيات الأخرى وصارت تغني على الأكثر أغنيتين في بعض أفلامها، مثلما حدث في "التلميذة" لحسن الإمام ، حيث غنت "سونة" ، و"فوق يا قلبي" ، وفي فيلم "الزوجة **13**" غنت "على عش الحب" ، و"حياة عينيك" ، ثم غنت "نو يا جوني" في فيلم "زقاق

المدق" لحسن الإمام **1963**م، وكان المفروض أن تغني بسبوسة لكن زمن الفيلم لم يحتملها، فتم حذف الأغنية من الفيلم .

وشيئًا فشيئًا كانت شادية قد تخلصت لبعض الوقت من المطربة، وصار عليها أن تكون ممثلة فقط، وبدا هذا واضحًا في شخصية الفتاة الضائعة في فيلم "المعجزة" لحسن الإمام ، ولم يكن هناك أي داعٍ لإضافة أغنية ، وهي الفتاة التي يطاردها خطيبها المتشرد، وتحاول إحدي الصحفيات إخراجها من عالم القمامة إلى عالم أفضل، ورغم أن هذه الفتاة أحبت خطيب الصحفية فإنها لم تغن ، أي أنها لم تشعر ببهجة الحب الذي صار عليها أن تتخلي عنه بسرعة، بعد أن عرفت أن الشاب هو خطيب الفتاة صاحبة الفضل عليها .

لذا فإن أدوارها التالية التي لم تغن بها لم تكن بمثابة مفاجأة، بل بدا الأمر ممهدًا للمطربة التي صارت امرأة ناضجة وممثلة يمكنها أن تحمل هذا التغيير بكل تميز، وهي بذلك تكون حالة خاصة وفريدة في السينما المصرية لم يسبق لمطربة أن مرت بها، سواء من قبل أو من بعد، وقد حدثت بشكل ضيق في السينما العالمية لدى فرانك سيناترا في هوليوود ثم لدى جوني هوليداي في إيطاليا ، وأيضا أدريانو شلنتانو في إيطاليا .

ولم تكن تلك قاعدة بالنسبة للفنانة ، فقد ظهرت كمطربة فقط تغني أمام الجنود العائدين من اليمن في فيلم "منتهي الفرح" لمحمد سالم عام **1963**م، لكنها لم تغن في "الطريق" ، و"مراتي مدير عام" ، و"كرامة زوجتي" ، وفي عام **1976**م عادت للغناء في دويتو "حاجة غريبة" أمام عبد الحليم حافظ في "معبودة الجماهير" ، والغريب أنها تركت زميلها المطرب يستأثر وحده بغناء أربع أغنيات أخرى في الفيلم ثم غنت في خلفية المشاهد في "شيء من الخوف" لحسين كمال .. وغنت أغنيتين في "نصف ساعة جواز" وهما أغنيتان خفيفتان تعودان بالمطربة إلى بداياتها الأولى في السينما .

والأفلام التالية لشادية كانت بمثابة ابتعاد واقتراب من الغناء، فقد تغني في فيلم أغنية أو أغنيتين على أكثر تقدير ، أو قد لا تغني بالمرة ، فهي تغني "عالي" في "لمسة حنان" لحلمي رفلة مكتشفها الاول عام **1971**م، ثم غنت العديد من الأغنيات في "أضواء المدينة" لفطين عبد الوهاب .

وفطين هو المخرج الأكثر اقتناعًا في أفلام شادية الأخيرة بموهبتها كمطربة ، وهو الوحيد الذي أتاح لها أن تغني كل هذه الأغنيات في أغلب أفلامه ، وفي فيلمه "أضواء المدينة" منحها فرصة الغناء الجماعي لأكثر من ست أغنيات ؛ اشترك في هذه الأغنيات بالأداء كل من احمد مظهر وعبد المنعم إبراهيم وجورج سيدهم ، وآخرين ، ومنها "سلامة" ، و"الله يا بوصة" ، و"عطشان يا صبايا" ، و"صفر يا وابور" وأغنية "الجدة" ، بالإضافة إلى أغنيتين فرديتين هما "حبه بحبه" ، و"الهداوة" .

والغريب أن هذه الأغنيات كانت أيضا سينمائية ، لم نسمعها بعيدا عن شاشة الأفلام ، في الوقت الذي لمعي فيه شادية كمطربة إذاعية في المقام الأول من خلال أغنيات من طراز "قولوا لعين الشمس" ، و"عنب بلدنا" ، و"قاللي الوداع" ، و"آخر ليلة" و"أتعودت عليك" و"رحلة العمر" وغيرها

وحتى فيلمها الأخير " لا تسألني من أنا" فإن شادية لم تكف عن الغناء حيث غنت "مين بماله" وهي أغنية قدرية ، بقت أيضا في تراث الفنانة .

تركت شادية وراءها **110** فيلما ، مثلت أكثر من نصفها تقريبا في السنوات الست الأولى من حياتها ، وغنت فيها أغلب رصيدها الفني . وكما نري فإن الكثير من هذه الأغنيات فردي شدت بها في الطبيعة أو في غرف مغلقة .. وقليلا ما كانت تغني في استعراضات مثلما حدث في نهاية فيلم "أنا وحبيبي" وذلك بالطبع حسب طبيعة الدور .

الفصل الثامن عشر
عبد العزيز محمود

جاء هذا الجيل بكل ما لديه من موهبة وشهرة على المستوى
الشعبي إلى السينما من أجل أن يغني في المقام الأول .

وعندما ظهر عبد العزيز محمود في نهاية أحداث فيلم "قلبي دليلي" لأنور وجدي عام 1947م، ظهر باسمه كمطرب شعبي يغني في الأفراح، ارتدي الجلباب ووقف وسط الفرقة الغنائية والراقصة يغني بكل حيوية وشباب وقدم أغنية الأفراح الشهيرة "يا نجف بنور يا زين العرسان" .

أي أن عبد العزيز محمود كان في تلك الفترة معروفًا خارج السينما كمطرب شعبي، وكان قد سبق له الظهور في أدوار صغيرة في السينما منها دوره في أفلام من طراز "عريس الهنا" لإبراهيم لاما 1944م، و"أول نظرة" لنيازي مصطفى 1946م، وكان المطرب معروفًا لدى الناس على المستوى الشعبي من خلال الإذاعة التي ساعدت في انتشاره .

وقد ظل عبد العزيز محمود يتنقل في الأدوار الصغيرة في السينما ويكتفي بالغناء في أفلام من طراز "فتنة" لمحمود إسماعيل 1948م و"البوسطجي" لكامل التلمساني 1948م، و"الحلقة المفقودة" لإبراهيم لاما و"فوق السحاب" إخراج محمود ذو الفقار، وكلها من إنتاج عام 1948م إلى أن جاء العام التالي كي نراه في أول بطولة مطلقة ، ولاشك أنه كان في حاجة إلى مخرج من طراز عباس كامل ليمنحه الفرصة المهمة، وهو نفس الشيء الذي حدث مع زميله كارم محمود أيضًا .

وفيلم "منديل الحلو" لعباس كامل يحمل كافة السمات التي اتسمت بها أفلامه فلابد من وجود مطرب وراقصة ، ولأن عباس كامل هو المخرج فلابد

من وجود سعاد مكاوي، والفيلم كما نعرف يحمل اسم أغنية اشتهر بها المطرب في تاريخ حياته الفنية، وقد نظر عباس كامل إلى مطربه بما يناسبه من أدوار ينظر إليها الناس على أنها قريبة من الحقيقة، فأسند إليه دور الصانع الشعبي ، نجار ، أو صرماتي . فهو في هذا الفيلم يؤدي دور صانع شعبي يصلح الأحذية للجيران ويغني "يا شبشب الهنا ، يا ريتني كنت أنا" ، وهو يقوم برتق وإصلاح الشبشب الذي ترتديه الحبيبة، ويعكس هذا النوع من الغناء شكل الطرب في السينما والمجتمع في تلك الآونة، ولاشك أن ما أنشده عبد العزيز محمود صار فيما بعد من التراث ومقبولًا، فالناس تستمع إليه الآن وتراه على شاشات التليفزيون باعتبار أنه الماضي الجميل .

والأوسطي عزوز هذا يحب جارته التي تعيش مع والدتها ويتقدم لخطبتها مما يثير حقد نعيم الحلاق الذي يحبها أيضا، يدبر مكيدة ويخبر عزوز أن عزيزة تعمل بملهي ليلي تحت اسم قطر الندي وهو يعرف أن هناك راقصة تشبه عزيزة تماما هي قطر الندي، وتنجح المكيدة ويهجر الأوسطي حبيبته وعلى جانب آخر فإن المليونير شتا بك يقع في حب قطر الندي ويهديها جوهرة ثمينة، يدبر مدير المسرح حلية للاستيلاء على الجوهرة ويستغل الشبه بين قطر الندي وعزيزة ويطلب من هذه أن ترقص بدلا منها، وينتهز المدير انشغال قطر الندي بالبحث عن حقيقة عزيزة فيسرق الجوهرة، ثم تثبت الحقيقة وتتزوج عزيزة من الأوسطي عزوز .

هي إذن نفس الأجواء ، كباريه ، راقصة (هنا راقصتان) وأغنيات خفيفة ومشكلة بوليسية عابرة وأشخاص أشرار يعرقلون مسيرة الحب، والغريب أن عبد العزيز محمود قد سار في نفس المسار الذي مشي فيه كارم محمود فحصر أعماله مع مخرجين بأعينهم آمنوا بأن هذا النوع من المطربين مطلوب

فاستفادوا منهم وسعوا للتعامل معهم، مثل حسين فوزي وأحيانًا نيازي مصطفى .

وقد غنى عبد العزيز محمود أغنية "منديل الحلو" في حفل، ومن حوله الراقصة تحية كاريوكا ترقص وتتمايل، ومن حولها مجموعة من الراقصات المساعدات اللاتي يغنين كورس :

منديل الحلو يا منديله على دقة قلبي باغني له

آه يا سيد المناديل محلاك يا جميل على خصر نحيل يقطر ويميل

ولا غصن البان يا سلام سلم منديل الحلو

وبقاله زمان والله ما سلم منديل الحلو

والنبي لا حكي له وأغني له

وقد دفعت هذه التجربة بالممثل أن يآخذ البطولات المتكررة في سنوات قليلة لا تتجاوز الخمس وبدت رحلته توأم لرحلة كارم محمود، نفس المخرج ، ونفس الموضوعات والأبطال ، في عام **1950**م قدم ثلاثة أفلام هي "أسمر وجميل" لعباس كامل ، و"ساعة لقلبك" لحسن الإمام الذي لم يكن فيه سوى مطرب لا أكثر .

وفي "أسمر وجميل" قام المطرب الشعبي بدور بائع روبابيكيا يحب فتاة تبيع له ملابس جدها، يفتح البائع الحقيبة بمنزله ويعثر في بطانتها على ثروة طائلة مخبأة داخلها تزيد على المائة ألف جنيه، يصدم البائع حين يرى هذه الثروة ويقع في حيرة بين أن يسلم الحقيبة لأصحابها أو يحتفظ بها لنفسه، ثم تأخذه سنة من النوم ليعمل عقله الباطن فيرى أن المال الذي هبط عليه من السماء قد جر عليه الكثير من المشاكل ويستيقظ من حلمه.

ومن الواضح أن أسماء الأفلام التي قدمها عباس كامل لمطربيه كانت تحمل أسماء أغنيات في الفيلم مثل "أسمر وجميل يا أبو الخلاخيل .. ماحلاك يا جميل يابو خصر نحيل" .

وقد شجع نجاح هذا الفيلم على المستوى الشعبي أن يدخل عبد العزيز محمود في العام التالي في تجربة إنتاج فيلمه الأول، والذي يحمل اسمًا مشابهًا "خد الجميل" واستعان بنفس البطلة الراقصة أمامه سامية جمال وبدات كأنه يقدم الفيلم بشكل مختلف، وجاء المخرج عباس كامل بنفس الطاقم الذي يعمل معه من فيلم لآخر، ومثلهم من سعاد مكاوي وحسن فايق وشكوكو إلى محمد التابعي وسيد بدير وعمر الجيزاوي .

ومن الواضح أن عبد العزيز محمود قد استأثر وحده بالغناء في الفيلم رغم وجود شكوكو وسعاد مكاوي، حيث قام بتلحين كل أغنيات الفيلم وغنائها عدا استعراض الطيارة الذي كتبه فتحي قورة، وفيه ساهم بالغناء مع كل زملائه في الفيلم بمن فيهم محمد التابعي (كبير الرحيمية) نفسه .

والقصة هنا عن كبير الرحيمية، وهو رجل ثري عقدته في حياته أنه يكره الغناء ويعتبره من المحرمات، له ابن عم يعمل طبيبًا بيطريًا ، يحب الابن إحدي الراقصات، تكتشف الراقصة في حبيبها حلاوة الصوت فتعرض عليه أن يغني في الكباريه الذي تعمل فيه، يرفض بالطبع من منطلق أن والده يكره الغناء وخوفًا منه، وبمرور السنوات يفقد الرجل الثري جزءًا من ثروته ويصبح على وشك الإفلاس، وتقوم الراقصة بإنقاذه من هذا الإفلاس، وتكون هذه الحادثة نقطة تحول في حياة هذا الرجل الثري فتتغير نظرته إلى الغناء والفنانين، ويبارك ابنه في هذا المجال ويوافق على زواج ابنه من الراقصة .

والثراء هنا لا يعني رقي المستوى الاجتماعي الذي يعيش فيه بطل الفيلم فهو ثري ريفي لم ترفع أمواله من درجة ثقافته، ولذا فإن عبد العزيز محمود هنا

يرتدي الزي البلدي والريفي شأنه شأن الأدوار التي قام بالعمل فيها، وكان يتخفي أحيانًا في ملابس أخرى من أجل أن يغني دون أن يعرف أحد هويته ، مثلما فعل وهو يغني على رقص سامية جمال واحدة من أجمل أغانيه وأكثرها رشاقة وهي "على رقص جميل" التي كتبها فتحي قورة وفيها يردد :

عبد العزيز محمود : على كل رقص جميل   نقوم سوا نغني

وكل قلب عليل   لقي الدوا يغني

والحلو لما يميل   ويا الهوا نغني

والمغني فن جميل   ياللا سوا نغني

كورس : على كل رقص جميل   نقوم سوا نغني

عبد العزيز محمود : ياللي حبيبك راح   عنك بعيد غني

عايز تعيش مرتاح   وتكون سعيد غني

وف بهجة الأفراح   وف كل عيد غني

دي الدنيا من غير مغني   فاضية وملهاش معني

دا المغني فن جميل ياللا سوا نغني

وقد رقصت سامية جمال دوما على أنغام وأداء عبد العزيز محمود سواء في الأغنية السابقة ، أو في الأغنية التي تحمل اسم الفيلم الذي كتبه فتحي قورة ، وهو لحن ينتمي إلى السامبا ، لدرجة أنه في أحد مشاهد الاسكتش ارتدت سامية جمال ملابس هاواي ووضعت الزهور حول صدرها وعلى شعرها ، أما هو فلف وسطه بشال يضعه عادة الرجال في هذه المنطقة وراح يردد مع الكورس :

خد الجميل يا جمال خده   آه منه آه ده أنا مش قده

خد الجميل

وهنا يدخل لحن السامبا على كلمات الآتية :

الورد غنى في بستانه على أغصانه اسمك يا جميل

وقال يا نور العين منك يا جميل

وقال يا نور العين يا سلام

ده مهما يرسم فيه رسام والله ما يخرج من ايده

خد الجميل يا جمال خده

وفي نفس السنة بدا أنور وجدي كمنتج كأنه يقرأ نجاح فيلمه "شباك حبيبي"، فارتضي أن ينتجه ومن الواضح أن وجدي قد تنازل كثيرًا في هذا الفيلم سواء عن الإخراج فتركه لعباس كامل، ثم البطولة المطلقة فتركها لعبد العزيز محمود، وارتضي هو أن يقوم بدور زوج المرأة الثرية التي أخطأت ولكن يتم تبادلها ليلة الدخلة بامرأة أخرى تشبهها .

وقد وجد عبد العزيز محمود نفسه هنا لأول مرة أمام مطربة وليست راقصة لذا استأثرت نور الهدى بالغناء وحدها، كما كان على سعاد مكاوي أن تفعل في أفلامها مع عباس كامل .

وعبد العزيز محمود هنا نجار شبابيك ، عليه أن يقوم بإعداد شباك حبيبته الممرضة التي تسكن قبالته، لكن زوج أم الممرضة يقف ضد الزواج لأنه يطمع في الزواجد من أخت النجار مما يولد متاعب باعتبار أن النجار قي أعطي كلمة لشاب آخر (شكوكو) كي يتزوج من الأخت التي يحبها، وأثناء عمل الممرضة تأتي ابنة ذوات وقعت في الخطيئة ولها ابنة ثمرة هذه الخطيئة، ونكتشف أنها تشبه الممرضة، لذا فإنها تطلب من الممرضة أن تحل محلها وتتبادلان الموقع لبعض الوقت مما يعرض الممرضة للمشاكل حيث يتصور أهلها البسطاء، أنها قد أخطأت ويحبسونها في المترل وتحاول ابنة الذوات إفهام الأم الحقيقة كما تجد الممرضة نفسها أمام رجل ثري في ليلة زفافه وتحاول أن تهرب منه بلا

جدوي، وفي اللحظة الحرجة يتم اكتشاف الحقيقة ويعود كل طرف إلى جبهته .

والبطولة المطلقة بالطبع هنا لنور الهدى التي غنت أغنيات عديدة بنفسها وهي ليست من ألحان عبد العزيز محمود مثلما يحدث عادة في أفلام أخرى ومنها أغنية "ليلة خطوبتي" التي كتبها حسن توفيق ولحنها محمود الشريف وهما أيضا اللذان اشتركا في أغنية "ماما" كما أن نور الهدى غنت قصيدة تنسب إلى عمر بن الفارض ومن تلحين رياض السنباطي تقول فيها :

غيري على السلوان قادر وسواي في العشاق غادر

أما عبد العزيز محمود فقد غنى لنفسه الأغنية التي تحمل اسم الفيلم وبدا كأنه يتغزل في الشباك ويمسك بأدوات النجارة ويردد من كلمات حسن توفيق :

شباك حبيبي يا خشب الورد .. وياللي الورد
يوم ما يلاقيك يضحك سنك
لك ضرفتين حيضموا القد .. وورد الخد
والورد بكره يغير منك
شباك حبيبي ح أقوم م الفجر .. وأشوف البدر بيفتحه سنة في سنة
وإن مرة شفته وكان مقفول .. هالمح على طول
حبيبي ورا شيش الجنة

وأسوة بكل أفلام عباس كامل الغنائية، فهناك استعراض رئيسي في منتصف الأحداث وليس في نهايته مثلما يحدث في أفلام فريد الأطرش، ويتم هذا الاستعراض في ملهي ليلي، ويشترك فيه أكثر من نجم غناء و كورس وهذا الاستعراض أيضًا "على شباك الحبيب" ، كتبه فتحي قورة في مقدمته :

شبابيك الحبايب مالها .. سيباني متيم بيكي

وفتحها الغرام وقفلها .. وأنا حاير على شباكي

شبابيك الحبايب

وفي نفس السنة خرج عبدالعزيز محمود من عالم المخرج الذي يعمل معه فيعمل مع نيازي مصطفى في "وهيبة ملكة الغجر" ، ويعمل مع طاقم مختلف فلا راقصة ولا أجواء غناء سوى "كوكا" وجمال فارس ، والفيلم عن مجموعة من الغجر يقيمون فوق قطعة أرض يزرعونها، إلا أن صاحب الأرض يطردهم، وتقابل مجموعة الغجر قرار الطرد بأن يخطفوا ابنته الصغيرة، يبدأ ابن صاحب الأرض وصديقه في البحث عنها فتتنكر زعيمة جماعة الغجر في ثوب فتاة حسناء، تتقابل مع صديق ابن صاحب الأرض فيقع كل منهما في حب الآخر، ويتفقان على الزواج إلا أن تقاليد جماعة الغجر تقف حائلًا أمام إتمام هذا الزواج فتضطر زعيمة الغجر إلى أن تمارس الغناء والرقص في إحدي الصالات ، تتقابل مع ابن صاحب الأرض فيحبها ويزداد تعلقًا بها دون أن يعرف أن فتاته الحسناء هي زعيمة الغجر وحين يطلبها للزواج يكتشف الحقيقة ورغم ذلك يتزوجان .

ومثلما فعل حسين فوزي مع كارم محمود حين أحس أنه من الممكن الاستعانة به فاختاره في فيلم "نور عيوني" ، فإنه استعان بعبد العزيز محمود ليقوم بدور البطولة في فيلم "جنة ونار" عام 1952م. وقد خلا الفيلم بالطبع من كافة الطاقم الذين يعملون عادة مع عباس كامل وتغير الموضوع بعض الشيء، وهنا يقوم عبد العزيز محمود بدور مطرب مشهور أحب فتاة بادلته نفس المشاعر، يحاول بشتي الطرق أن يسعدها وأن يتيح لها فرصة الحياة الكريمة ، يتقدم لخطبتها ولا يتواني عن التضحية من أجلها ، إلا أن شابًا غنيًا يتقدم لها، لذا يقرر أن ينسحب من حياتها لتنعم بحياة كلها رغد وحب ، وذلك كي توفر حياة سعيدة لأسرتها البسيطة .

أما التجربة الثانية لعبد العزيز محمود مع مخرج آخر غير عباس كامل فهي "عشان عيونك" 1954م لأحمد بدرخان ، الذي لم يقدم من قبل أفلامًا غنائية خفيفة، ومن الواضح أن المخرج هنا قام بإخراجه من دائرة الجو الشعبي والمهن الحرفية كي يجعله مجددا مطربًا يعاني من أنه لا يستطيع استكمال رسالته الفنية، حتى يواجه متاعب مع والد حبيبته العزيزة نوال حيث قامت زوجة أبيها بخطبتها لأحد عشاقها، يجاهد المطرب الشاب في إفشال هذه الخطبة والحصول على حبيبته، يحقق المطرب شهرة في عالم الفن ويصبح أحد نجوم الغناء المرموقين، وبعد أن يغدو ثريًا يطلب من أحد أشهر أطباء العيون إجراء عملية جراحية في عيني جارته لاستعادة بصرها تنجح العملية دون أن تعرف زوجة الأب، وتبدأ نوال في اكتشاف دناءة خطيبها وزوجة الأب، يقوم الأب بتطليق زوجته ويزوج ابنته إلى المطرب الشاب .

ومن أغنيات الفيلم "وحياة ما حبيتك" :

وحياة ما حبيتك عينيا .. وفي قلبي خبيته

وحياة سهد الليالي .. والليل يشهد عليا

في كل يوم أداري .. حبك بيغيب شوية

يا سايق الدلال .. حاسب م الهوا

دا كل يوم في حال .. يا الجرح يا الدوا

علمتني السهر .. ونسيتي يا قمر

وهذه الأغنية أنشدها في بيت الحبيبة في عيد ميلادها وأبدت فيها زوجة الأب اعتراضها ، أما الأب فكان سعيدًا .

في بداية هذا العام كان عبد العزيز محمود قد اختار نيازي مصطفى ليقدم له أجمل أفلامه الغنائية على الإطلاق، وذلك في "تاكسي الغرام" الذي قام المطرب بإنتاجه بنفسه، وأختار مجددًا أن تكون شريكته مطربة، تمثل امرأة من

حي راق جسدها هي سلطان، هذه الفتاة تتعرف على سائق تاكسي قام بتوصيلها ذات يوم ، تتوطد قصة حب بين الاثنين لكن السائق يحاول كتمان مشاعره لمعرفته للفارق الهائل بينهما اجتماعا ، لذا يرفض أن يتزوجها وتسعي إلى تدبير حيلة حيث ترتدي ملابس فتاة فقيرة تعمل في أحد الملاهي كمطربة، وتطلب الفتاة الثرية من سائق التاكسي أن يقابل أختها في الملهي يقع في غرام المطربة ويشاركها في أداء النمر الغنائية ويحققان النجاح ، ثم يكتشف الحقيقة فيحاول بعض العوازل إقامة وقيعة بين الطرفين لكنهم يفشلون .

وقد غنى عبد العزيز محمود هنا وحده ، كما غنى مهع هدى سلطان واحدة من أجمل ما التصق لدى الناس من أغنيات، وهي استعراض تاكسي الغرام الذي صور على المسرح حيث نري سائق التاكسي يتجه إلى محطة بنزين تديرها بنات محاولاً ملء السيارة بالبنزين وأغلب كلمات الأغنية ترددها هدى سلطان :

يا تاكسي الغرام يا مقرب البعيد

ومسابق الحمام والسكة الحديد

لا لك جناحين ولا موتورين

هدى : أنت وهو دور لف على اليمين ... كلكم طابور ناحية البنزين

اسألوا الزبون عايز كام جالون

هو : أنا طالب الهوا

هدى : دا الهوا هنا .. لحبايب قلبنا

وسع أنت وهو قوام قوام قوام

وأنت خش جوة خطوة للأمام

افتحوا الطريق لتاكسي الغرام

أما آخر أفلام عبد العزيز محمود فقد عاد فيه إلى عباس كامل وهو "عروسة المولد" **1955**م، والذي عاد فيه إلى نفس العالم والأشخاص الذين يقدمهم البرنامج، والفيلم يدور حول عروسة من الحلوي تمردت على حالها وودت لو عاشت كبنات جنسها، واستجاب القدر لندائها فتحولت من جماد إلى إنسانة وفي المجتمع تقابل أبو الفوارس الذي تحبه .

وقد جمع عباس كامل أكبر قدر من نجوم الكوميديا بالإضافة إلى نجوم الطرب والاستعراض، مثل راقص الباليه في ذلك الوقت محمود رضا وأبطال فرقة ساعة لقلبك، أبو لمعة والخواجة بيجو، وفصيح بيه ، بالإضافة إلى سعاد مكاوي وشكوكو، وجسدت دور عروسة المولد تحية كاريوكا وكتب فتحي قورة الأغنيات أما مرسي جميل عزيز فكتب أغنية "حلوين قوي" وقد لحن كل الأغنيات عبد العزيز محمود والذي بدا وكأنه يودع السينما في آخر مقطع من أغنية "صبرت قلبي" وهو يردد :

في البعد مهما بكيت .. مش راح يفيد البكا

ولو بينفع يا ريت .. ماكانش حد اشتكا

رايحة وسايباني .. والدنيا إيه بعدك

لاقية حبيب تاني .. ولا سلوي في بعدك

ومن الواضح أن هذا العصر قي انتهي بتوقف كل من عباس كامل وحسين فوزي عن العمل في هذه الأفلام، بينما اتجه نيازي مصطفى إلى أفلام الحركة وتقلص عصر بأكمله كي يتغير إلى الغناء دون أي استعراض، كما نري في أفلام قام ببطولتها عبد الحليم حافظ ثم ماهر العطار ومحرم فؤاد وغيرهم فيما بعد .

الفصل التاسع عشر
كارم محمود

كارم محمود هو أحد المطربين الذن جاءوا إلى السينما من خلال الغناء في مناسبات سعيدة تتخلل قصص الأفلام، كالغناء في الأفراح أو الملاهي الليلية، ثم بدأ نجمهم في الصعود شيئًا فشيئًا حتى صاروا نجومًا وأبطالًا في الأفلام الغنائية .

حدث هذا مع أسماء عديدة منها محمد الكحلاوي وعبد العزيز محمود ومحمد رشدي، والغريب أن كلا منهم كانت علاقته بالبطولات السينمائية فقيرة للغاية، لكنها لا تتعدي أن تكون بضعة أفلام تواجد المطرب فيها والغريب أنهم قد اختفوا تماما بعد ذلك عن السينما، وإن ظلوا يغنون في الحياة العامة كالحفلات والإذاعة وأيضًا في الأفراح بالنسبة للبعض .

وقد دخلوا جميعًا باعتبارهم المطربين الذين يغنون، لذا فإن الناقد لو نظر إلى هذه الأفلام أو الأدوار باعتبار أهميتها الفنية فسوف يضع كل هذه الأعمال بلا استثناء على الهامش، ولو نظرنا على سبيل المثال إلى الأفلام المائة التي اختارها النقاد كأحسن الأفلام، فإننا سنجد أن السينما الغنائية تتقهقر بشدة، وذلك لأن صناع هذه الأفلام نظروا إلى العمل فيها كأنها في غالب الأحيان بديلًا عن الكباريه والملاهي الليلية، فأبطال هذه الأفلام يبحثون عن فرص الغناء والمجد، وأقصر طريق إلى ذلك هو الكباريه .

وقد حبست السينما هؤلاء المطربين في دور المطرب الشعبي، وهذا المطرب كل ما يحلم به أن يصبح مغنيًا في كباريه يرضي عنه جمهور الصالة وصاحبها .. ولذا فإنه لا يغني وحده، بل يجب أن تكون هناك راقصة تتبختي

على أنغام الموسيقى، وهو واقف أمام الميكروفون يغني . ووجود الراقصة هنا يعني أن على العين أن تحدق في جسدها ويصبح صوت المطرب عاملًا مساعدًا للمتعة، أو كأنه آلة إضافية تزيد البهجة للعين الشهوانية التي تراقب الراقصة .

لذا فإن أغلب ما غناه هؤلاء المطربون هو أغنيات خفيفة، ولم يتعد أغلبهم الخروج عن حدود الغناء في الصالة وأمام راقصة ..، وهناك فرق واضح بين هذا المطرب الشعبي وبين المطرب الجماهيري، الذي يعجب كافة الأذواق ومنهم عبد الوهاب وفريد الأطرش وعبد الحليم حافظ ، فكم غنى الأطرش مثلا في دار الأوبرا مثلما حدث في "قصة حبي" حيث غنى أمام الملك، وفي الصالات الراقية وأيضا في "لحن الخلود" .

أما كارم محمود، وعبد العزيز محمود، ومحمد رشدي فإن أغلب الشخصيات التي جسدوها على الشاشة، قد غنت في المقام الأول في الكباريهات وصالات الرقص، وأمام العيون المتطلعة إلى الراقصة أكثر ما هي مستمتعة بالغناء، ولذا فإن أغلب هذه الأعمال تبدو متشابهة، ومن الصعب على المتخصص أن يذكر اسم فيلم من هذه الأفلام لتكرار الحواديت والقصص والأغنيات .

وبدايات كارم محمود لم تخرج عن ظهوره كمغنٍ فقط وتكاد تحس به وذلك في أفلام عديدة منها "ملكة الجمال" لنيازي مصطفى **1946**م، فقد بدأ نجم كارم محمود يعلو إلى حد ما، حيث يروي الفيلم قصة فتاتين من أسرة فقيرة تشتركان في مسابقة للجمال وتفوزان، تقعان في غرام شابين ويتم زواجهما على أساس المنظر الخادع الذي يتستر به الجميع، ثم تنكشف الحقيقة فتثور كل أسرة على الأخرى، وفي ذلك الحين يعلن أحد المحامين أن شقيق رب الأسرة الثانية توفي وترك لأخيه ثروة كبيرة ويشترط أن يتزوج الشابان من فتاتين فقيرتين ويتم تنفيذ الوصية .

وفي عام 1950م قام ببطولة فيلم "معلهش يا زهر" لبركات أمام شادية وفيه غنى لجارته التي يحبها، أما بداية النجم الصاعد فقد برزت في نفس العام في فيلم "عيني بترف" لعباس كامل، هذا المخرج الذي تحمس كثيرًا لكارم محمود وعبد العزيز محمود فأخرج لكل منهما أغلب رصيدها في السينما .

وفيلم "عيني بترف" نموذج لأفلام عباس كامل التي جمع فيها المطرب (كارم محمود) ، ومعه راقصة (هنا هي تحية كاريوكا) بالإضافة إلى عدد كبير من نجوم الكوميديا والغناء، منهم سعاد مكاوي وحسن فايق وإلياس مؤدب وشرفنطح وجمالات زايد، بالإضافة إلى عنصر الشر النسائي في لولا صدقي، والرجالي في محمود المليجي، ويروي الفيلم قصة حميدة بائعة الجرجير التي تعمل في الوقت نفسه لرسام فقير هو الأستاذ أنور ويتقاسم معها ثمن ما يبيعه من لوحات نقلها عنها، حتى إذا ما شاهد أحد الأثرياء وهو شعيب بك العجوز الغني صورة لها في أحد المعارض أعجب بها، وسعي إليها وعرض عليها قلبه وثروته، وفي الوقت نفسه يتقدم إليها مدير أحد الكباريهات ويعرض عليها الزواج والشهرة والمال وكانت تظن إذا ما فاتحت أنور الرسام بهذين الرجلين وعرضهما الزواج بها أن يتقدم هو الصفوف ويعرض زواجه بها، فقد كانت تحبه ولا تعرف هي ما إذا كان يبادلها هذا الحب، واحتارت في أمرها وأعطت ميعاد للثري ولمدير الكباريه للرد على طلبهما، ويحضر الاثنان كما يحضر أنور الرسام كشاهد زواج وراحت تمتحن الثلاثة، وفي النهاية فإنها تتزوج من الثري الذي تحس أنه يحبها .

وقد حمل الفيلم اسم استعراض "عيني بترف" ، الذي لا يزال باقيًا في أغاني كارم محمود، وهو من ألحان محمود الشريف وتأليف فتحي قورة وأدته سعاد مكاوي مع الكورس والمطرب وفيه يقول :

كارم : عيني بترف يا حبة عيني .. يا للي سرقت النوم من عيني

خير إنشا الله دا بعدك والله .. والله دا بعدك كان على عيني

الكورس : عيني بترف يا حبة عيني .. إلخ

كارم : ميلي يا حلوة على الجبين .. والله ما شافت زيك عين

جبتي الحسن دا كله منين.. واعمل إيه لو غاب عن عيني

خد القلب بنظرة عين .. يا للي ف بعدك ما نامت عيني

على عيني أجيلك على عيني.. على عيني أشيلك على عيني

كورس : عيني بترف يا حبية عيني .. إلخ

سعاد : خلجاتي ما عادت على جدي .. من يوم ما هويتك ما مدلع

والدمع يا بوي سال على خدي .. والنار في حشاي عم بتولع

خبرني يا بوي خبرني .. وديني لخلي يا بوي

عل نار بعد اللي هاجرني .. كيف أصبر جواي

ومن الواضح خفة ظل النص ومفرداته الجديدة، مثل أن ملابس الحبيبة لم تعد لها نفس المقاس بعد أن وقعت في الحب، وقد تضمن هذا الفيلم مجموعة من أجمل أغنيات كارم محمود، مثل "أمانة عليك يا ليل طول" التي لحنها لنفسه وكتبها فتحي قورة والغريب أن اسم الأغنية في الكتاب الدعائي للفيلم هو "البار" وفي بدايتها يترنم قائلا :

أمانة عليك يا ليل طول وهات العمر م الأول

بحب جديد وقلبي سعيد يا ريتني عشقت عمنول

أمانة عليك يا ليل طول

وهناك أغنيات أخرى خفيفة الظل للغاية غناها كارم محمود أيضا ، مثل أغنية "الكرات" التي لحنها محمود الشريف وكتبها قورة أيضا ، وفيها يقول :

حليوة وفات بيتمخطر .. يقول كرات عريض وأخضر

جذبني إليه وأنا أعمل إيه .. حليوة وفات وبيبيع كرات

ولنفس الثالوث أغنية ثالثة هي "زي القمر" ، أما سعاد مكاوي فقد غنت لنفس المؤلف ومن ألحان محمد البكار أغنية بعنوان "افرسيه" بها أيضًا نفس المفردان خفيفة الظل :

افرسيه ولهلبيه دوبيه في رموش عينيكي

لو يشوفك حبتيه والنبي يتقل عليكي

افرسيه ولهلبيه

وهناك اسكتش بالغ الظرف في الفيلم شارك في غنائيه كل من شرفنطح وسعاد مكاوي باسم "تقليد الراقصات" جاء في الكوبليه الثاني منه :

أعرف أرقص وأعرف أغني ولا فيش بخت يا عيني عليه

بصوا لي وخدوا بالكم مني لما أقلد رقص تحية

يختي عليها وعلي حلاوتها لما بتسكرنا برقصتها

ويغنوا لها ويقولوا لها

منديل الحلو يا منديله على دقة قلبي باغني له

منديل الحلو يا منديله

ومنديل الحلو هو بالطبع اسم أغنية وفيلم جمع فيه عباس كامل بين تحية وعبد العزيز محمود، وسوف نتوقف عنده في مكان آخر من هذه الفصول.

أما الفيلم الثاني من هذه المجموعة فكانت شادية هي التي تقف أمام كارم محمود في "لسانك حصانك" 1953م، ويعتبر الفيلم بمثابة مجموعة متواصلة من الاستعراضات كتبها كلها فتحي قورة وغنتها شادية (من بعيد لبعيد) ، (لسانك حصانك) ، و(أبو الهول) . وغنى كارم محمود من ألحان علي فراج "الترام" ، كما غنى مع شادية استعراض "غريبة يا أهل الشام" وغنت كل من شادية وكارم، وعمر الجيزاوي وزينات صدقي لحن "السفر" ، أما سعاد

مكاوي فغنت من تلحين عزت الجاهلي "دقي يا مزيكا" وغنى الجيزاوي من ألحانه "معانا الفكك والفكوك" وغنى عزيز عثمان "فرفش يا كبير" ألحان أحمد صبره ، ورقصت كيتي على أنغام بعض الاستعراضات، وهل هناك مساحة في فيلم للغناء أكثر من تلك التي شاهدناها ضمن أحداث هذا الفيلم، وهي ألحان كلها خفيفة ليس في أي منها أي أغنية واحدة حزينة، فنحن أمام عمدة الرحيمية الذي يقرر أن يبني مدرسة ومستشفي، فيجمع المال اللازم من الأهالي ويرسل ابنه عبد الموجود ومعه الدندراوي لمقابلة حمدي الذي يعمل سائق ترام بشأن هذا الموضوع، يقع حمدي في حب جارته حميدة وتعجب خالتها وداد بغندور الموسيقى الذي يفشل في إقناع حميدة أن تعمل مغنية في فرقته . يطمع في الزواج منها ولكنها تصده ، يسافر إلى القرية، يدبر غندور ومندور لسرقة حقيبة النقود وإلصاق التهمة بحمدي ، ولكن الحقيقة تنكشف وتتزوج حميدة من حمدي .

والأغنية هنا جديدة في موضوعها وإن كانت عاطفية مثل الحوار الذي يدور بين سائق الترام والركاب على النحو التالي :

كورس : سوق يا أسطي على أي جنينة
كارم : أه يا خوفي عليكو م العين
كورس : لا يا أسطي ماتخافش علينا
كارم : عقبالي يا قلبي وعقبالك
كورس : طب حاسب بس وخد بالك
كارم : آه ياللي شاغلني بخيالك ع البعد ووحشاني عنيك
كورس : وصلت حبايب لحبايب ولا حدش وصلها إليك
كارم : كل الأحباب نازلة وطالعة سامعاني وعاملة ماهيش سامعة
وأنا بين السيدة والقلعة مكوي بهواك والنار ولعة

نازلين يا حبايب

كورس : نازلين

كارم : مع ألف سلامة وعقبالي .. طالعين يا حبايب

كورس : طالعين

كارم : اتفضلوا واقفوا على شمالي

آه ياللي سهرني ليالي وايديه بتتمني ايديك

وصلت حبايب لحبايب ولا حدش وصلني إليك

ولاشك أن استعادة كلمات هذه الأغنية يجعل المرء وهو يقرأها يحس بمعناها ربما أكثر مما يسمعها على الشاشة في بعض الأحيان .. لذا سنردد أغنيات أخرى من نفس الفيلم بها نفس الروح الخفيفة مثل "معانا الفكك"

معانا الفكك والفكوك ... معانا الكحل والنشوق

معانا الحنة الحجازي ... حني حبايبك واهني

الدنيا بحالها ما تجازي ... بين الحبايب معني الشوق

ومعانا الفكك والفكوك

وأغنيات الفيلم تدعو إلى البهجة والفرفشة، حيث يقول عزيز عثمان في أغنية "فرفش يا كبير" موجهًا كلامه إلى كبير الرحيمية عمدة القرية قائلا:

طول عمرك في الرحيمية ... عايش مسكين محروم

بربش بعينيك ... ع الواحدة

رقصت حواليك ... ع الواحدة

إزاي تختار العيشة في نار ... ومعاك مفتاح الجنة

فرفش يا كبير واهني

وفي كلمته التي كتبها عباس كامل في مقدمة الكراس الدعائي لفيلم "حضرة المحترم" **1952**م يقول " كلما أقدمت على وضع قصة لإخراجها في

فيلم، رحت أفكر كيف أنسي المتفرج دنياه التي يكد فيها ويكدح رحت أفكر كيف أجعله ينشرح ويبتسم ويضحك ساعتين، فأبث روح المرح والفكاهة والضحك، ولكن ضحكًا دون موضوع ذي فكرة اجتماعية أعالجها بقالبي الذي اشتهرت به، قالب الفكاهة والمرح .

ولعل هذا يدفع بالمخرج إلى إسناد أدوار البطولة والشخصيات إلى نفس الفريق، صحيح ليست هناك شادية ولكن هناك زهرة العلا وسعاد مكاوي وثلاث راقصات هن "ليزا ، لين ، كيتي" ، وعبدالرحيم كبير الرحيمية وعبد الموجود ، ثم سليمان نجيب وماري منيب وشكوكو والجيزاوي وسعيد أبو بكر، أما الشرير فهو المليجي مجددًا، والفيلم يروي قصة أم عزيزة التي تسكن مع ابنها في منزل تملكه امرأة غنية، تطمع في رجل يستأجر منها الدكان ، وبالفعل يتقدم لها رجل يباشر العمل به بإخلاص ولكنه لا يشعر بها وما أن تعرف ذلك حتى تدبر له المقالب، يكون فرقة استعراضية لكنها تحاربه، يتقدم عبد الرحيم بك ليتفق مع الفرقة، تصادفه عصابة تحاول سرقة المبلغ لكنها تفشل، وفي النهاية يتزوج مستأجر الدكان من أم عزيزة ويعيش الجميع في سعادة .

والفيلم كسابقه مزحوم بأغنيات كتبها فتحي قورة، ومن الواضح ان الكل اشترك هنا في الغناء والاستعراضات، مثل الاستعراض الذي لحنه عبد العزيز محمود وغنى فيه كارم محمود وسعاد مكاوي وشكوكو والكورس .

وهناك أغنية ثالثة باسم "الجو صفا لنا" اشتركت زهرة العلا لأول مرة في الغناء فيها .

وهناك ملحوظة أنه في كل فيلم من هذه الأفلام استعراض ضخم ، وسوف يتكرر هذا الاستعراض من عمل لآخر وسوف نتوقف عنده عند

الحديث عن فيلم "دستة مناديل" وطالما أننا نتحدث هنا عن كارم محمود ، فلابد أن نقتبس من كلمات أغنيته التي غناها مع زهرة العلا ..

الجو صفا لنا صفا لنا الجو

نولنا أملنا وراق واحلو

الجو صفا لنا صفا لنا الجو

الجو صفا لنا ياريت على طول

ما اسهرش ليالي وابات مشغول

مين بس يصدق واللا يقول

إنها تبقي لنا رقيب وعزول

تكررت نفس الأجواء من الأشخاص في فيلم "دستة مناديل" **1954**م وهنا راهن عباس كامل على نجاح سلام لتقف أمام كارم محمود وإلى جوارهما إسماعيل يس وسميحة توفيق وحسن فايق، ومع الواضح أن الأمر يختلف بالنسبة للغناء عندما تكون هناك مطربة في قامة نجاح سلام، قد اقتسم الاثنان الأغنيات بالتساوي، وغنت أغنيتها الشهيرة "برهوم حاكيني" و"صفر يا وابور وأجري شوية ، وصلني قوام لسماعيلية" ، وأغنية "وصبح الصباح محلاه، والشمس جايه معاه" ، أما كارم محمود فقد غنى "دستة مناديل" و"الاستعراض" الذي ألفه فتحي قورة ولحنه علي فراج و"تعيش وتتهني" ، بالإضافة إلى أغنية شدت بها نجاح مع إسماعيل يس.

وأغنيات كارم هنا من تأليف قورة وألحانه، وهو الذي لحن لنجاح "الصباح" ويقول في الأغنية التي تحمل اسم الفيلم :

دستة مناديل حلوين يا جميل

وحلاوتك غلبت حلاوتهم

سادة ومنقوش والنبي لو أطول

لأبوس ايدين اللي باعتهم

دستة مناديل

والجدير بالذكر أن كارم محمود لم يترك نفسه تماما لعباس كامل، فقد عمل مع مخرجين آخرين من أبرزهم حسين فوزي في "نور عيوني"، أحد آخر أفلامه في السينما، وعمل معه أيضًا في نفس العام في فيلم "حلاق بغداد" وفي نفس السنة أخرج له كامل حفناوي فيلما بعنوان "تحيا الرجالة"

وقصة فيلم "نور عيوني" لا تختلف كثيرا عن القصص التي كان يقدمها عباس كامل وإن كان المستوى الأدائي في أفلام حسين فوزي أفضل، لكن هذا الفيلم مصنوع أساسا من أجل نجمته نعيمة عاكف، وبالتالي فعليها أن تغني وتقدم الاستعراض ولكن لا يمنع هذا أن يغني كارم محمود وهو يقوم بدور المطرب الشاب الذي يغني بنفس المسرح الذي تغني فيه نور العيون وسط المكانة المأمونة في السينما المصرية، يبتعد الحبيبان من أجل أن تكون هناك فرصة للغناء ثم يعودان إلى عش الحب ، كي يغنيان أيضا للوئام .

وقد توقف كارم محمود تماما عن العمل في السينما بعد فيلمه "نار بايت" لعباس كامل **1955**م أي أن سنوات تواجده على الشاشة كانت قليلة للغاية والغريب إنها نفس السنوات التي لمع فيها زميله عبد العزيز محمود ، ثم ابتعد عن السينما، والذي لحن له بعض أغنيات أفلامه رغم أن كارم محمود نفسه كان يلحن الكثير من الأغنيات .

ومن الواضح أن توقف هذه الأسماء عن العمل قد عجل بنهاية سينما الكوميديا الاستعراضية، حيث لم نعد نري أفلامًا كثيرة بها هذا المزيج ولا هذا العدد من الأغنيات الخفيفة، أو نجوم الاستعراض والغناء الذين رأيناهم في الأفلام التي ذكرنا أسماءهم هنا ، كما أن كافة المطربين الذين جاءوا بعد ذلك لم يلحنوا لأنفسهم أغنياتهم، ولم يجدوا من يتحمس لهم في الإخراج ، مثلما تحمس عباس كامل .

الفصل العشرون
هدى سلطان

الأسماء قليلة في عالم الطرب والسينما، من هؤلاء الذين استطاعوا أن يتفوقوا في التمثيل بنفس درجة الغناء، لدرجة أنهم اعتزلوا الغناء على الشاشة أو عملوا في التمثيل دون غناء رغم شهرتهم الغنائية .

ومن هذه الأسماء شادية، وهدى سلطان اللتين تنتميان إلى نفس الجيل ودخلتا تجربة التمثيل بدون غناء ونجحت معهما التجربة، وهدى سلطان صاحبة صوت جميل، تخصصت في الأغنية الخفيفة وأدت الكثير من أنوار الدلال وعملت أحيانا في الإغراء، وأدوار البنت البريئة والمرأة الناضجة والعاملة ، ولذا تنوع أداؤها وأيضًا الأغنيات التي تؤديها في السينما .

وقد راهنت السينما على هدى سلطان منذ أن قدمها نيازي مصطفى عام **1950** في فيلم "ست الحسن" ، بطولة ليلى فوزي لكنها في العام التالي اضطلعت بالبطولة المطلقة أمام محسن سرحان في فيلم "حكم القوي" لحسن الإمام ، وحسب نوع الفيلم فإن أغنيات المطربة الشابة لابد أن تكون حزينة مثل "اللي انقسم واللي انكتب لابد يجري لي" ، و"اسقيني الكاس واملاه تاني" و"قلبي انشبك بك"

لكن مع عام **1952**م بدأت حالة انتشار وتواجد ملحوظة بالنسبة لنجمة الطرب الجديدة ، فعملت في ثلاثة أفلام في ذلك العام هي "الأسطى حسن" و"ليلة القدر" و"حبيب قلبي" ، ثم ظهرت في ستة أفلام عام **1953**م، وفي العام التالي ظهرت في ثمانية أفلام، من بينها فيلم "الشيخ حسن" الذي يعتبر بمثابة إعادة لفيلم "ليلة القدر" بعد أن تم تغيير عنوانه ، ولم تشهد هدى

سلطان في حياتها نفس النشاط من حيث العدد سوى في عام 1960م حيث ظهرت في سبعة أفلام .

هي إذن ممثلة ومطربة لديها القدرة على التنوع، فهي صاحبة وجه بريء ومريح في أفلام عديدة منها "حكم القوي" و"حبيب القلب" وهي غجرية في "حميدو" وزوجة منصاعة لأمها في "بيت الطاعة" و"العائلة الكريمة" ومغنية غالبًا في "أبو الدهب" و"جعلوني مجرما" ، وامرأة شعبية في "فتوات الحسينية" وزوجة مثالية في "الأسطي حسن" و"رصيف نمرة 5" كما أنها عمياء مناضلة في "بورسعيد" ثم هي امرأة شريرة قوية الحدس في "امرأة في الطريق" ، و"نساء محرمات" و"قاطع طريق" ، وهي فيما بعد المرأة الناضجة في أفلام عديدة .

وفي أغلب هذه التجارب لم تكف هدى سلطان عن الغناء باعتبار أنها دخلت السينما كمطربة في المقام الأول، وفي عام 1953م قامت بدور الغازية التي تحب حميد ، الغازية التي تمر على المقاهي وتقرأ الطالع وهي تغني :

أبين زين أبين ... وأخط في الودع

وأخلي الصعب هين ... على الحلوة والجدع

وفي هذا الفيلم كانت ممثلة أكثر منها مطربة، فهي التي تبحث عن تجربة حب صادقة لكن الشاب الذي تحبه يستخدمها كأداة تنقل له المخدرات بعيدًا عن أعين الشرطة لأنها بعيدة عن مواطن الشبهات .

وفي نفس العام قدمت أفلامًا أخرى منها "تاجر الفضايح" لحسن الإمام "نساء بلا رجال" ليوسف شاهين و"مكتوب على الجبين" لإبراهيم عمارة وفي فيلم شاهين غنت وسط كوكبة من النجمات والنجوم، من بينهم ماري كوين وعماد حمدي وكمال الشناوي، أغنيات لحنها حسن أبوزيد وعلى فراج وإبراهيم حجاج، أما في فيلم إبراهيم عمارة فقد غنت من ألحان محمود الشريف وفؤاد حلمي وحسن أبو زيد، ولكننا سنتوقف عند فيلم "مكتوب

على الجبين" حيث غنت أكثر للمناسبات، فسامية هنا فتاة فقيرة تلجأ إلى خطيبها أنيس من أجل اقتراض ثمن الدواء لأمها التي تحتضر إلا أنها تفاجأ بالقبض عليها معه لأنه تاجر مخدرات .

وفي المحكمة تثبت براءة سامية وعندما تخرج تجد أمها قد ماتت فتلجأ إلى أسرة عمها الثري، ويحبها ابن عمها أحمد ويتزوجها، وبعد فترة يخرج أنيس من السجن ويتعرف على زوجها أحمد ويشاركه مشروعاته الهندسية طمعًا في الوصول إليها، تعارض رغبته فيهددها بمحضر الشرطة وصورها التي لا يعلم بها زوجها فتحاول أن تقتله، لكن الزوج يأتي ويقتل أنيس .

وأمام المحكمة تضحي الزوجة بموقفها فتخبر المحكمة كذبًا أنها كانت على علاقة بالقتيل وأن زوجها قتله دفاعًا عن شرفه وبذلك تنقذ زوجها من السجن ويحس بطهارتها ويستأنفان حياتهما الزوجية .

إذن .. فنحن أمام قصة دامية امتلأت بمثيلاتها قصص الأفلام في تلك السنوات، وخاصة من إخراج حسن الإمام الذي عمل أكثر من مرة مع هدى سلطان، ورغم أنه ليس هناك مكانًا للغناء فإن المطربة غنت ثلاث أغنيات اثنتان منها كلمات فتحي قورة وتلحين رياض السنباطي هما "عيد الميلاد" و"الخطوبة" ، وكما نري فإنها أغاني مناسبات أفراح، كما غنت من ألحان أحمد صدقي أغنية "المركب" .

وفي عام **1954**م لمع اسم هدى سلطان في أفلام تباينت أنواعها، فمن الفيلم الاستعراضي الكوميدي "تاكسي الغرام" أمام عبدالعزيز محمود إلى دور المطربة المعذبة في "جعلوني مجرمًا" ، وقد صنعت ثنائيًا أمام فريد شوقي وغنت له كثيرًا في أفلام من طراز "أبو الدهب" و"جعلوني مجرمًا" و"فتوات الحسينية" و"المحتال" ، وسوف نتوقف هنا عند فيلمين يختلفان تمامًا في طبيعتهما، الأول

هو "أبو الدهب" لحلمي رفلة ، ثم "جعلوني مجرمًا" لعاطف سالم ، رغم أنها مطربة في كلا الفيلمين .

لكن في الفيلم المطربة إحسان تعيش مع نصاب هو أبو الدهب الذي كان ينافسه عليها العترة، فيتزوجان وينجبان طفلا، يبلغ عنه البوليس بمساعدة صديقته أمينة التي ادعت أنها إحسان زوجة أبو الدهب، خاصة أنه خان العهد بينهما، يصمم أبو الدهب على الانتقام، يدعي الجنون فينقل إلى المستشفي، يلاحظ أثناء نقله الشبه بينه وبين المأذون فيستغل هذا الشبه . يذهب العترة ومعه صديقته على أنها إحسان لتوقيع الطلاق، يكتشف أبو الدهب الحيلة، ويقبض على العترة ويفرج عن أبو الدهب الذي يعود لزوجته.

وباعتبار أن إحسان مطربة فلابد للأغاني أن تكون في الصالة فقد غنت هدى سلطان لملحنين ومؤلفين غير معروفين، مثل أغنية "حبيته بقالي 7 أيام" التي كتبها إبراهيم حسين ولحنها أحمد منصور، لكن هناك أغنيات اشتهرت طويلًا كانت من ألحان اسماء مشهورة منها "الآهات" كلمات إبراهيم رجب وألحان عزت الجاهلي، ثم الأغنية الشهيرة "سلمت عليه ولا سلمشي" من تأليف مصطفى عبد الرحمن وتلحين محمود الشريف .

سلمت عليه ولا سلمشي وقالت عينيه ما باكلمشي
مش عارفة ليه سلمت عليه
وقلت لي عينيه ما بكلمشي

أما فيلم "جعلوني مجرمًا" فرغم أننا أمام مطربة لكنها واقعة في متاعب أكثر، متاعب مع أخيها الذي صار مشردًا ، ومتاعب مع الرجل الذي يفرض عليها عواطفه ويحاول إبعادها عن سلطان الذي تحبه، وأدت كل الأغنيات التي شدت بها في نفس الصالة التي تعمل بها، عدا أغنية "التوبة" التي كتبها فتحي قورة ولحنها صدقي وتعلن فيها توبتها :

يا رب توبة إليك .. توبة ما بين أياديك

إقبالها سقت عليك .. حبيبك المصطفى

أما الأغنيات التي دخلت سجل هدى سلطان ، فمنها "مكتوب الهوى" من كلمات قورة وألحان أخيها محمد فوزي :

مكتوب الهوى .. وأنا وأنت سوى بندوب

مكتوب الهوى يا حبيبي .. من قبل اللقا بسنين

وأجمل هذه الأغنيات وأكثرها بقاء في ذاكرة الناس هي من ألحان السنباطي ، وكلمات محمد علي أحمد :

إن كنت ناسي .. أفكرك

ياما كان غرامي .. بيسهرك

وكان بعادي .. بيحيرك

إذن فقد توجت هدى سلطان نفسها كمطربة وممثلة بهذه الأدوار، رغم أن الشخصية النسائية ثانوية تقريبًا، خاصة في الفيلم الأخير، فنحن أمام قصة سلطان، ولم تظهر المطربة سوى في النصف الثاني من الأحداث بعد أن قام سلطان بإنقاذ أخيها من براثن المرأة التي تقوم بتسريح الأطفال كي يسرقوا في الشوارع .. ، وقد قام عاطف سالم بتعويض وجودها على الشاشة من خلال الأغنيات .

وقد تكرر نفس الأمر في الفيلمين التي قامت ببطولتها عام **1956**م الأول هو "رصيف نمرة خمسة" لنيازي مصطفى ، والثاني "النمرود" لعاطف سالم .. ، وهي أيضا أفلام تعتمد على بطولة النجم الرجل، فهو موجود في أغلب الأحداث، ولم تدخل المرأة إلى لب الأحداث إلا بعد رحيل زوجة الشاويش خميس، فصار على المرأة أن تدخل حياته بعد أن تخلصت من عشيقها السابق، أحد أفراد عصابة التهريب، وقد غنت هدى سلطان هنا

أغنيات اشتهرت بها كثيرًا ولا تزال موجودة في أذهان الناس، منها أغنية خفيفة غنتها في الحانة في بداية الفيلم من تلحين عبد العزيز محمود :

من بحري وبنحبوه

ع الإمة بنستنوه

شبك الجمالات وشبكني

وإزاي نقدرو ننسوه

من بحري وبنحبوه

أيوه أيوه

سلمت عليه بالإيد

والعين بصت للعين

صدفة ومن غير مواعيد

زادوا العشاق اتنين

أما الأغنية الثانية فهي من ألحان محمد فوزي غنتها في بيت خميس وهي تقوم بترتيبه بعد أن تغيرت كثيرًا في سلوكها وحياتها :

عمري ما دقت الحب .. غير لما حبيتك

ولاشفت راحت قلبي .. إلا وأنا في بيتك

تسلم لقلبي .. وتعيش لحبي

جميلك عمري ما أنساه

ولا أنسي الود والمعروف

والواضح أن هدى سلطان كانت في أفضل حالاتها في الغناء سينمائيًا مع أخيها محمد فوزي وأيضًا رياض السنباطي .

وفي فيلم "النمرود" أدت هدى سلطان شخصية فتاة في حي شعبي تعطف على جارها المحروم العاطل ، وتأتي له بالطعام وتسانده، وهو مديون دومًا ،

لكن الفتاة تحبه ، وهذا الشاب يعثر مصادفة على ثروة حين يفكر في أن يشنق نفسه، فيسقط عليه السقف وتنهال الأموال من السقف التي خبأها فيه لص متخف، وتدير الأموال رأس الشاب فيغادر المنطقة ويبدأ في الإنفاق ببذخ شديد على العاهرات وبنات الليل، وعندما تأتيه الفتاة يصدها وتخرج من عنده لتغني أغنية حزينة للغاية :

لاموني وارتضيت اللوم ... ومن بعده اشتهيت النوم

وكان هذا الفيلم بمثابة بداية نقطة تحول للمطربة، يمكنها أن تغني أغنية واحدة لكنها ستكون ممثلة من الطراز الأول، وقد كتب الناقد "ابن زيدون" عن الفيلم قائلا : "أنها مثلت وغنت بتوفيق كبير" .

وفي فيلم "المجد" للسيد بدير **1957**م جسدت هدى سلطان دور مطربة تقف بجانب ممثل فقد ابنه الوحيد نتيجة لإهمال زوجته، وتحاول مؤازرته بكل ما لديها، ولكنه لا يتوقف عن شرب الخمر، وبينما تنهار أسهمه يرتفع اسمها، وحين تعلم بما حدث له تذهب إليه وتعثر عليه وهو يهم بالانتحار من فوق صخرة وتحاول إعادته إلى عالمها وفنه وتنجح في ذلك

وقد كتب عبد الفتاح البارودي بطريقته في النقد عن هذا الفيلم في مجلة "الجيل" في **21** أكتوبر **1957**م قائلا : "وهدى كانت متناسبة مع أوضاعها، وأغانيها معقولة ولكن لماذا تكرر المقاطع ! الأغاني السينمائية يجب على الأقل أن تتحاشي التكرار فالحق على الملحن طبعا" .

وفي فيلم "بورسعيد" غنت هدى سلطان أغنية وطنية مليئة بالشجن، وهي تؤدي دور فتاة فاقدة البصر لكنها لم تفقد البصيرة فتقف في شرفة منزلها وتغني بكل قوة "أمم جمال القناة" وتبدو قوية في أدائها مؤثرة، وبدا صوتها شجيًا في أغنية لا يمكن نسيانها .

ومع عام **1958**م بدأت هدى سلطان تدخل أنواعًا أخرى من الأدوار فدور الغازية في فيلم "امرأة في الطريق" لعز الدين ذو الفقار قد كشف عن مساحات مختلفة من مواهبها، فهي امرأة شيقة ، شهوانية ، لا تحاول فقط استمالة شقيق زوجها صابر، بل لها في كل مكان رجل تسمح له بمغازلتها ولذا فإن الأغنية التي شدت بها وهي تتطلع من ثقب السقف إلى صابر وهو نصف عار بدت مليئة بالشهوة والإثارة وهي تنشد "يا صابر يااللي صبرك طال" وهي تتلوي بجسدها وقميص نومها اللامع .

وسوف نري أن هذا النوع من الغناء قد بدأ يكتسي بها بعد أن نجحت فيه في أفلامها التالية، مثل "نساء محرمات" و"صائدة الرجال" و"زوجة من الشارع" و"كهرمان" وغيرها .

ففي فيلم "كهرمان" من إخراج السيد بدير **1958**م أدت دور بنت ليل تغني في الحانات، ولها أكثر من عشيق، ولا تلبث أن ترتبط بطالب يقع في غرامها ويسكن إلى جوارها، فيتردد على الحانة ويهمل دراسته، وقد دارت أحداث الفيلم على شاطيء البحر فغنت للإسكندرية في "سوق يا أسطي" من ألحان محمد الموجي وكلمات إسماعيل الحبروك وهي تركب مع الطالب عربة الحنطور :

سوق يا الأسطي وعلى مهلك بينا .. فوت ع الأنفوشي وع المينا

ما توصلناش .. ما ترجعناش

ودينا منين .. ما تودينا

كما غنت في الحانة أغنية "فاتوا الحلوين" من ألحان محمود الشريف وكلمات فتحي قورة :

فاتوا الحلوين واحد واحد .. والقلب ماحبش غير واحد

من يوم ما لقاك وشغلته معاك .. مش فاكر منهم ولا واحد

ومثلما حرص فتحي قورة أن يكتب لها أغنية "من بحري وبنحبوه" باللهجة السكندرية حرص أيضًا أن يكرر نفس الأمر في هذه الأغنية وهي تردد :

ع البحر يوماتي بنستنو

نفرحوا بجمالك ونغنو

وحياتك لما بغيب عنه .. ما يفرحنيش ولا ميت واحد

وهذه أيضًا من علامات الغناء في مسيرة هدى سلطان والتي لم تكف عن الغناء في السينما حتى الآن، حيث كانت تغني أغنية أو ثلاثة على أكثر تقدير من فيلم لآخر مهما كان الدور، ففي فيلم "نساء محرمات" لمحمود ذو الفقار 1959م غنت ثلاث أغنيات، والغريب هنا أن المرأة التي تغني خائنة وخارجة عن ناموس الشرع، وكان من المعروف أن الغناء فيما قبل صادر عن قلوب تحب وذوات نفوس صافية باعتبار أن الغناء حالة صدق وصفاء ولا تعبر عن مكنون الخيانة .

هذه الأغنيات هي "حوش عني عيونك" و"حبيتك ليه" ثم "على بحر الشوق" من كلمات فتحي قورة، رغم أن هذه الأغنيات لو انتزعناها من أحداث الفيلم فإنها ستكون بشكل عام أغنيات حب عادية مثل ما جاء في "على بحر الشوق" من ألحان عبد العزيز محمود :

أنساك إزاي وأنت حياتي .. ويوماتي أشتاق لك وليلاتي

ودموعي معاك وابتساماتي .. كلها يا حبيبي اتخلقت لك

بدأ ذيوع أغنيات هدى سلطان يقل في تلك السنوات، فبعد أغنية "على باب حارتنا الواد القهوجي .. بيجيب سيرتنا الواد القهوجي" ، في "سوق السلاح" لكمال عطية ، غنت ثلاث أغنيات في "صائدة الرجال" 1960م، هي "أحمد يا شاغلني" و"طريق النور" ، ثم "هس هس" ، وفي فيلم "زوجة من

الشارع" لحسن الإمام أيضًا في نفس العام قامت بدور امرأة عاشت في البارات، ورقصت تحت الأضواء وشربت حتى الثمالة، ثم قابلت فتي أحلامها فكان ابن الأثرياء وراحت تغني له من ألحان محمد الموجي :

بص وشوف يا قمر مكسوف

رد على أعمل معروف

دا أنت لوحدك بس لوحدك

من ميات يا جميل وألوف

كما غنت في البار أيضا من ألحان محمود الشريف أغنية تعكس تعدد علاقاتها :

أحب تاني يا قلبي ليه .. ما عرفت آخرة حبي إيه

ما تقولش ده مش زي ده .. دول كلهم بالشكل ده

وبدأت علاقة هدى سلطان بالرقص تقل حيث أحست أنها لم تعد تناسب أدوار الدلال، لذا فقد بدأت تكتفي بالتمثيل، وفي فيلم "حياتي هي الثمن" لحسن الإمام **1961**م لم تغن أغنية واحدة، رغم أن الفيلم يتضمن ثلاث أغنيات لثلاثي أضواء المسرح، والغريب أن علاقة هدى سلطان بالسينما بدأت تنكمش في الستينيات وعادت بصورة مختلفة في أفلام من طراز "السيرك" لعاطف سالم **1968**م، ثم "دلال المصرية" لحسن الإمام **1970**م، وقد قامت في الفيلم الأول بدور غانية ترقص مع المجموع وفي الفيلم الثاني غنت في بنات الليل، حيث قامت بدور عاهرة تنتقل بين المواخير والسجون .

وقد جسدت دور العالمة، سيدة الأفراح الشعبية في أفلام عديدة ، ترقص في بدلة رقص، ولا مانع أن تغني في أفلام عديدة ، منها "بدور" لنادر جلال **1974**م، وفيه غنت مع بناتها العوالم، ولكن ما غنته لم يلتصق بالذاكرة، ثم غنت مجددا في فيلم "شلة الأنس" ليحيي العلمي **1976**م، حيث جسدت

أيضا نفس الشخصية التي تسكن في حي شعبي وتعول أخاها الذي يصبح طبيبًا وفيما بعد يشعر بالخزي لمهنة أخته، فيثور عليها ويترك الحي .

إذن .. فما لبثت هدى سلطان أن تركت الغناء للأبد في أفلامها التي عملتها في الستينيات والسبعينيات، وأيضا في الثمانينيات وارتضت أن تقوم بدور الأم أو الفنانة المعتزلة، وبدا شكل هدى سلطان في أفلامها الأخيرة مختلفًا تمامًا، وإذا نظرنا لدورها في فيلم "صابرين" ، ومدي ما تجسد الشر في شخصية الأم، ثم أيضًا هي الأم القاسية في "بيت بلا حنان" لعلي عبد الخالق 1976م ، وهي مهربة مجوهرات تضحك على فتاة غضة في "شفاة لا تعرف الكذب" ، ثم هي إحدي المصريات اللاتي عشن زمن الحملة الفرنسية في "الوداع يا بونابرت" ليوسف شاهين 1984م، ثم هي الفنانة القديمة التي لا تود لابنها الذي يمارس الفن أن يعمل طبيبًا في فيلمها الأخير "أنغام" لبركات، إذن ؛ فكما أشرنا في بداية الحديث عن هدى سلطان فهي إحدي القلائل الذين لمعوا في السينما كمطربة ثم كممثلة لا تعتمد بالمرة على جمال صوتها .. وهي بذلك حالة نادرة .

الفصل الحادي والعشرون
عبد الحليم حافظ

صورة عبد الحليم حافظ في السينما كانت هي في الغالب "شخص منكسر" هذا الشاب الواهن الضعيف، كسرته الحاجة (الفقر) وتأخرالصحة والحرمان من الأسرة، ومع هذا فإن الشخصيات التي جسدها لم تتوقف عن الغناء ابتهاجًا بالحياة، ولم تضع رأسها تحت متراس اليأس، بل اجتازت الصعاب وعبرت الأزمات وصعدت إلى قمة أهدافها .

وقد ساعدت هذه الشخصيات في صناعة الإعجاب بهذا الشاب الوسيم الأسمر النحيل القادم من خطوط الفقر، الذي لا يعرف من لغات الحياة سوى الحب والرومانسية والتضحية والفداء، وهل هناك شخصية تحمل مثل هذه السمات ولا تدخل بسرعة إلى قلوب الناس .

والشخصيات التي جسدها عبد الحليم لم تعرف الرذيلة ولا الوقوع في الخطيئة، وهي في أغلب الأحيان تعمل بالطرب؛ بل هي مثلنا مجرد أشخاص عادية تغني في أي وضع تعيش فيه، ولذا فإن هذه الشخصيات لم تضطر إلى العمل بالكباريهات أو النوادي الليلية، حتى الشخصيات التي مارست الفن منها، فإنها غنت في الأوبرا القديمة وفي الحفلات العامة المذاعة أمام الناس، فاكتسب غناؤها شرعية مجدية .

كل هذا وهي لم تتخلص من الانكسار بعد، فهذه الشخصيات تعيش مع انكسارها وأحزانها، حتى وهي في قمة التألق الاجتماعي والفني وكأنها لا تهنأ بما يهنأ به اللآخرون، خاصة البسطاء من سعادة ونجاح .

وساعد هذا الأمر هذه الشخصيات أن تقترب من الناس وأن يحبوها رغم قلة الأفلام التي جسدها عبد الحليم قياسًا إلى ما قدمه فريد الأطرش ومحمد فوزي من الرجال، وليلى مراد وشادية وصباح من النساء .

وكما أشرنا فإن هذه الشخصيات كانت مجرد مطرب، فعبد الحليم حافظ لم يكن المطرب الشامل الذي يرقص ويؤدي الاستعراض مثل ألفيس بريسلي في السينما الأمريكية، وهو المطرب الأكثر قربًا له إذا تناولنا الاثنين في ميزان المقارنة .

ولو توقفنا عند سمة الانكسار عند هذه الشخصية، فإننا سنبدأ بالفقير المحتاج حيث هناك سبعة أفلام جسد فيهم دور الشخص الفقير، والفقير هنا ليس المقصود به الساكن في حي شعبي يحتاج إلى المال والغناء، وأسباب الحياة بل هو أيضًا الذي يجد نفسه واقعًا في غرام فتاة أخرى أكثر ثراءً وبالتالي فإن الفارق الاجتماعي بين الاثنين يقف حائلًا بين الطرفين، وسوف نجد أن الحرمان في أفلام أخرى معادلًا للفقر، مثلما حدث في الوسادة الخالية، لكن علينا أن نتوقف أولًا عند المنكسر في دائرة الفقر، حيث بدا هذا واضحًا في الأفلام الآتية :

شارع الحب	لعز الدين ذو الفقار	1958م
أيامنا الحلوة	لحلمي حليم	1955م
حكاية حب	لحلمي حليم	1959م
ليالي الحب	لحلمي رفلة	1955م
معبودة الجماهير	لحلمي رفلة	1967م
دليلة	لمحمد كريم	1955م

وكما نري فإن مخرجين بأعينهم قد وضعوا المطرب الشاب في هذا الإطار وهم حلمي رفلة وحلمي حليم، وكرروا ظهوره في هذا الإطار بعد أن

تفحصوا سماته ودرسوها وأحسوا أنه الأنسب في هذا النوع من الأدوار بينما وضعه آخرون في دائرة البرجوازي، الموظف البسيط كما سنري فيما بعد .

وفي هذه الأفلام التي كان فيها عبد الحليم حافظ فقيرًا فإنه حاول الصعود من فقره، لكنه عاني داخل الفقر طويلًا ، ولو توقفنا عند بدايته ونهاية ما وصل إليه في فيلم "شارع الحب" ، فإن المشهد الأول الذي ظهر فيه كان لشاب يرتدي بيجامة قديمة وخامتها بسيطة، وبدت عليه كل ملامح العوز مما دفع بأبناء الحارة إلى الرثاء لحاله .

والغريب أن هذا الشخص لم يفقد القدرة على الغناء، فهو ينفخ في البوق على السطح ويغني، مما يدفع بأهل الحارة إلى الوقوف وراء عبد المنعم صبري كي يدرس في معهد الموسيقى، وهو لا يغني جهارًا إلا عندما يعود ووسط جمهرة من أبناء شارع محمد علي، وكأنه بأغنية "قولوا له" يدشن حياته كمطرب ويدخل محفل الحياة الغنائية، ورغم تخرج عبد المنعم من المعهد فإن هذا لم يشكل بالنسبة له أي انتقال اجتماعي، فهو لا يزال في حاجة إلى وظيفة يقتات بها قبل أن يحاول رد الجميل لأهل شارع محمد علي الذين تكاتفوا في جمع مصاريف تعليمه .

لذا فإن عبد المنعم صبري يقبل القيام بوظيفة مدرس عجوز في بيت أثرياء، ويتخفي في زي العجوز لأن طبيعة الوظيفة تتطلب هذا، لكن يسقط أداة للسخرية من بنات الأسر الموسرة، ويتوقف عن الغناء حتى يعرف الحب .

والغناء في هذا الفيلم يتبادل بين صباح وعبدالحليم حافظ، فهي تغني له في صورة الأستاذ العجوز أغنية "علمني الحب"، وهو يحاول مقاومة إغرائها بكل ما لديه من مشاعر الشاب المحروم ، ثم ما تلبث الحقيقة أن تظهر ويغني لها "الليالي" في حفل يحاول أن يدافع فيه عن كرامته، ثم هو يغني في حفل عام أغنيته التي دشنته في سلم المجد وهي أغنية "نعم يا حبيبي نعم " .

وباعتبار أن عبد المنعم صبري مطرب في هذا الفيلم، فإنه يغني الأغنيات الثلاث أمام جمهور من المستمعين استحسنوا غناءه، وذلك بعكس أفلام أخرى على الشخصية أن تغني فيها بينها وبين نفسها، أما الأغنيات غير العلنية فقد أدهّا الحبيبة سواء "علمني الحب" أو "لا" .. !

نفس الأمر يتكرر في فيلم "معبودة الجماهير" مع وجود المزيد من المتغيرات الشكلية، فإبراهيم ممثل صغير في فرقة مسرحية، يقع في حب نجمة الفرقة الرئيسية ثم يكتشف أنها تفضله على كل من يحيطونها من معجبين وفنانين .

والفارق الاجتماعي بين الحبيبين واسع للغاية ، لدرجة أن هناك مشهدًا يعكس مدي ما يمتلكه الشاب من فقر، حين يترل لقياس قميص جديد فإذا بالقميص عبارة عن قصاصات لا أكثر من الداخل، حتى إذا ارتدت السترة بدا كل شيء طبيعي .

وإبراهيم يسكن في حي فقير، وهو في أشد الحاجة إلى المال لدرجة تدفع بالجزار أن يعترض طريقه، وأن يدفعه للعمل بالجزارة مقابل ما استدان به من ثمن اللحم، ولا ينقذه سوى حضور سهير المطربة، وإبراهيم في هذا الفيلم مثل أغلب الشخصيات التي جسدها المطرب، بلا أسرة ولا أهل يعيش في غرفة صغيرة في أعلي المترل، وهو رغم ذلك لا يملك من الدنيا سوى قدرته على الحب .

وإذا كانت المصادفة قد جعلت من سهير عاشقة متيمة به وهو أمر غير مقنع فإن الانكسار ظل سمة إبراهيم، سواء حين صدمته سهير ليلة عقد قرانهما وأخبرته أن عليهما أن ينفصلا لأنه اجتماعيًا غير جدير بها وأنها كانت تمثل عليه بعد أن دست امرأة فيما بينهما .

وقد ظل إبراهيم منكسرًا إلا في لحظة واحدة بدت فيها قوته الخاصة: وهي تلك التي تصدي فيها للجماهير التي سخرت منه قبل أن يغني "جبار" ، فبدا ذلك في ملامح عينيه ثم أدائه الغنائي، ورغم صعوده الاجتماعي والفني فإنه ظل حزينًا، لا يجد امرأة تسد عليه فراغ حياته الذي تركته سهير، وانعكس ذلك في حواره مع صديقه وسكرتيره أنه يعاني من الفراغ .

أي أن الانكسار هنا غير مرتبط بالقفز المادي، بل أيضا بالحرمان العاطفي والاجتماعي، حيث يتخذ له من أهل الحارة أسرة، لكن هذا لا يسد حاجاته ولا يصلح من انكساره إلا قليلا .

وقد عبر إبراهيم عن حالته من خلال أغنيات عديدة تخلو تماما من الانكسار بل تعكس رجلًا قوي الإرادة، لا يجرؤ على الذهاب لامرأة طردته على الملأ فغنى "لست قلبي" ، التي نظمها كامل الشناوي والتي يعترف في نهايتها بأن قلبه الذي يملكه بين جنباته ليس له ، بل هو ملك لمن أحبها، كما أن إبراهيم يبدو بالغ القسوة وهو يغني لفتاته حين جاءت أغنية "بلاش عتاب" .

هذه الأغنية التي أنشدها في الفيلم قد أداها باعتباره مطربًا ، سواء أمام الجماهير "جبار" أو في الاستوديو "لست قلبي" ، ثم في حفل خاص حين جاءت سهير محاولة التصالح معه .

وفي هذا الفيلم بدت العيون البالغة الحزن الشديدة الانكسار على ملامح وجه عبد الحليم حافظ، الذي غنى أغنيتين مبهجتين وثلاث أغانٍ حزينة .

نفس الحكاية سبق للناس مشاهدة نجمهم في إطارها من خلال مطرب شاب مبتديء يحاول أن يجد لنفسه فرصة فيلاحقه الفشل وسوء الحظ، وذلك في "حكاية حب" ، وسيظل هناك سبب للانكسار والمستحيل بين الطرفين الأول هو الفقر ؛ فالشاب من حي كروز بالإسكندرية يسكن مع أمٍ وأخٍ ،

وهما دائما غير متواجدين في حياته، خاصة بعد أن صار مشهورًا ، والشاب حين يذهب للغناء أمام الناس في حفل، فإن أحد السكاري يفسد عليه فرصته في الغناء ولولا الصدفة ما غنى أمام الفتاة الثرية التي استوقفت سيارتها وطلبت منه أن يغني لها وهما على الشاطيء.

أما سبب الانكسار الثاني فهو المرض الذي يلحق بالمطرب، فما أن تلاحق الشهرة أحمد سامي حتى يسقط من الإعياء أمام جماهيره، وهو يغني "نار يا حبيبي نار" ، ويتحول المرض إلى حائل بين العاشقين، وقد بدا الانكسار لدى المطرب وهو ينتظر الموت ويغني "في يوم في شهر في سنة" باعتبار أن جرح قلبه أطول من الأيام، والغريب أن النسخة المعروضة من الفيلم لم تتضمن "اسبقني يا قلبي" وهي أغنية مليئة بالأمل تم حذفها رغم أن إعلانات الفيلم وعناوينه الداخلية قد أشارت إلى وجود الأغنية ضمن مجموع الأغاني في الفيلم .

وكان فيلم "ليالي الحب" هو أول أفلام المطرب التي قامت على أساس قصة حب بين طرفين، المسافة الاجتماعية بينهما كبيرة للغاية، فهو الموظف الفقير أحمد الذي اخترع منسوجًا يمكنه أن يوفر الكثير من الأموال، لكن كل مدير ينسب إلى نفسه أنه المخترع حتى ضاعت الحقيقة ووجد أحمد نفسه يذهب إلى بيت المدير كي يخبره بالحقيقة، ومن هنا تأتي التناقضات، فيتصور أهل البيت أن الموظف هو رجل الأعمال الثري الذي يحمل نفس الاسم، وتتولد المتاعب إلى أن تنكشف الحقائق .

وقد أخرنا الحديث عن هذا الفيلم لأن أجواءه الكوميدية قد قللت الكثير من حدة الانكسار لدى الموظف، كما حدث نفس الشيء في فيلم "أيامنا الحلوة" فالشباب الفقراء الثلاثة الذين يعيشون فوق سطح أحد المنازل الشعبية القديمة، لم يعانوا من الفقر، وهم مبتهجون يتمتعون بخفة روح، لكن

تنعكس في الأغنيات التي يؤديها أحدهم "هي دي هيه" ، ويقومون بمشاكسة جارتهم الجديدة التي هي في الحقيقة رمز الانكسار الحاد .

لكن لا يلبث الانكسار أن يدخل دائرة الأصدقاء، ليس عندما يكتشفون أن الفتاة تحب أحدهم فقط، ولكن حينما يعجز الثلاثة عن تدبير مصاريف العلاج فيحاول كل واحد منهم التضحية بشيء ما عزيز عليه؛ كأن يقبل حبيبها أن يتزوج من ابنة عمه الثرية .

إذا كان هذا الانكسار المرتبط بالحاجة إلى المال، والهوة الواسعة بين عالم تعيش فيه الشخصية التي يجسدها وبين الفتاة التي يحبها، فإن هناك أسباب أخرى للانكسار رأيناها في شكل الحرمان الأسري، وعلى غرار قصص الأفلام المصرية فإن أبطالها غالبًا ما يكونون بلا عائلات يعيشون في وحدة مثل خالد في "بنات اليوم" ، فحن لا نعرف لماذا يعيش أعزب مع زميل له في شقة بسيطة أمام إحدي المدارس، وهو هنا ليس شخصا فقيرًا ، ولكن أخته عليه تتمتع بمكانة اجتماعية ولاشك أنه ليس هناك أي فارق اجتماعي بين مستوى خالد الاجتماعي، ومستوى طبيب يسكن في فيلا فخمة، حيث قبل الأب على الفور طلب خالد للزواج من ابنته .

ونحن هنا لا نتحدث عن الانكسار، ولكن خالد يعيش بلا أسرة مثلما رأيناه في أفلام أخرى منها "معبودة الجماهير" و"دليلة" و"يوم من عمري" و"موعد غرام" .

ولكن بعض الأفلام التي جسدها المطرب داخل إطار أسرة، كانت الحياة في هذه الأسرة سببًا مؤكدا للانكسار ، فهو يعيش في كنف رجل غير أبيه هو زوج الأم في فيلمين هما "أيام وليالي" لبركات **1955**م، ثم "الخطايا" **1962**م ، وهو في فيلم "لحن الوفاء" لإبراهيم عمارة **1955**م يعيش ربيبًا

لفنان جاء من الحضيض بعد أن تولي تربيته عقب وفاة والد جلال الموسيقار الشعبي .

وفي "أيام وليالي" بدا الانكسار من خلال وقوف زوج أمه مع ابنه، حين صدم هذا الابن ضحية وهو يقود سيارته مخمورًا ، وكان صديق الشاب هو الضحية حيث تم القبض عليه، وكان على الشاب أن يقف في مواجهة زوج الأم من أجل إنقاذ صديقه حتى لو أدي ذلك إلى حبس ابن زوج أمه "أخوه تجاوزًا" .

وقد بدا الانكسار واضحًا من خلال المواجهة بين الشاب وزوج أمه فالشاب لا يود أن يخون مباده، وهو حين يحس أنه بلا أجنحة يسأل عن مكان أبيه الحقيقي وهوية هذا الأب، ويذهب إليه ويجده رجلًا سكيرًا يعيش على هامش الحياة ويحدثه بأنه في حاجة ماسة إليه، ومن خلال هذا اللقاء نكتشف أن الابن ليس هو الوحيد الذي يمر بمرحلة انكسار، بل الأب قد سبق له أن تهشم بعد أن هجرته زوجته، ولذا فإن الأب والابن يستعيدان توازنهما ويتماسكان، ثم يواجهان الموقف معًا .

وحسين في فيلم "الخطايا" هو نموذج آخر فهو طالب منكسر، لأنه يعيش مع زوج أمه، وهو يظل ذلك الشاب المرح السعيد، الذي لديه قدرة على الحب وعلى الإقبال على الحياة طالما أحس أنه في أجواء أسرية ، لكن ما تلبث ملامح الانكسار والهزيمة أن تكسوه بعد أن يعرف أن الرجل الذي يعيش معه ليس أباه ، وأن المرأة ليست أمه ، (هي في الواقع أمه) .

وقد ارتبطت الأغنية هنا بالموقف أكثر من فيلم "أيام وليالي" ، وبدا ذلك من خلال الأغنية التي شدا بها وهو في الطريق، وهي "طلاسم" إيليا أبو ماضي التي يتحدث فيها عن جذوره الضائعة وتوهانه ونسبه، ومن الواضح أن مثل هذا الدور قد التصق بعبد الحليم حافظ فبدا الانكسار على ملامحه وانعكس

في علاقته بأخيه وأمه وحبيبته سهير، وظل في هذه الحالة فترة طويلة يعيش وحيدًا يعاني كثيرًا ، إلى أن اعترفت له أمه بالحقيقة ، فعاد إلى البيت .

والانكسار هنا حالة خاصة أصابت حسين، وقد بدت من خلال المواجهة التي دارت بينه وبين ضابط الشرطة في القسم الذي سبق إليه في المساء فحين سأله الضابط عن اسمه أجابه بأنه لا يعرف، وفي البداية تصور الضابط أنه أمام شخص مازح أو مخمور، فإذا به أمام حالة خاصة ، لذا فسرعان ما وقف الضابط إلى جواره ومد له يد المساعدة .

وهذا الانكسار ارتبط بقطع علاقاته كافة إلا واحداً من أقربائه وزملائه وحبيبته التي قررت الوقوف بجانبه، فكانت بمثابة الوتد الذي يتكيء عليه ويخرج من خلالها عن حالته المتهشمة، والجدير بالذكر هنا أن الشخص المنكسر يعيش في وسط اجتماعي موسر، فزوج الأم في "أيام وليالي" رجل مرموق المكانة عقلاني، وله ثقافته الراقية ، وقد تم حسم الأمور كلها من خلال جمل قصيرة مبتورة حين قال الرجل لامرأته إنها بوقوفها إلى جوار ابنها وليس ابنه تمزق ما بينهما .

كما أن حسين يعيش في بيت في حي كبير في فيلم "الخطايا" يمتلك الأراضي والأطيان، وله مكانته ، وهذا المحامي حين يفكر في زواج ابنه فإنه يختار له فتاة ثرية هي ابنة صديق قديم ثري مثله، أي أن الانكسار في كلا الفيلمين غير مرتبط بالعوز المادي بقدر ما هو العوز الخاص للدفء الإنساني، والافتقاد للأجواء الأسرية ، وللأب الحقيقي .

ولقد رأينا نفس الأجواء في فيم "لحن الوفاء" مع الكثير من التعبيرات فالملحن الكبير علام أصابته عقدة خاصة من النساء، فقرر أن يعيش بدون زواج ، وهو يربي جلال ابن استاذه الذي تركه له حين عاش في منطقة الأنفوشي الفقيرة، والحقيقة أن علام لم يعامل ربيبه أي معاملة تدعو إلى

الإحساس بالانكسار، بل كان بالنسبة له الأب الحنون الذي يعوضه عن أجواء أسرية افتقدها، وقد تولي تعليمه وقام بتشجيعه كي يصير مطربًا . وصار جلال الابن المدلل في الفرقة، تحاول الفتيات التقرب منه من أجل أن يكن قريبات أيضًا من الأستاذ علام .

لكن الانكسار بدا في صورة مختلفة حين وقع علام في غرام نفس الفتاة التي أحبها جلال، ولم ينتبه إلى مشاعر الشاب تجاه الفتاة، وفي حفل خطبته إلى الفتاة تختفي الفتاة ويسمع الموسيقار إشاعة الآخرين أن خطيبته هربت مع جلال، مما يؤدي به أن ينفي نفسه إلى عالمه القديم وأن يختفي لمدة طويلة، هذه المواقف تجعل جلال يشعر أنه مسئول عما لحق بأستاذه من انكسار وحزن وهزيمة، فيحاول أن يستعيده إلى مجده ويستكمل اللحن الذي كان عليه أن يقوم بتلحينه من أجل الفرقة، ويطلق عليه "لحن الوفاء"

والانكسار مرتبط هنا بما أصاب الأستاذ علام أكثر مما التصق بجلال نفسه، وهناك انكسار خاص بالمرض باعتبار أن العليل هو أكثر البشر إحساسا بالهزيمة الجسدية والروحية وأنه مغادر الحياة، والغريب أن هذا الأمر لم يحدث كثيرًا في أفلام قام ببطولتها المطرب سوى مرة واحدة هي في "حكاية حب" ، باعتبار أن كافة الشخصيات التي جسدها مقبلة على الحياة محبة لها، إذا فإنها غير مصابة بمرض .

والمرض الذي أصاب صلاح في "الوسادة الخالية" عابر، وهو مرتبط بحالة الهزيمة التي أصابته بعد أن انفصلت عنه سميحة ولم يجد بديلًا عنها فارتبط بإحدي بنات الليل، وعندما أصابته الزائدة كان الطبيب المعالج هو زوج سميحة فتولدت صداقة، ولم يكن المرض سوى حالة عابرة أو هو صلة موصول مع زوج الحبيبة الضائعة .

لكن مرض القلب الذي أصاب أحمد في "حكاية حب" قد هدد حياة الشاب بشكل حاسم، خاصة أن خال الفتاة طبيب كبير وهو الذي قام بالمساعدة في تشخيص الحالة، وأحس أحمد أنه أقرب إلى الموت بقوس صغير، وراح يغني على الشاطيء أغنية بالغة الحزن والشجن، هي "في يوم في شهر في سنة"، ولو ربطنا كلمات الأغنية بحالة أحمد فإن سماعها يثير المشاعر بشكل حاد .

وعمر جرحي أنا

أطول من الأيام

وداع يا دنيا الهنا

وداع يا حب .. يا أحلام

ولاشك أن المطرب وهو يجسد هذه الأغنية كان يغني من أعماقه، وانعكس ذلك لدى الناس بما عرفوه فيما بعد عن مرض الفنان الذي أنهك كبده وأودي به وهو دون التاسعة والأربعين من العمر .

وهناك أسباب أخرى فرعية سببت بعض الانكسار للشخصيات التي جسدها عبد الحليم حافظ في أفلامه، فلاشك أن هناك أجواء قريبة من أدائه أغنية "في يوم في شهر" سبق للفنان أن أداها في أجواء صحراوية في فيلم "الوسادة الخالية" ، حين راح يتذكر حبيبته الضائعة سميحة في نفس الصحراء التي جمعتهما من قبل، صحراء مصر الجديدة .

وفي كلا الموقفين غنى المطرب أمام الأفق، في "حكاية حب" غنى أمام البحر وهو بالغ الحزن، وفي الوسادة الخالية غنى أمام بساط الصحراء والغريب أن المطرب غنى في الليل، فبدا الأفق قائما يعكس حالة الحزن التي استبدت بالشاب المنكسر .

والانكسار في "الوسادة الخالية" سببه في المقام الأول أن سميحة هجرته ورضت بالاقتران من رجل مرموق، هو طبيب ناجح، صحيح أنها قاومت في البداية لكنها ما لبثت أن رضخت وتركت صلاح يعاني وحده، وكان عليه أن يتفوق في دراسته، وكان عليه أيضًا أن يرتاد أماكن اللهو ويتعرف على بنات الليل، وكان الموقف سببًا لأن يغني، مثلما غنى "تخونوه" في أحد الملاهي الليلية.

وقد طالت حالة الحزن المرتبطة بالانكسار لدى صلاح، سواء بعد أن صار مهندسًا، أو بعد أن تزوج، فها هي سميحة تظهر في حياته ويصبح زوجها صديقًا له ، ويتبادلان الزيارات، ثم ها هي زوجة صلاح تحس أن مشاعر زوجها متجهة إلى غيرها وأنه قد نسي الدبلة ذات يوم .

وهذا الإحساس بالهزيمة والانكسار قد ساعد صلاح أن يحقق انتصاراته المهنية والاجتماعية، لكنه لم ينس قط حبه المفقود ، ولم يلتئم الجرح الذي صنعته سميحة حين هجرته في مكان حبهما .

وحالات الانكسار قد جعلت المطرب يشدو الكثير من الأغاني الحزينة في كافة أفلامه، وغالبا ما تكون هي الأغنية الأخيرة في الفيلم، وهي مرتبطة بفراق الحبيبة، مثلما حدث حين غنى "راح" في البنات والصيف حين شاهد محمد حبيبته تذهب مع الشاب الذي اختارته في سيارته، وفي نهاية فيلم "أبي فوق الشجرة" غنى حزينًا "لأحضان الحبايب" حين ابتعد عنه الأصدقاء بعد أن صار عشيقًا لفتاة ليل ، وفي "يوم من عمري" شدا بأغنية لها نفس الاسم عقب أن قام بتوصيل حبيبته إلى أبيها، وفي فيلم "أيام وليالي" غنى "إيه ذنبي إيه" حين هجرته حبيبته ..

وفي كل هذه الأغنيات كان على المطرب أن يحتضن الطبيعة وهو يغني أغنيته الحزينة التي تعكس حالة الانكسار، فعلى شاطيء النيل غنى في "أيام

وليالي" باعتبار أن الأحداث تدور في القاهرة، وعلى شاطيء الإسكندرية غنى حزينًا في "حكاية حب" و"البنات والصيف" و"أبي فوق الشجرة" وفي الطريق العام غنى "لست أدري" في " الخطايا" .

ولاشك أنه كان يغني كل هذه الأغنيات من خلال جانبه الإنساني ليعبر عن حزنه وآلامه ومشاعر الانكسار التي تنتابه، وفي هذه الأفلام لم يكن المطرب الذي يغني، بل العاشق الذي يحترق ويتألم من أجل نفسه وبسبب حبيبته وقليلة هي الأغاني التي شدا بها لتعبر عن حزن بعيدًا عن آفاق الطبيعة مثل "لست قلبي" في "معبودة الجماهير" .

وقد خلت أفلام الفنان الكوميدية تمامًا من هذه الأجواء ، فبدا فيها أكثر إشراقًا مثلما حدث في "فتى أحلامي" و"ليالي الحب" و"شارع الحب" .

الفصل الثاني والعشرون
نـجاة الصغيرة

لذا أطلقوا عليها اسم الصغيرة، إنها نجاة محمد محمود حسني، كانت التسمية لعدة أسباب، منها أنه كانت هناك نجاة علي، المولودة عام **1913**م، أما نجاة الطفلة التي راحت تغني لأم كلثوم "نهج البردة" وهي في التاسعة من العمر فقد لفتت إليها الأنظار وصارت مطربة يستمع الناس إليها .

وقد نجحت نجاة عندما صارت أكبر سنًا في أن تحتل مكانها وسط الكبار فذاع اسمها في الخمسينيات، وكانت من نجمات الغناء في الستينيات، ولابد لمثل هذه الموهبة أن تجتذبها السينما أكثر من عشرة مرات، رغم موهبتها المحدودة في التمثيل، لكن لم لا ؟ واسمها يسبقها وأغنياتها تذاع في كل مكان

ونجاة الصغيرة مثلت وهي طفلة في الحادية عشرة من عمرها، حين مثلت عام **1947**م في فيلم "هدية" لمحمود ذو الفقار، وتقوم بدور ابنة لعزيزة أمير وقد غنت في هذا الفيلم أغنياتها التي اشتهرت بها، وليس لدينا مرجع يشير إلى هذه الأغنيات، لكن الأفيش الذي لدينا يشير إلى أن نجاة الصغيرة تشترك هنا بالغناء .

أما الفيلم الثاني "محسوب العائلة" فكانت لاتزال صبية، ولم تأخذ دور البطولة، لكن فيلمها الثالث هو "بنت البلد" من إخراج حسن الصيفي أمام إسماعيل يس، وكانت قد صارت شابة في الثامنة عشرة من عمرها يمكنها أن تصدح بأغنيات الحب، وأن تكون فتاة يافعة، يطلب من أب ابنه الذي يعيش في باريس أن يتزوج منها، الأب هو كبير الرحيمية ، الذي يرسل ابنه إسماعيل

إلى فرنسا لتلقي علومه، وهناك يصادفه محتال ويوقعه في شباك راقصة تبتز أمواله وتطالبه بالزواج، يرسل إسماعيل لأبيه خطابًا يطالبه فيه بمبلغ كبير كي يتزوج، إلا أن الأب يثور ويسافر إلى باريس ترافقه ابنة أخيه التي تحب إسماعيل، وينجح الجميع في الكشف عن ألاعيب المحتال وشريكته الراقصة ويتزوج إسماعيل من ابنة عمه .

ومن الواضح حتى الآن أن السينما لم تخدم المطربة الصغيرة فالفيلم ساذج ورغم أننا في باريس، فنحن محبوسون داخل غرف توحي بأنها ديكور لشقق مصرية، ويحس المتفرج أن باريس هنا مجرد اسم، فضلًا عن أن عاصمة فرنسا تحولت مثل القاهرة إلى كباريهات وراقصات شرقيات، أما بنت البلد فلم تتكلم في الفيلم كله عدة جمل متكاملة .

وكعادتها في أن تغني نجاة في هذه الفترة لآخرين، غنت وحدها أغنية "ع الحلوة والمرة مش كنا متعاهدين .. ليه تنسي بالمرة عشرة بقالها سنين" ، وهي أغنية عبد الغني السيد التي لحنها محمود الشريف ومن كلمات سيد مرعي ، كما غنت أغنية "مع السلامة يا نور العين" .

ومن الواضح أننا أمام فيلم غنائي قائم على الغناء الجماعي ، لذا غنت نجاة مع محمد التابعي والسيد بدير من كلمات فتحي قورة أغنية "باركولهم" ، من ألحان عزت الجاهلي، ومن ألحان منير مراد غنت مع إسماعيل يس "انتي دربي" ، ومع إسماعيل أيضا غنت من ألحان محمود الشريف "دورت عليه ولفيت" ، ومن ألحان عبد العزيز محمود أغنية "جالك إيه" .

وقد جاءت البداية الحقيقة للمطربة في السينما من خلال فيلم "غريبة" لأحمد بدر خان 1958م، وهو فيلم شبابي مليء بالكآبة والحزن، وقد بدت فيه المطربة الممثلة غير جذابة بالمرة، خاصة أن الدور يتطلب هذا وسوف يحدث ذلك في فيلمها التالي "الشموع السوداء" .

وقد اشتهرت نجاة قبل عرض هذا الفيلم بأغنيتين شهيرتين فيهما كلمة "غريبة" الأولى هي : قريبة منسية .. بعيدة منسية

من يومي مظلومة .. من يومي محرومة

من كل حنية

والثانية :

بتقول حبيبة .. وأنا غريبة غريبة

وإن جيت تعاتب .. تقول حبيبة

أما غريبة أما غريبة

والأغنية الأولى هي التي تضمنها الفيلم وإن حاول الفيلم الاستفادة من ذيوع الأغنيتين معًا اللتين كانتا تترددان دومًا في الإذاعات في تلك الفترة .

إذن فقد حاول بدرخان الرهان على نجاة، وكعادة أفيشات الأفلام التي تراهن على نجم جديد، فلا يظهر على الأفيش سواه، وكانت أفيشات الشوارع لا تكشف سوى وجه بطلة الفيلم رغم وجود نجوم من طراز عقيلة راتب وعماد حمدي وأحمد مظهر وأحمد رمزي، وواكبت عرض الفيلم حملة دعائية ضخمة، منها مقالات مدفوعة الأجر في بعض المجلات مثلما نشر في مجلة الكواكب جاء فيها : "هذه القصة صورة صادقة لما يقع في المجتمع من مشاكل تتطور مع الزمن حتى تصبح من الأمور التي تخلق المتاعب في حياة الناس" .

ومن أجل العزف على العنوان الذي يرمز إلى اسم الفيلم والأغنية جاءت نهاية المقال على النمط التالي : "فقد ظهر في حياة الشاب الذي أحبته خطيبة له لم يخبرها بشيء عنها ، وشعرت أنها أصبحت غريبة ..

أصبحت غريبة في بيت والدها ..

.. وأصبحت غريبة في بيت أمها .."

".. وأصبحت غريبة عن الرجل الذي أحبته وكان عليها أن تختار طريقًا لحياتها .

فهل تعيش مع أمها وهي تشعر أنها "غريبة" رغم الحب والحنان الذي يحيطها بها زوج أمها ؟

أم تعود إلى والدها الذي يحبها من أعماقه ولكنها ستصبح "غريبة" مع زوجة أبيها !

"أم تتزوج من الشاب الذي أحبته بعد أن يهجر خطيبته !

"إنها مشكلة غريبة .. ستجد حلها في فيلم "غريبة" .

ومن الواضح أنه تم إعداد الفيلم بسرعة كي تتم الاستفادة من نجاح الأغنية فالفيلم مقتبس من فيلم أمريكي عرض قبل عدة أشهر فقط على الشاشة اسمه "المراهقة الصغيرة" ، وبدا الفيلم المصري كأنه نسخة من العمل الأمريكي كما جاء على لسان محرر جريدة الشعب في **12** مارس **1958**م في العمود المعنون "فيلم اليوم" حيث يقول "إنها نفس قصة فيلم "الابنة المراهقة" الأمريكي الذي عرض هنا في الموسم الماضي بدون تصرف" ، أما عثمان العنتبلي فيكتب في جريدة الأهرام (**25** مارس) :

"تذكرني قصة فيلم "غريبة" بقصة الفيلم الأمريكي "المراهقة الصغيرة" . فالفيلم الأمريكي يروي لنا كيف استطاعت أم متزوجة من غير والد فتاتها أن تخرج ابنتها من عزلتها لتقبل على الحياة، وأوعز زوج الأم إلى جار شاب أن يستهوي قلب الابنة، وينشأ حب في قلب هذه الابنة، وتصدم حين تعرف أن من تحبه يحب غيرها، وتدور حوادث القصة بعد ذلك وتنتهي بزواج الابنة من الشاب الذي تحبه والتشابه واضح بين القصتين المصرية والأمريكية" ، والمؤكد أن الفيلم الأمريكي ليس غنائيًا بالطبع، ولكنه فيلم شبابي عاطفي والمفروض

أن تكون الأغنيات هنا سببا للبهجة، لكن ما شدت به نجاة لم يكن مبهجًا بالمرة هنا، مثل أغنية "غريبة منسية" وأغنية "عيد ميلادك يا مني" .

وكلمات أغنيات الفيلم كتبها أحمد رامي ومرسي جميل عزيز وصلاح جاهين ، أما الألحان فهي لرياض السنباطي، وكمال الطويل، والغريب أن عبد الوهاب لم يقدم لحنا للموهبة الجديدة في هذا الفيلم، وكان عليه أن ينتظر ليقدم لها لحن "لا تكذبي" في فيلمها التالي .

وقد كتب العنتبلي عن نجاة أنها "صالحة تماما كمطربة صلاحية لا تتوازن مع صلاحيتها كسينمائية، وخاصة من ناحية صورها السينمائية، وبدرخان كعادته المخرج الممتاز للأفلام الغنائية ، وهو يثبت دائمًا شاعريته العنائية في إخراجه للأغاني، وجملة أن فيلم "غريبة" فيها جهود واضحة يعوزها التدعيم" .

ومن فيلم "الشموع السوداء" **1963**م يتضح أن كل تجارب نجاة في السينما كانت في أجواء كئيبة، يغلب عليها الحزن والكآبة، فنحن في عزبة قريبة من قرية أبو حمص، تذهب إليها ممرضة قادمة من ملجأ، من أجل رعاية شاب معقد من النساء، يعيش في غرفة مظلمة وهو فاقد البصر، وهناك جرائم تحاط من حولها، جرائم قتل ، وخيانة ، وتدفع الفتاة من ثمن براءتها أن تدخل السجن في جريمة لم ترتكبها، أي أن أجواء الفيلم لا تصلح قط أن يكون فيلما غنائيًا بالمرة .

وقد ظلم عز الدين ذو الفقار نجاة كثيرا، فالفيلم مدته أكثر من **130** دقيقة وهي موجودة عليها أن تمثل طوال الأحداث، والغريب أنها لم تغن سوى ثلاث أغنيات لا أكثر، مما كشف مواهبها التمثيلية، ومن الواضح أن عز الدين ذو الفقار قد قلب الآية تماما بالنسبة للفيلم الغنائي، سواء من حيث الموضوع أو من حيث عدد الأغنيات، أو الاستعانة بنجمة غناء لها شهرتها وقد راهن ذو الفقار هنا على نجاة كمطربة، وعلى لاعب الكرة صالح سليم

كابتن النادي الأهلي وقتها فكان التمثيل زاعقًا من طرف الممثل مضطرب من طرف الممثلة .

كما أنه من الواضح أن المخرج قد حاول الاستفادة من نجاح الأغنية التي ذاعت في تلك الفترة بقوة، وغناها كل من نجاة وعبد الوهاب وعبدالحليم فجاءت كمحور الفيلم، وبدت دخيلة على الحدث، لكن المخرج أراد أن يضيفها، ومدة الأغنيات الثلاث طويلة مما خلق الملل، الأغنية الأولى هي "اشمعني ده" تأليف مرسي جميل عزيز وألحان الموجي وفيها تغني المطربة متسائلة عن السبب الذي دفعها أن تحب مثل هذا الرجل المصاب بالعقد النفسية وقد غنتها في جو ليلي خال من البهجة تماما :

إيه هو ده واشمعني ده ارتحت له وفتحت له

لما ندا

إيه هو ده واشمعني ده سهرت له واحترت له

قوام كده

أما الأغنية الثالثة فهي شديدة الحزن، كان عليها أن تغنيها بعد أن صار عليها أن تغادر الضيعة، وأن تنتهي مثل تلك العلاقة، وقد شدت بهذه الأغنية في أجواء مظلمة وحزينة كئيبة، وهي أغنية "كل شئ راح وانقضي" من كلمات إسماعيل الحبروك وألحان بليغ حمدي :

كل شيء راحل وانقضي

واللي بينا خلاص مضي

بس وحياة اللي فات

واللي أصبح ذكريات

عمري ما حبيت ولا اتمنيت

غيرك أنت يا حبيبي

أما الأغنية الثانية المشهورة فهي قصيدة "لا تكذبي" التي نظمها كامل الشناوي ولحنها محمد عبد الوهاب ، وقد جاء في أحداث الفيلم أن صاحب الضيعة قد نظمها عن خيانة حبيبته أو زوجته ، ولذا فهو لابد أن يتألم بشدة وفي جالسة أمام البيانو تعزف وتغني على لسان الشاب مرددة:

لا تكذبي إني رأيتكما معا
ودعي البكاء فقد كرهت الأدمعا
ما أهون الدمع الجسور إذا جري
من عين كاذبة فأنكر وادعي
أني رأيتكما
إني سمعتكما
عيناكي في عينيه
في شفتيه
في كفيه
في قدميه
ويداك ضارعتان ترتعشان من لهف عليه
تتحديان الشوق بالقبلات تلذعني بسوط من لهيب
بالهمس ، باللمس ، بالآهات
بالنظرات ، باللفتات ، بالصمت الرهيب

ومن الواضح أن نجاح هذا الفيلم لم يجعل نجاة تحبس نفسها في هذا النوع من الأدوار المنكسرة، خاصة أن أختها سعاد حسني قد تملكت عرش سينما تلك الفترة كسندريلا خفيفة الظل والروح، فكان الفيلمان التاليان ينتميان إلى الكوميديا وسيما الشباب في المقام الأول، هو "شاطيء المرح" لحسام الدين

مصطفى 1967م، والثاني "7 أيام في الجنة" لفطين عبد الوهاب ؛ أبرز من صنع الكوميديا في السينما المصرية.

في الفيلم الأول، وجدت نجاة نفسها في أجواء شبابية مرحة عمادها مجموعة من الشباب في طريقهم إلى الإسماعيلية في رحلة، حيث يكلف منصور الشاب حسام ابن أحد أصدقائه بمراقبة ورعاية ابنته نورا أثناء قيامه برحلة إلى الإسماعيلية، تقع نورا في حب حسام ويبادلها نفس المشاعر إلا أنها تعلم بمهمته وأن ما بينهما كان وظيفة يؤديها بأمانة . توافق على خطبتها لشاب عاطل بالوراثة كي تنتقم من حسام، ولكنها لا تستطيع مقاومة مشاعرها، في نفس الوقت لا يكف حسام عن محاولاته في إقناعها بحب الصادق ، فيعود الوصال والوفاق بينهما .

إذن فنحن أمام قصة تصلح لفيلم غنائي وكوميدي، وهناك صناع بهجة مثل حسن يوسف، وثلاثي أضواء المسرح وعبد المنعم مدبولي، فضلًا عن أجواء الرحلات، وقد بدا محمد عبد الوهاب هنا وقد تأكد من رهانه القديم على نجاة فلحن لها كل أغنيات الفيلم الثلاثة، وهي من تأليف حسين السيد وليس من بينها أغنية واحدة حزينة، وهي "القريب منك بعيد" ، و"آه لو تعرف يا حبيب قلبي" ، ثم الأغنية التي تغنيها مع البنات "عاليادي" .

وأغنيات الفيلم إذاعية أكثر منها سينمائية كان يسمعها المرء في الإذاعة مثل المقدمة الموسيقية العذبة لأغنية "آه لو تعرف" التي صارت مقدمة لبرنامج شعر وموسيقي لأكثر من 15 سنة في إذاعة الشرق الأوسط والتي فيها تردد الفتاة :

آه لو تعرف يا حبيب قلبي

وأنت معايا باحس بإيه

خلي شوية لبكرة يا قلبي

الحب ده ما أقدرش عليه

بص في قلبي يا عيون قلبي

شوف كام حاجة بتستناك

باحبك حب خلاني

بخاف من فرحتى جنبك

يشوفها حد يحسدها

ويحسدني على حبك

ورغم أجواء البهجة التي أشيعت في الفيلم، فإن موهبة الممثلة لم تنضج بالقدر الكافي، ولكن رغم ذلك فإن فطين عبد الوهاب قد قدم لها فيلمها التالي وجاء بنفس المجموعة لتعمل من جديد، حسن يوسف ، ويوسف فخر الدين ، وحل أمين الهنيدي محل مدبولي، أما عادل إمام فقام بدور صديق البطل الذي يولد الكوميديا، وقصة الفيلم سبق للسينما المصرية أن قدمتها في الأربعينيات، حول بائع الفل وابنة أخته اللذين يبيعان الفل في الشوارع يرتديان الملابس الرثة وتمشي لتغني أغنياتها الشهيرة "دوارين في الشوارع ، دوارين في الحارات" ، من ألحان الأخوين رحباني ، إلى أن يتعرفا على الصحفي شكري، والذي يقرر تطبيق ما يجول في داخل النفس البشرية من نفاق ورياء، يحول الفتاة كروان إلى هدى ابنة المليونير الطنبشاوي المهاجر، ويعلن عن وصولهما لمدة سبعة أيام ورغبتهما في التعرف على أفراد الأسرة، ينهال على القصر أهل النفاق، كل يدعي أنه من أفراد الأسرة وتقوم قصة حب بين شاب وبين الفتاة، وينافسه على قلبها أحد أصدقائه .

وقد غنت نجاة هنا أربع أغنيات فقط منها "إلا أنت" التي تنشدها حين تحس أن عليها الاختيار بين حبيبها وصديقه :

إلا أنت ..

فيها إيه الدنيا إلا أنت

كما غنت نجاة في الفيلم أغنية الحلم الملونة، التي تخيلت فيها أنها قريبة من حبيبها، وأنها في جو وردي جميل، ويقول الناقد عبد الفتاح الفيشاوي عن الفيلم أن حصيلته "إذا استثنيا ابتعاد الفكرة الأصلية ، فيلم كوميدي وحصيلته طيبة من ألحان عبد الوهاب والرحبانية وسيد كامل التي تتوهج بنار المأساة" .

وكتب نفس الناقد في مجلة "الكواكب" عن نجاة لا أعرف السبب الذي من أجله تخاف من الكاميرا، مع أنها تمتاز بقابلية مع الجمهور وكلامي هذا عن صورتها وصوتها له مكانته، والأمر يحتاج إلى دراسة لاختيار الأدوار التي تصلح لها، وأعتقد أن الدور الذي يليق لها هو دور الفتاة المغلوب على أمرها .

وقد صدق كلام الناقد تماما مع فيلمها القادم "ابنتي العزيزة" لحلمي رفلة ، وهي هناك فتاة مغلوبة على أمرها ومنكسرة أكثر من فتاة ملجأ للبنات يأتي إليه رجل أعمال حيث تلفت نظره الفتاة اليتيمة فاطمة التي ترعي الأطفال، يعلم من مديرة المدرسة ظروفها التي لم تمكنها من استكمال دراستها بالجامعة فيتكفل بها دون أن تعرف، ويطلق على نفسه اسم "علي" ، تدعوه لحضور الاحتفال السنوي بالكلية، ينمو الحب بينهما ويتزوجان .

وقد غنت في هذا الفيلم أغنيات على طريقة الإذاعة ، ومن هذه الأغنيات :

أما براوة ، براوة ، أما براوة

دوار حبيبي يا عيني آخر طراوة

أما الأغنية الثانية فهي :

آه لو تعرف يا حبيب قلبي

وأنت معايا بأحس بإيه

خللي شوية لبكرة يا قلبي

الحب ده ما أقدرش عليه

أما التجربة الأخيرة لنجاة فكانت في "جفت الدموع" **1975**م، المأخوذة عن رواية ليوسف السباعي كتبها أثناء الوحدة بين مصر وسوريا، قامت على قصة حب تولدت بين فنانة وبين صحفي عضو في مجلس الشعب السوري ورئيس تحرير جريدة حزبية سورية، وقد تم تغيير الحوادث تبعًا للظروف السياسية المختلفة التي تم أثناءها تصوير الفيلم .

والقصة تدور حول حب بين صحفي وفنانة محفوف بالمخاطر، باعتبار أن كل منهما شخصية عامة، وهو رجل متزوج من امرأة لكنه غير سعيد معها ، فزوجته امرأة شديدة القسوة ، والصحفي سامي كرم يستعد لخوض معركة على مقعد نقابة الصحفيين، لذا فإن منافسه في الانتخابات يحاول استخدام علاقته مع المطربة، وراحت كافة الأطراف تسعي إلى هدم تلك العلاقات، فقررت المطربة هدى أن تزيح نفسها عن طريق سامي كي ينجح حتى وإن تألم عاطفيًا .

وقد عاد حلمي رفلة مجددًا إلى السينما الغنائية في هذا الفيلم، ولكنه لم يقدم عملا استعراضيًا مثلما كان فيما قبل، بل اكتفى أن قدم فيلما غنائيًا أسوة بفيلمه السابق مع نجاة، ولكن لاشك أن الصراع السياسي والحزبي يقلل من الفرص المتاحة للاستعراض، وقد غنت نجاة على صوت في الخلفية لمحمود يس أغنية "حمد لله ع السلامة" :

حمد لله ع السلامة يا أبو أجمل ابتسامة

ياما دقيت في بعدك على باب الصبر ياما

ياما استنيت وحيدة مغيرناش ملامة

وهنا عادت نجاة مرة أخرى وأخيرة لغناء قصيدة من كلمات نزار قباني هي "متي ستعرف كم أهواك" ، من ألحان محمد عبد الوهاب فتقول:

متي ستعرف كم أهواك يا أملا

أبيع من أجله الدنيا وما فيها

لو تطلب البحر في عينيك أسكبه

أو تطلب الشمس في كفيك أرميها

أنا أحبك فوق الغيم أكتبها

وللعصافير والأشجار أحكيها

أنا أحبك حاول أن تساعدني

فإن من بدا المأساة ينهيها

وأن من فتح الأبواب يغلقها

ومن أشعل النيران يطفيها

وحول نجاة الصغيرة في هذا الفيلم كتب مجدي فهمي في مجلة "الشبكة" : "نجاة أنثي ، أنثي رغم حجمها الدقيق الرقيق، لذا كادت أنوثتها تطغي حتى على صوتها الجميل، وساعدتها كثيرًا في أدائها" ، كما كتب في خاتمة مقاله : "فهذا واحد من أنظف أفلام حلمي رفلة .. إذ يقدم فيه لونًا من الفطر العاطفي الذي يكبت العزال بقدر ما يمتع الأبطال".

الفصل الثالث والعشرون
الجيل العربي
فايزة أحمد ـ وردة الجزائرية

هناك علاقة منافسة وتقارب ربطت بين كل من فايزة أحمد القادمة من سوريا، ووردة الجزائرية التي مرت بمحطات غنائية عديدة، منها سوريا قبل أن تأتي إلى مصر .

فما أن لمع نجم كل منهما غنائيًا، حتى أسرعت السينما باجتذاب كل منهما وفي سنوات متقاربة عملت فايزة أحمد في سبعة أفلام بين عامي 1958م، 1963م، منها فيلمان غنت فيهما فقط، بالإضافة إلى اشتراكها بالغناء بصوتها فقط في فيلم "الوسادة الخالية" لصلاح أبو سيف عام 1957م، أي أن حصيلتها كانت خمسة أفلام .

وما أن استمع الناس إلى وردة في الإذاعة، حتى فوجئوا بها على شاشات السينما في فيلمها الأول "ألمظ وعبده الحامولي" 1962م، ثم ظهرت في العام التالي أمام رشدي أباظة في "أميرة العرب" من إخراج نيازي مصطفى قبل أن تعتزل الغناء والسينما بسبب عودتها إلى الجزائر وزواجها، وما أن عادت للفن مرة أخرى في أوائل السبعينيات حتى عادت للعمل بشكل مكثف فقامت ببطولة ثلاثة أفلام، وتوقفت عن العمل في السينما إلى أن عادت في عام 1994م بفيلم لم يكتب له أي نجاح .

ووسط هذا الابتعاد والاقتراب من السينما، شهدت الساحة الغنائية منافسة قوية بين المطربتين لتزعم عرش الغناء بعد رحيل أم كلثوم .

لكن من المهم أن نتوقف عند الأفلام التي عملت كل منهما فيها، وهي أفلام تنتمي في المقام الأول إلى الغناء أكثر من الاستعراض، فكلتاهما مطربة

فقط وليست نجمة استعراضية، ولم تكن فايزة أحمد ممثلة جيدة ولم تمتلك من الجمال قدرًا تتمتع به نجمات طرب من طراز ليلى مراد مثلًا، لذا فإن أدوارها جاءت في أفلام غير ذات أهمية، كما أنها لم تقم بالبطولة المطلقة سوى في فيلم واحد هو "المليونير الفقير" لحسن الصيفي عام **1959**م، أما بقية أعمالها فكانت البطلة الثانية، سواء في "امسك حرامي" لفطين عبد الوهاب **1978**م، حيث كانت البطلة الأولى هي آمال فريد، أما في "تمر حنة" ، حيث كانت البطلة الرئيسية هي نعيمة عاكف ، وفي "ليلى بنت الشاطيء" لحسين فوزي **1959**م كانت البطلة الأولى هي ليلى فوزي ، وفي فيلم "أنا وبناتي" لحسن حلمي المهندس **1961**م كانت بطلة مشاركة مع كل من زهرة العلا وآمال فريد وناهد شريف .

وقد أشرنا أن صلاح أبو سيف أول من استخدام صوتها للغناء، فجعلها تنشد "أسمر يا أسمراني" في إحدي الحفلات بديلا عن عبد الحليم حافظ في فيلم "الوسادة الخالية" ، ولم يظهر في الفيلم سوى صوتها، وكانت فايزة حققت مجدها ووجودها في هذه الفترة من خلال أغنيتها الجميلة "أنا قلبي إليك ميال"

.

ورغم أن الشخصية التي جسدتها في فيلم "أمسك حرامي" هامشية ، فإن الأغنيات التي صدحت بها كانت جميلة ، وذات قبول لدى الناس ، وتقبل الناس وجودها كصاحبة صوت جميل ، وقد كتبت مجلة "الفن" في عدد مارس **1958**م عن الفيلم "أن المطربة فايزة أحمد لم يكن لها دور رئيسي في الفيلم ، ولكن الشركة منتجة الفيلم جعلتها ضيفة شرف ، استغلالًا لاسمها ولشهرتها الفنية ليس إلا "

وقد غنت فايزة ضيفة الشرف ثلاث أغنيات من ألحان عبد الوهاب "بريئة" كلمات علي مهدي ، و"حمال الأسية" كلمات حسين السيد:

حمال الأسية يا قلبي
ظالمينك حبايبي
وتنسي الأسية
طول عمرك يا قلبي
حمال الأسية
ينسوك الحبايب
ولو طال الغياب
تروح تسأل عليهم
ولا يردوش جواب

أما التجربة التالية ، فكانت أيضا أمام إسماعيل يس في "المليونير الفقير" ، وفيها أدت الدور الرئيسي، فهي موظفة التليفون التي تكتشف أن أحد النزلاء في الفندق الذي تعمل به مفلس، لذا تبلغ عنه ، وفيما بعد تتعاطف معه وتقع في غرامه، خاصة أن هذا المفلس قد ورث فجأة ثروة، وفيما بعد تجد نفسها في وضع منافسة مع راقصة ترمي شباكها حول حبيبها .

وفي هذا الفيلم غنت فايزة أحمد أيضا اثنتين من أغنياتها الشهيرة هما : "يا حلاوتك يا جمالك خليت للحلوين إيه" من ألحان فريد الأطرش ، وكلمات فتحي قورة ، ثم أغنية بالغة العذوبة باسم "عشان بأحبك أنا حرمت عيني النوم" ألحان بليغ حمدي ، وكلمات فتحي قورة .

كما غنت في الفيلم أغنية مع إسماعيل يس هي "الأسانسير" لحنها عبد العزيز محمود ، وكلمات فتحي قورة ، وغنت أيضا مع نجوي فؤاد أغنية "الحلم" : "أنا ح اتجنن أنا محتارة ، عين في الجنة وعين في النار" وهي من ألحان منير مراد .

ومن المهم هنا أن نسترجع من كلمات أغنيتها "عشام بحبك" ، وهي واحدة من أرق ما غنت :

علشان بحبك أنا حرمت عيني النوم

واللي بنيته في سنة راح من إيديه في يوم

فات اللي فات وانقضي معرفش فات إزاي

مهما مليت الفضا بشكوتي ع الناي

لا حأرجع اللي مضي ولا ح أعرف اللي جاي

وعشان بحبك أنا

وفي فيلم "تمر حنة" غنت كممثلة مساعدة أغنيتين أحداهما ذاع صيتها بقوة في الشارع العربي آنذاك ، وهي "يا أمة القمر ع الباب" ، مما دفع بحسين فوزي نفس المخرج أن يقدمها في فيلم آخر هو "ليلى بنت الشاطيء" وفيه قامت بدور المطربة التي تقع في حب زميلها (محمد فوزي) بينما قلبه معلق بحب ابنة قريته التي كان يعمل فيها صيادًا ، وقد غنت هنا أغنيتين منها أغنية "ليه يا قلبي ليه" من ألحان محمد فوزي .

وقد بلغت قمة تألق فايزة أحمد الغنائية في فيلم "أنا وبناتي" من إخراج حسين حلمي المهندس ، وجاء في الإعلانات أن : "البطولة الغنائية لفايزة أحمد" . والفيلم حول أبو البنات الذي يحمل فوق كاهله عبء تدبير المستقبل الآمن لأربع بنات كلهن في سن الزواج ، حيث يحال إلى المعاش ولا يجد بين يديه سوى مكافأته ليؤمن مستقبل بناته، وليشق طريقا مليئًا بالأشواك ، لكنه يخسر ماله على غير إرادته مما يدفع بالبنات إلى مواجهة الحياة بلا خبرة وبلا استعداد منهن، واحدة تسقط ثم هناك الابنة التي تغني في الملاهي .

ونحن الذن شاهدنا الفيلم عند عروضه الأولى في أوائل الستينيات أثرت فيها كثيرًا أغنياته التي شدت بها فايزة أحمد، وهي أغنيات كتبها مرسي جميل

عزيز وألحان محمد الموجي، وأكدت المطربة أنها صارت مطربة الأسرة، ثم غنت للأم والأخ وهي هنا تغني للأب أغنية "يابه تعالا لي" التي تقول فيها وهي تناشد أباها الذي هجر المنزل :

حاسة إني وحيدة وف دنيا بعيدة

ولا حدش جنبي من كل حبايبي

يا به تعالا لي

كما أكدت أنها مطربة الأسرة بأغنية "بيت العز" الذي اشترك في الغناء فيها ككورس أفراد الأسرة في الفيلم من زكي رستم إلى ناهد شريف وآمال فريد وزهرة العلا :

بيت العز يا بيتنا ، على بابك عنبتنا

ليها خضرة وضليلة ، بترفرف ع العيلة

وتضلل يا حيليلة من أول عتبتنا

يا بيت العز ، يا بيت السعد ، يا بيت الفرح

يا بيتنا

ومن أغنيات الفيلم أيضا "على البساط السندسي" لكن أغنية حيران كانت مؤثرة للغاية وهي تشدو بها لأختها التي سقطت في الرذيلة :

حيران كده ليه يا حبيبي

زعلان من إيه يا حبيبي

ولا تزعل ولا تحتار

وحياتك ليل ونهار

حبك أقوي من النار

صدقني صدقني صدقني

وهنا كانت رحلة فايزة أحمد مع السينما قد انتهت ، لكنها غنت كمطربة فقط أغنية واحدة في فيلمين من إخراج محمد سالم ، الأول هو "القاهرة في الليل" والثاني هو "منتهي الفرح" ، وفي الفيلم الأول غنت صباح "ملحق ملحق" وشادية "أنا عندي مشكلة" ومحمد قنديل "فلاحة بلدنا" وغنت صباح مع فؤاد المهندس "الراجل ده ح يجنني" أما فايزة أحمد فغنت "اتحسدنا ولا إيه" :

كل يوم هجر وأسية

يا حبيبي قوللي ليه

باسألك فكر شوية

اتحسدنا ولا إيه

كلنا في دنيا الهوى أجمل أحبه

كل يوم في قلوبنا بتزيد المحبة

في تلك الفترة كان نجم "وردة" قد صعد بشكل ملحوظ في الغناء والسينما وتم الرهان عليها وأنتج لها المنتجون فيلمين من الأعمال الضخمة الإنتاج الأول تاريخي وهو "ألمظ وعبده الحامولي" **1962**م، والثاني من فانتازيا ألف ليلة هو "أميرة العرب" .

كانت وردة قد ظهرت في السينما كمطربة بأفضل صورة في فيلمها "ألمظ وعبده الحامولي" ووضعها حلمي رفلة في صورة المغنية التي يمكنها أن تواصل المسيرة في السينما الغنائية ، فغنت من ألحان عبد الوهاب وفريد الأطرش وبليغ حمدي ، واستمع الناس إلى أغنية "يا نخلتين في العلالي" وهي ترتدي زي المطربة ألمظ ، كما تركت صدي أفضل وهي تردد أغنية "روحي وروحك حبايب" :

أنا فؤادي متيم من قبل يوم التلاقي

وربي هو اللي يعم محبتي واشتياقي
اكتب لي في الحب نايب وطل على العشاق طله
روحي وروحك حبايب
من قبل دا العالم والله

أما فيلمها الثاني المصاغ في إطار حكاية فانتازية حول الأمير محبوب الذي طلب منه عمه الملك أن يبحث له عن صاحبة الشعرة الجميلة الطويلة فراح يفتش عنها، وعندما عثر عليها أحبها ولكنه ضحي بحبه من أجل عمه لكنه عرف أن العم يدبر له مؤامرة للتخلص منه .

والفيلم مستوحي من الأسطورة العالمية الشهيرة ترستيان دايزولت ولكنها محكاة هنا على طريقة قصص ألف ليلة وليلة، وفي أجواء عربية. وقد صور الأميرة التي عاشت في أحضان الترف والنعيم يحيطها والدها بكل ألوان البهجة والسعادة ، لكنها كانت تحس بوحدها وبالفراغ الذي تعيش فيه . كانت تحس بلدغة الحرمان في قلبها ، وكان يضنيها ويقلقها أنها وهي الأميرة الفاتنة النضرة الشباب ، لا تجد من تحبه

وقد غنت وردة في هذا الفيلم أغنيات أخرى من ألحان كمال الطويل وعبد الوهاب وبليغ حمدي ، ساهمت فر رفع اسهمها السينمائية ، لكنها كانت على موعد مع الاعتزال المؤقت .

وقد كان حلمي رفلة وراءها دومًا في هذه الأفلام فهو الذي أنتج لها فيلم "أميرة العرب" ، وهو الثري الذي استقبلها عند عودها، وقدمها في فيلم "صوت الحب" ، واختار لها قصة قديمة سبق للسينما المصرية أن قدمتها مرارا في أفلام غنائية منها "ما أقدرش" ، و"قمر **14**" ، حول الزوجة التي يود الابن أن يتزوجها لكن الأب يقف ضد زواجها لوضعها الاجتماعي المتدني ، فتدخل

المنزل من الباب الخلفي كممرضة أو سيدة منزل وتثبت أنها جديرة بالزواج من الابن .

وشتان بين خفة كاميليا وتحية كاريوكا في الفيلمين المذكورين وبين جمود وردة في فيلم "صوت الحب" **1973**م التي جسدت دور الممرضة مني والتي تنجح في حل مشاكل الأسرة فيحبونها، وقد غنت وردة في هذا الفيلم أغنيات العودة .

أما الفيلم الذي كان تتويجا لنجاح وردة الجزائرية ، فهو "حكايتي مع الزمان" لحسن الإمام **1973**م، حيث اجتمعت فيه أسباب عديدة للنجاح الجماهيري، فضم الاستعراض والأغنية الفردية ، والتصوير خارج الحدود ، بالإضافة إلى القصة الإنسانية ، حول المطربة المشهورة، إذن فنخن هنا في عالم الغناء ولسنا أمام ممرضة تغني، بل هي مطربة، هذه المرأة تتزوج من رجل أعمال تنجب منه ثم يحدث اختلاف بين الاثنين فينفصلان دون طلاق، وتعود إلى الحياة الفنية مرة أخرى، عليها أن تسافر إلى لبنان مع الفرقة التي تعمل فيها فيتم تهريبها في أحد الصناديق بالمركب التي تقلهم لإبي هناك وتقع في غرام مخرج الفرقة، ولكن ابنتها تنجح في لم شمل أبيها وأمها من جديد في واحدة من أجمل الأغنيات السينمائية التي غنتها وردة في حياتها ، وهي أغنية تحمل عنوان الفيلم لحنها بليغ حمدي وفيها تقول :

كان .. ده كان

كان اسمه حبيبي

كتبنا ع السنابل

كلمة وفيها الهنا

وقلنا تحلو السنين

ودارت الأيام

وصحينا في الآلام

وكان من الواضح أن حسن الإمام لا يزال في الجو الإبداعي لفيلمه "خلي بالك من زوزو" فلم يشأ أن يقدم عملًا عن راقصة تهز بطنها وتحب ابن الباشاوات، بل أن المطربة هنا تعمل في فرقة استعراضية ونحن نري البروفات التي تتم من أجل حفل كبير، كما أن الأغنية من طراز "وحشتوني" بدت متناسقة مع حدث عودة المطربة إلى الفرقة عقب انفصالها عن زوجها حيث تردد بصوتها القوي :

المطربة : وحشتوني .. وحشتوني

الفرقة : أهلا .. أهلا أهلا يا أعز الحبايب

أهلا .. أهلا بالقمر اللي غايب

يا قمرة وحشتينا .. نورتي ليالينا

ثم تردد المطربة أنها قد افتقدتهم واشتاقت لهم ، وتم إخراج الأغنية في أجواء تعكس قدرة حسن الإمام على تحويل مثل هذه المواقف إلى استعراض حيث ترقص لبلبة ونبيلة السيد ، أما الأب الروحي للفرقة يوسف وهبي فيبدو بالغ السعادة لأن واحدة من بنات الرقة قد عادت إلى فنها .

وقد امتلأ الفيلم بأغنيات شدت بها وردة ولقت نجاحا في تلك الفترة ولا تزال جميعها في أذهان الناس ، منها "لولا الملامة" كلمات مرسي جميل عزيز ، وألحان عبد الوهاب :

لولا الملامة يا هو لولا الملامة

لأفرد جناحي ع الهوى زي اليمامة

وأطير وأرفرف في الفضاء

وأهرب من الدنيا الفضا

وأغلب أغنيات الفيلم تنتمي إلى النوع الخفيف ، الخالي من الحزن، عدا أغنية الشجن الأخيرة التي تحمل عنوان الفيلم ، من هذه الأغنيات "بكرة يا حبيبي" تأليف عبد الرحيم منصور وألحان كمال الطويل :

بكرة يا حبيبي يحلو القمر

بكرة يا حبيبي يحلو السهر

وأنا وأنت يا حبيبي نعيش يا حبيبي

حبايب حبايب الحب فيها غايب

غايب يا حبيبي

كما غنت لحن محمد الموجي "عيوني عطشانة" التي تقول فيها :

"يا عيوني ليه تنامي .. ليه تنامي يا عيوني"

وقد ترك الفيلم صدي طيبا لدى الجمهور والنقاد ، حيث حصل الفيلم على ست جوائز من عدة مؤسسات حسبما جاء في كتاب "حسن الإمام" ، الذي كتبه محمد عبد الفتاح ، وفي هذا الكتاب يقول المؤلف : "إن أغنيات الفيلم تقدم بصورة تنم عن جمال الإحساس بالنغم والصورة ، ويستخدم حسن الإمام كل مهاراته الحرفية ويقدم أغنية "بكرة يا حبيبي يحلو السهر" مستغلا كل إمكانيات السينما من المونتاج في اختزال الوقت، والقطع ليدل على تغييي الزمن ، واستغلال المشاهد المختلفة، الشوارع، المحلات، مناظر لبنان ، ليدل على تغير المكان وتغير الظروف، فالأغنية تبدأ وحقائب السفي يحملها الخدم على السلالم ثم تقطع على مناظر لبنانية ليشعرنا بالانتقال الزمني والمكاني" .

وعن وردة يقول : "يقدم الفيلم صورة جيدة للفنانة وردة لا تملك إلا احترامها وتقديرها والتعاطف معها خلال مواقفها المتعددة، فهي قوية قادرة

تستطيع أن تحقق نجاحها بموهبتها ، وأن تطالب بحقوقها في ندية كاملة من زوجها" .

وجاءت التجربة التالية لوردة الجزائرية بعد أربع سنوات من خلال على رضا الذي قدم العديد من الأفلام الاستعراضية والغنائية ، وذلك في "آه يا ليل يا زمن" ، حيث نجد أنفسنا أمام قصة سياسية في المقام الأول ، لكن فاتن البلتاجوني حاضرة طيلة الأحداث، منذ أن كانت ابنة باشا، إلى أن دفعت ثمن مواقفها، فتمت مصادرة أموال أسرتها بعد وفاة أبيها ورفضت أن تسلم جسدها لرجال الحراسة مقابل استعادة أموالها، وهاجرت من مصر إلى باريس، وهناك غنت لباريس وهي مع حبيبها الذي ركبت معه عبارة فوق نهر السين، وإلى جوار برج إيفل، ثم تعرفت هناك على عدة نماذج من البشر، صدمت في حبها بعد أن غنت له ، ثم غنت من الصدمة وفوجئت بضابط كانت قد وقفت يومًا إلى جواره يطلب منها أن تعود إلى مصر، وتنمو بين الاثنين قصة حب رغم أن الضابط متزوج، ويقنعها بالعودة إلى بلادها .

وقد شدت وردة على حرف الباء وهي تغني لباريس، كما غنت أغنية فرنسية شهيرة في تلك الآونة "غني ، فالحياة تغني"، بكلماتها الفرنسية والتي تقول :

غني تغني لك الحياة

وكأنك سوف تموت غدًا

وكل ألحان الفيلم من وضع بليغ حمدي الذي كان مرتبطًا حياتيًا وفنيًا بالفنانة في تلك الفترة، فكان يلحن لها كل أعمالها سواء في السينما أو خارجها، وقام بتأليف هذه الأغنيات كل من عبد الوهاب محمد ومحمد حمزة وسيد مرسي وعبد الرحيم منصور .

وقد ابتعدت وردة فيما بعد عن السينما تماما لمدة سبعة عشر عامًا انفصلت خلالها عن بليغ حمدي فنيًا وزوجيًا وبدأت في تنويع حياتها الفنية ووجدت نفسها خالية من المنافسة الساخنة بعد وفاة فايزة أحمد، وفي عام **1994**م قدمت تجربة سينمائية لم تحسب كثيرا لها، وهي "ليه يا دنيا" لهاني لاشين ويهمنا هنا أن نقتطع ما كتبه الناقد كمال رمزي عن الغناء في الفيلم "نعم حاول هاني لاشين أن يتجنب الأمراض المزمنة للأغنية في الأفلام العربية ، وفي مقدمتها متابعة البطل "المطرب" أو البطلة "المطربة" وهي تطلق عقيرتها بالغناء . بينما شريكها يتابعها مبتسما بلا معني ، ولكنه لاشين لم يفعل أكثر من ترجمة كلمات الأغنية إلى صور ولقطات مباشرة على الشاشة ، فإذا تعرضت الأغنية إلى موجات البحر تقدم الكاميرا موجات البحر ، وإذا تحدثت الأغنية عن السفر ، ظهرت سفينة على الشاشة ولعل مشكلة أغاني "ليه يا دنيا" تكمن أصلا في طولها المسرف من ناحية والألحان التطريبية التي وضعها كل من محمد سلطان وصلاح الشرنوبي وإبراهيم رأفت وإبراهيم فهمي من ناحية أخرى .

الفصل الرابع والعشرون
عائلات غنائية
أسمهان ـ سعد عبد الوهاب ـ منير مراد

هل هناك علاقة بين نجاح مطرب ما واسمه العائلي، أو بصياغة أخرى هل يمكن أن يكون لأبناء نفس العائلة، قوة الصوت وجاذبية الشخص، وتدفق الموهبة .

ليست هناك إجابة محددة بالطبع، لأن كل الحالات التي أمامنا لا تحتوي قاعدة يمكن الوقوف عندها ، فأبناي محمد عبد الوهاب لم يحترفوا الغناء سواء في حياته، أو بعد مماته ، بينما لمع اسم ابن أخيه سعد في الغناء والسينما ، وقد ندر أن نجد مطربا شهيرا، خاصة من الذين لمعوا في السينما وقد حظي أحد أبنائه بنفس الشهرة ، أو عمل في مجال الغناء، والأمثلة أمامنا كثيرة من محمد فوزي، وإسماعيل يس ومحمود شكوكو وليلى مراد ونجاة الصغيرة ونجاح سلام وهدى سلطان، وعبد العزيز محمود وكارم محمود وغيرهم .

لكن هذا لا يعني أننا أمان ظاهرة تختلف ، فكثيرا ما ظهر في نفس العائلة اثنان لمعا بنفس القدر أو بدرجات متقاربة ، وربما أكثر من نفس العدد وسوف نتوقف في حديثنا هنا عند أبرز ثلاث حالات عملت بين الغناء والسينما الغنائية ، وذلك لبروزها، الأولى هي أسمهان شقيقة فريد الأطرش والثانية منير مراد شقيق ليلى مراد ، والثالثة حالة سعد عبد الوهاب ، وذلك باعتباي أننا توقفنا عند كل من الشقيقين محمد فوزي وهدى سلطان في فصول أخرى من هذه الدراسة .

أسمهان مثلا بدأت مع أخيها في نفس الفترة، جاءت معه من جبل الدروز وغنيا معا في الصالات ، وقاما ببطولة نفس الفيلم الأول لهما "انتصار

الشباب" لأحمد بدرخان **1941**م، وجسدا شخصيتي شقيقين يعملان في الفن وغنيا معا ، وأيضا غنى كل منهما وحده ، ثم غنت أسمهان أجمل أغنياتها التي بقت حتى يومنا هذا في فيلمها الثاني "غرام وانتقام" ليوسف وهبي **1944**م.

يقول سامي السلاموني في مقال له عن الفيلم الأول "واضح أن أحمد بدرخان عندما أراد أن يقدم اسمهان وفريد الأطرش في "انتصار الشباب" كان يفكر في تقديم قصتهما الفعلية كمغن ومغنية شقيقين جاءا من بلدهما سوريا في ظروف صعبة ليبحثا عن فرصة لموهبتهما في القاهرة .

والمعروف قصته، هو حالة من الغنائية السينمائية بين الأخوين ، فالأخوان يأتيان من الشام ينتظرهما مستقبل غامض وهما ليسا من الأثرياء، وعليهما الكفاح من أجل أن يكون لهما مكان في عالم الأغنية، وكما كتب السلاموني في مجلة "فن" ، "يلجأ الفيلم إلى حيلة ساذجة للكشف عن موهبة فريد الأطرش وأسمهان في الغناء التي تصبح محوره كله بعد ذلك، ففريد يغني موالًا جميلًا في حجرته :

صون الخدود في شبابك عن دموع العين
يوم انتصار الشباب للصابرين موعود
بكره دموع الفرح تمحي دموع البين

"إنه موال يلخص موضوع الفيلم كله ، بل ويتضمن عنوانه نفسه ويؤكد على ضرورة انتصار الشباب في النهاية على الرعم من أي معاناة، ولكن لا يتورع الفيلم وبجرأة كانت عادية جدا في مثل هذه الأفلام عن حشد أهالي الحارة كلهم الذين تركوا أشغالهم ووقفوا تحت نافذة فريد الأطرش ليسمعوا بإعجاب ويطلقوا الآهات، وبهذا يكون الفيلم قد أكد للجميع ومن البداية أن بطله صوته جميل جدا، ويبقى دور البطلة، وهنا تجد أسمهان تغني أيضًا في حجرتها وبصوتها الجميل الحزين :

يا ليالي البشر يا أحلي الأماني

أين أنت الآن من هول هواني

وقد بدا هنا أن أسمهان قد بدأت سينمائيا بغناء القصائد، وهي التي غنت في أوبريت "مجنون ليلى" سينمائيا فقط بصوتها قبل ذلك بعامين، ووسط صعود الأخوين في عالم الغناء، ووقوع الفتاة في حب شاب ثري سوف يعترض أهله على اقترانه بها، فإن أسمهان سوف تغني بين وقت وآخر مجموعة من أغنياتها الشهيرة ، ومنها :

يا بدع الورد يا جمال الورد

من سحر الورد قالوه ع الخد

ثم هي تغني في موضع ثالث من الأحداث :

الشمس غابت أنوارها

والكون بقى في ظلام الليل

والدنيا سكتت أطيارها

وكان غناها شجي وجميل

وقد شاركت أسمهان الغناء مع أخيها في مواضع أخرى من الفيلم مثل أغنيتهما :

إيدي في إيدك تسير والمولي راعيها

ليه تشتكي أرضنا والنيل ساقيها

والملاحظ على كلمات الأغنية أنها تمزج بين اللغة العامية، في كلمات قليلة ، والفصحي في أغلب مفرداتها اللغوية .

وقد توقفت أسمهان قرابة عامين عن العمل بالسينما كي تعود فلاي فيلمها الثاني والأخير، والذي قامت بدور المطربة سهير، ولذا فمن حقها أن تغني كل هذه الأغنيات الكثيرة التي بلغ عددها الست كللت كلها بنجاح

سينمائي وإذاعي ، جعل من أسمهان منافسًا قويًا لكل الجيل الذي كان يغني سينمائيًا في تلك السنوات، ولو نظرنا إلى أغلب أغنيات أسمهان الست هنا، فسوف نري أنها أشبه بورقة اللعب التي تكسب الرهان على المائدة، ونحن نقصد هنا في المقام الأول الأغنية السينمائية، ومدي نجاحها عند خروجها من صالات العرض كي يغنيها الناس في حيواتهم الخاصة، ومدي ذيوعها في الإذاعة .

ولاشك أن الأغنيات الست باقية في أذهان الناس حتى الآن، وهي "أيها النائم" من تأليف إيليا أبو ماضي، وألحان رياض السنباطي ، ثم "ليالي الأنس في فيينا" تأليف أحمد رامي وألحان فريد الأطرش، ثم "أنا اللي استاهل كل اللي يجري لي" كلمات بيرم التونسي، وألحان محمد القصبجي "ويا مين يقول لي قهوة أسقيه بإيدي قهوة" كلمات الشناوي وألحان فريد الأطرش ، هذا بالإضافة إلى أغنية سياسية عن "مواكب النصر" ثم حذفها بعد الثورة لأنها تمجد أسرة محمد على ، وقد تحدثنا عنها بالتفصيل في مكان آخر من هذه الفصول .

والفيلم رغم غنائيته فإنه قاتم حزين، يدور في أجواء الموت ومحاولة الانتقام ، ودفع العاشق القاتل إلى الاعتراف بأنه قتل وحيد، الثري الذي تزوج من سهير المطربة ليلة زفافها، وذلك لأن القاتل الموسيقار جمال حمدي انتقم لشرفه من العريس الذي غرر بأخت جمال، إذن فنحن هنا أمام أشخاص يكسر الألم والحزن ظهورهم ، من العروسة المطربة إلى جمال حمدي الصامت دوما ، إلى الأخت التي تحمل عارها في جسدها ثم نهاية الفيلم التي تغيرت بموت البطلة ، وجنون الموسيقار بعد أن ماتت أسمهان في مايو تصوير الفيلم .

وحتى لو لم تمت أسمهان، فإن موضوع الفيلم مليء بالأجواء السوداء مثل مشهد اعتراف جمال حمدي لسهير بما ارتكبه، وحين عرف بخطيئة أخته

وغيرها ، ورغم ذلك فإن أسمهان قد أعطت جوًا ملحوظًا من البهجة للفيلم عندما غنت في إحدي الحفلات وكان جمال هناك وإلى جواره زميله :

امتي هتعرف امتي إني بحبك إنت

فيروح صديقه ينبهه "سامع يا أخي" كي يجعله يشعر بمدي الحب الذي تكنه له سهير ، كما بدت أسمهان أيضا مليئة بالبهجة وهي تغني "أنا أهوى .. يا مين يقول لي قهوة .. أسقيه بإيدي قهوة" ، ثم الاستعراض البالغ الفخامة :

متع شبابك في فيينا دي فيينا روضة من الجنة

نغم في الجو له رنة سمعها الطير بكي وغنى

وأغلب أغنيات الفيلم شدت بها سهير في حفلات عامة وأجواء احتفالية مثل "مواكب النصر" ، و"ليالي الأنس" ، و"إمتي ح تعرف" ، و"يا مين يقول لي قهوة" ولكنها غنت لنفسها فقط كإنسانة جرت الأهوال إلى طريقها وهي تردد " أنا اللي استاهل كل اللي يجري لي" .

كانت أسمهان أبرز وجوه الطرب الذي جاء إلى السينما من خلال أجواء عائلية خلال الأربعينيات .

وفي نهاية هذا العقد ، ظهر سعد عبد الوهاب، من عائلة محمد عبد الوهاب، في الوقت الذي استمر فيه فريد الأطرش في السينما بعد رحيل أخته، فإن محمد عبد الوهاب كان قد توقف عن العمل في الأفلام عندما بدأ ابن أخيه رحلته مع الطرب والسينما، وكأنه بذلك يستكمل المسيرة.

وحسب ما جاء عن سعد عبد الوهاب في موسوعة "الغناء المصري" لمحمد قابيل "إنه عاش طفولته وشبابه مع عمه محمد عبد الوهاب في بيت العائلة مع جده، وشهد إنتاج الموسيقار الكبير وعمل البروفات علي أعماله"

وعندما ظهر سعد عبد الوهاب على الشاشة عام **1949**م في "العيش والملح" ، كان عليه أن يكتسي ببعض سمات عمه، مثل الطربوش ، ونفس

النظارة فيما بعد، ولكن مع اختلاف الأدوار، فقد كان عليه أن يقف أمام وجه جديد تم الرهان عليه من قبل المخرج حسين فوزي هي الممثلة الاستعراضية نعيمة عاكف .

ومن البداية يبدو سعد عبد الوهاب كأنه ليس المطرب الأوحد في الفيلم ، فهناك مجموعة كبيرة من الشخصيات تشارك في البطولة والاستعراضات وهناك أجواء شعبية وعالم مثالي مبهج .

والفيلم حول حارة باسم "العيش والملح" يعيش فيها الناس بسطاء ، وهناك قصة حب تربطه مع واحدة من بنات الحارة ، هو يعمل عند أحد الأثرياء فجأة تتغير الفتاة وتعرض عنه حبه ، وتسلك طريقا شائكا لا يتفق مع طبائع حارة العيش والملح . ويبدأ الشاب في إنقاذ تصرفاتها ، لكن يتضح أنها تتعرض لظروف خاصة بأسرتها ، وهنا يتضامن أهل الحارة معا في سبيل التغلب على مصاعب الحياة التي تتعرض لها الفتاة ، ولكنهم لا يستطيعون معها سبيلا ، فترب الفتاة من الحارة كي تعمل في ملهي ليلى . يتعرض الشاب لضغوط في عمله بشركة الرجل الثري الذي يثق به ثقة عمياء ويحاول البعض الإيقاع بينه وبين صاحب الشركة . يتضامن أهل الحارة من جديد لإثبات نزاهة الشاب ، وتعود الفتاة لتقف إلى جواره تتحسن الأمور مرة أخرى ويعود الشاب إلى عمله نظيفا كما كان وتتحسن الأمور الخاصة بعائلة الفتاة ليتزوجا في النهاية .

الموضوع إذن يناسب السينما الغنائية، وقد مزج حسين فوزي فيلمه بين الاستعراض والغناء والكوميديا، وقد غنى سعد عبد الوهاب هنا من ألحان عمع أغنيات مثل "العيش والملح" وهي أغنية جماعية أشترك في أدائها أهل الحارة بالإضافة إلى أغنيات أخرى مثل "أحبك" و"ماكنتش فاكر يجي يوم أقول باحبك" ، والجدير بالذكر أن السينما أعادت إخراج هذا الفيلم عام 1977م باسم "المزيكا في خطر" .

وقد أسرع حسين فوزي نفسه بالاستعانة بسعد عبد الوهاب ليقدمه في فيلمه الثاني وأشرك معه صباح، ووضع أبطاله في أجواء الموسيقى، فصباح هنا هي توتة التي تعشق الموسيقى والغناء، تأتي من لبنان مع زميلتها هند عاشقة الأدب والفلسفة، وتلتحق كل منهما بالمعهد الذي توده، لكن تبعًا لأوامر العائلة فإن كل منهما تحل مكان الأخرى في المعهد الذي يختاره الأهل ، وبذا تصبح توتة مغنية، وهند أديبة ، وتقع توتة في غرام موسيقار إلى أن يتم اكتشاف الحقيقة فيقتنع الأهل بما أنجزته كل فتاة .

وفي نفس السنة قدم حسين فوزي فيلمه الثاني الذي جمع فيه كل من صباح وسعد عبد الوهاب باسم "أختي ستيتة" ، كما جمع أيضًا أبطاله المألوفين من نجوم الصف الثاني مثل حسن فايق، ونحن هنا في أجواء غنائية حول نبيل المطرب الذي تعشقه الحسان، زميلته أنوار تحبه بينما يكرهه سكرتيره هدهد، تعمل أنوار مع زميل له يدعي كمبوشة بمسرح متواضع في روض الفرج، تحب نبيل وتصمم أن تفوز به كزوج ، تتقابل مع أم ستيتة التي تخبرها أن نبيل هو ابنها في الرضاعة مع ابنتها ستيتة . يكتشف نبيل خدعتها ويطلب منها أن ترحل، تحدث لها حادثة في الطريق. يذهب نبيل إلى المستشفي فلا يجدها، يبحث عنها، ومع العديد من المواقف تتضح الحقيقة وتنشأ بين أنوار ونبيل علاقة حب تنتهي بالزواج .

في مثل هذه الأفلام في تلك السنوات، لم يكن المهم هو القصة، بل إن القصص يجب أن تكون ساذجة وخالية من الصراعات الحادة، مليئة بأجواء البهجة، حتى يجد المتفرج نفسه في أجواء تناسب الضحك والبهجة التي يصنعها الغناء، وقد حدث هذا بشكل واضح في الأفلام التي قام ببطولتها سعد عبد الوهاب، فهي تدور في أجواء شعبية، والغناء في أغلبها جماعي، يبدو هو شخصًا بسيطًا مليئًا بالبهجة قادرًا على الغناء.

ولذا فإن حسين فوزي ظل يراهن عليه لفترة، حت أحس أنه قد استهلك منه ما يوده وفي نفس العام 1950م جمع بينه وبين نعيمة عاكف ثم أبطال آخرين يعمل معهم غالبا، منهم عباس فارس ولولا صدقي في "بلدي وخفة" ، وكانت نعيمة عاكف هي البطلة للمرة الثانية أمامه .

والفيلم يدور أيضًا في أجواء شعبية من خلال حارة شعبية، وهناك قصة مشابهة للعيش والملح، فالشاب محروس موسيقار قنوع ، أما حبيبته هنومة فثائرة متمردة، يبتسم الحظ لمحروس عندما تدعوه حبايب لإحياء حفل خاص، تقدمه لعشيقها خالد بك فيتفق معه عل تلحين أوبريت وفي نفس الوقت يسعي لإغراء هنومة للمجد والمال فتهرب من الحارة، ويظن أهل الحارة أن وراء هذا محروس فتنقلب ضده ، ثم تظهر الحقيقة .

هي إذن نفس الأجواء والأغنيات ، فهو يغني مع صباح "قطعني حتت" و"بنات البدر" من ألحان السنباطي و"اليومين دول" ، وكان على سعد عبد الوهاب أن يغير من إيقاعه وعالم الحارة التي مثل فيها أربعة أفلام ، فتلقفه حلمي رفلة عام 1951م ليقدمه في فيلم "بلد المحبوب" أمام تحية كاريوكا وهو هنا يقوم بدور فتي ريفي يملك أبوه مئات الأفدنة، تصل رسالة إلى الأب من صديق مقيم في القاهرة يذكره باتفاقهما بأن تتزوج ابنته من ابنه ترفض الفتاة الزواج من الفتي الفلاح، ويعترف الأب بغرضه من هذا الزواج لحاجته إلى المال، فتبوح له أنها تحب ابن عمها المفلس ، يتعرف الفتي الريفي على راقصة لتعلمه أصول الحياة العصرية، ثم يتزوج من ابنة صديق والده، تراه زوجته وهو يتزلق إلى الهاوية ويعطيها مبلغًا كبيرًا ويهجر المنزل للراقصة، يحضر الأب من الريف وتعلن الزوجة أنها تحبه فتضحي الراقصة من أجل سعادة الحبيبين .

والقصة كما نري فيها تشابه واضح بين فيلم غنائي آخر أخرجه حلمي رفلة لمحمد فوزي قبل ذلك بعام واحد هو "فاطمة وماريكا وراشيل"، وقد غنى سعد عبد الوهاب هنا من ألحان عبد الوهاب وكلمات الإبياري العديد من الأغنيات منها "حلوين كده ليه ، طعمين كده ليه" مع إسماعيل يس، و"قالوا البياض أحلي" ، ثم استعراض "هن هن" الذي جسده كل من إسماعيل يس وشريفة ماهر وسعاد مكاوي وسعد عبد الوهاب .

وقد سار سعد في درب عمه من خلال الشخصيات التي يجسدها، فهو الموظف الأنيق الذي يرتدي البدلة، الطموح صاحب الكبرياء حتى وإن كان فقيرًا ويسكن حيًا شعبيًا ، وبعد أن توقف عن التمثيل لمدة أربع سنوات عاد عام **1955**م في فيلم "أماني العمر" من إخراج سيف الدين شوكت ليقوم بدور رجل أعمال يخسر أمواله فيقرر أن يمتهن المحاماة، ويقع بين طرفي امرأتين، الأولى هي التي أحبها ففضلت عليه رجلا ثريًا، والثانية أحبته ووقفت إلى جانبه في محنته وساعدته دومًا .

ولعل أهم أفلام سعد عبد الوهاب وأكثرها نجاحا هو فيلمه الأخير "علموني الحب" لعاطف سالم **1957**م، فنحن أمام قصة حب كثرت مرات إنتاجها في السينما، حول أصل الحب ، هل نحب الأشخاص من خلال ما يكتبون لنا من خطابات، أم ما يتسمون به من سمات، ونحن هنا أمام علاقة بين تلميذة وأستاذها، وسامي الأستاذ هنا يعيش في الريف ثم ينتقل إلى مدرسة للبنات في القاهرة، ويعيش في منزل صديق له يعيش مع زميل ثلث ويبدأ سامي عامه الدراسي باستقبال حافل يذوق فيه المر على أيدي تلميذته، ثم يحب إحدي تلميذاته .

وفي الفيلم غنى سعد عبد الوهاب أكثر أغنياته بهجة وأشهرها، وهي من ألحانه وألحان عمه ومنها "من خطوة لخطوة يا قلبي ، جانا الأمل مغلوب ، فيه

قلوب بتبعد وتجي ، كدبت على المكتوب" وأغنية "قلبي القاسي .. يحب ويصبح ناسي .. يشغل روحه ليه " ، و"الدنيا ريشة في هوا .. طايرة من غير جناحين" ، و"على فين واخداني عينيك .. يا ساقيني الشوق بإيديك .. دانا قبلك ياما قسيت من الناس .. يبقى أنت وهم عليا" .

وقد اختفي سعد عبد الوهاب تماما من السينما بعد هذا الفيلم رغم أن نجاح هذا الفيلم وجمال أغنياته كان يمكن اعتباره بمثابة قفزة لم يسبق له أن حققها وخاصة أن كل ملابسات الفيلم تؤكد أنه نجم المستقبل، فها هو عبد السلام النابلسي صديق البطل في أفلام فريد الأطرش وعبد الحليم حافظ وأيضًا أحمد رمزي صديق عبد الحليم في أفلامه؛ يقومان معا بدوري صديقيه، وتقف أمامه إيمان التي وقفت أمام فريد الأطرش وعبد الحليم في أفلام سابقة .

المطرب الآخر الذي ينتمي لعائلة فنية هو منير مراد، وهو ابن الملحن المشهور زكي مراد شقيق ليلى مراد، وقد بدأت علاقته بالسينما من خلال عمله كمساعد مخرج وعامل كلاكيت، ثم اتجه إلى التلحين والتقليد والغناء، ولحن عشرات الأغنيات السينمائية، وقد عمل في ثلاثة أفلام منهما فيلمان كبطولة مطلقة هما "أنا وحبيبي" لكامل التلمساني 1959م، ونهارك سعيد" لفطين عبد الوهاب 1955م، كما اشترك في بطولة فيلم "موعد مع إبليس" للتلمساني 1955م، وعاد للظهور مرة أخرى في فيلم "بنت الحتة" عام 1964م من إخراج حسن الصيفي .

وفي فيلمه "أنا وحبيبي" حاول منير مراد أن يكشف كل مواهبه في عالم الغناء، وكان هو البطل المطلق طيلة الأحداث لدرجة أن شادية لم تظهر في الأحداث إلا فيما بعد دقائق طويلة، وهو هنا اسمه منير، فنان شاب يحاول استغلال مواهبه والصعود إلى سلم المجد، تصادفه الكثير من المتاعب ويتعرف على فنانة شابة، تلحقه معها بالعمل في الملهي الذي تعمل به يتدخل مدير

الملهي لإفساد هذه العلاقة لأنه يطمع في الزواج منها ليستولي على أموالها، وتكاد تنجح خطته إلا أن ضميره يستيقظ ويعود الحب إلى الحبيبين .

ولاشك أن أجواء الفيلم تناسب الغناء ، ففي أيام الفقر يغني منير مع صديقه والحصان أغنية "احنا التلاتة .. تمللي تلاتة .. نزعل قوي لو نبقى اتنين" ، وعندما يغني منير على المسرح، فإنه يقوم بتقليد غناء العديد من المطربين وهي ظاهرة انتشرت في تلك الآونة برعت فيها فيروز ولبلبة وأيضًا منير مراد ثم سيد الملاح بعد ذلك بعشر سنوات، وقد قلد منير هنا كل من فريد الأطرش وعبد الوهاب ومحمد عبد المطلب تحت عنوان "حدش شاف" .

كما غنى الأغنية الشهيرة التي تحمل اسم الفيلم مع شادية :

أنا وحبيبي ما حدش قدي

والدنيا دي على قده وقدي

كل اللي فيها أنا وحبيبي

نتهني بيه أنا وحبيبي

أشوفه فين حبيبي

وأجيبه منين حبيبي

أنا وحبيبي

بالإضافة إلى ألحانه الشهيرة لشادية في هذا الفيلم ، مثل "يا دبلة الخطوبة عقبالنا كلنا ، ونبني طوبة طوبة في عش حبنا" .

وفي عام **1964**م ظهر منير مراد كضيف شرف وقام بتلحين أغنيات الفيلم وغني أغنية فرانكوا آراب باسم "أكلك منين يا بطة" على تنويعة أغنية بنفس التلحين غنتها صباح :

هاتي واحدة لماما عشان ماما عيونها الاتنين

عايزين ياكلوكي ومش عارفة ياكلوكي منين

البنت خلاص كبرت والله ولبست فستان
وبقى لها ضفاير وشرايط أشكال وألوان
وبتعرف تزعل وتكشر مع ماما كمان
ويا ويلي لو أخرج ولا كونشي واخدة استئذان
افرح بشبابها وأقول ياختي .. ياختي .. ياختي

الفصل الخامس والعشرون
من علامات السينما الغنائية في الخمسينيات (الأغنية الدينية)

رغم قلة الأفلام الدينية في السينما المصرية والعربية فإن الغناء الديني في هذه السينما موجود بشكل يمكن أن نفرد له دراسة متكاملة عنه، فقد غنى الناس لمناسباهم الدينية ولعقيدهم في الحياة ، مثلما غنوا في الأفلام .

وقد تباين الغناء من فيلم لآخر ومن جيل لآخر، ولكن المعاني السامية ظلت بنفس سماها في هذه الأغنيات، حيث غنى أبطال هذه الأفلام لربهم سبحانه وتعالى، وتناغموا بحبهم له من فيلم لآخر، وعبروا عن لجوئهم إليه في السراء والضراء، وتعبدوا في محرابه، ومدحوا في صفاته ، كما غنوا من أجل الصلاة على رسوله، وأحبوا نبي الله عليه الصلاة والسلام وآل بيته وصحبه، وغنوا في المقام الأول للمناسبات الدينية وللفروض الخمس، وكان للحج مكانته وحظه من الغناء، كما غنوا لشهر رمضان وشعائره الدينية والاجتماعية .

ولاشك أن أغنيات أم كلثوم في أفلامها التاريخية، كانت من أولى الأغنيات الدينية التي غنيت في الأفلام المصرية حيث ارتبطت "سلامة" في عشقها برجل تقي صالح، وهي التي كانت أمة في بيوت الماجنين ومنهم "ابن سهيل" ، فلما أحبت الشيخ عبد الرحمن القس ، توقفت عن الغناء الدنيوي وصار عليها أن تغني أغنيات دينية، وزادت صدمتها بعد أن اشتراها الشيخ وأعتقها، ثم انتقل إلى جوار ربه .

وقد كانت أغلب أغنيات أم كلثوم في هذه الأفلام من القصائد، لكن لاشك أن أكبر مساحة من الإنشاد الديني كان على لسان رابعة العدوية، حيث غنت بصوها في الفيلم الذي أخرجه نيازي مصطفى عام 1963م .

وإذا توقفنا عند أغنيات أم كلثوم الدينية في فيلم "رابعة العدوية" ، والتي غنتها في الأساس للسهرة الإذاعية الدينية، فسوف نري أنها تعكس تصوف المرأة التي تركت عالم الملذات الحياتية، وسارت في طريق الروح والزهد حيث تناجي ربها سبحانه وتعالى باعتباره الحب الأول في هذا الكون وذلك في قصيدة "عرفت الهوى" من كلمات طاهر أبو فاشا وألحان السنباطي :

عرفت الهوى منذ عرفت هواك

وأغلقت قلبي عمن عداك

وقمت أناجيك يا من تري

خفايا القلوب ولسنا نراك

أحبك حبين حب الهوى

وحبا لأنك أهل لذاك

فأما الذي هو حب الهوى

فشغلي بذكرك عمن سواك

وأما الذي أنت أهل له

فكشفك لي الحجب حتى أراك

وقدم نفس الثنائي في الفيلم أغنيات وقصائد أخرى منها "على عيني بكت عيني" و"أوقدوا الشموع" و"حانة الأقدار" و"يا صحبة" ، ولعل أبرزها بالطبع هو "أوقدوا الشموع" التي رددت حول روح رابعة العدوية وهي صاعدة إلى السماء :

كورس : أوقدوا الشموع انقروا الدفوف

موكب العروس في السما يطوف

والمني قطوف انقروا الدفوف

رابعة : الرضا والنور والصبايا الحور

والهوى يدور

آن الغريب أن يرى حماه

يومه القريب شاطيء الحياة

والمني قطوف

في السما تطوف

انقروا الدفوف

وقد اهتم أنور وجدي بالغناء الديني في أفلامه، وذلك منذ فيلمه الأول كمخرج "ليلى بنت الفقراء" ، وذلك من خلال تواشيح أقرب إلى الابتهال باسم "المولد" وهو من تأليف بيرم التونسي، وألحان زكريا أحمد، حيث أدي مجموعة من الذكيرة أغنية المولد في مدح الرسول (صلي الله عليه وسلم) وحفيدته السيدة زينب :

الذكيرة : الله أحد الله .. الله أحد الله

منشد الذكيرة : سبحانه الفرد الصمد

وفي مكان آخر من الأغنية يردد المشايخ :

يا نبينا سمت بك العلياء

وأضاءت بنورك الظلماء

كيف يرقي رقيك الأنبياء

يا سماء ما طاولتها سماء

ثم يرددون :

يا ست نظرة

نظرة يا ست

يا ست زينب نظرة

أبلغ بيها آمالي

احنا هنا في الحضرة

حول المقام العالي

وللنبي عليه الصلاة والسلام وموسم الحج، غنت ليلى مراد في فيلم "بنت الأكابر" لأنور وجدي أيضًا **1952**م، من كلمات أبو السعود الإبياري وألحان رياض السنباطي :

يا رايحين للنبي الغالي

هنيالكم وعقبالي

يا ريتني كنت وياكم

وأروح للهادي وأزوره

وأبوس من شوقي شباكه

وقلبي يتهدي بنوره

وأحج وأطوف سبع مرات

وألبي وأشوف مني وعرفات

وأقول ربي كتبها لي

يا رايحين للنبي الغالي

ومثل هذه الأغنيات تغني في فيلم يدور حول قصص حب تتعرض لبعض المتاعب، وما تلبث أن تحل وينتصر المحبون .. وفي الأفلام العصرية فإن مسألة التوكل على الله والاتجاه إليه موجودة في أفلام عديدة، ففريد الأطرش يردد في فيلم "حبيب العمر" لبركات **1946**م وهو برفقة زملائه المتجهين إلى القاهرة بحثا عن فرصة عمل :

ياللا توكلنا على الله ياللا

واللي نصر عبده ما ينساه

اللي اتكاله على الخلاق يعيش سعيد

ويكون مرتاح

وهناك أغنية قريبة في كلماتها رددها محمد الكحلاوي في فيلم يحمل اسمها وهي "خليك مع الله" الذي أخرجه حلمي رفلة عام 1954م، وهي من ألحانه وكلمات حيرم الغمراوي :

خليك مع الله واعمل الطيب

سلمها لله تلقي البعيد قريب

خليك مع الله وأرضي بنصيبك

وأغنيات التوبة موجودة في السينما المصرية بدرجات مختلفة، وقد غنت هدى سلطان العديد من هذه الأغنيات، منها أغنية "التوبة" في فيلم "جعلوني مجرمًا" لعاطف سالم 1955م، كما غنت أغنية مشابهة في فيلم "كهرمان" للسيد بدير 1959م ، والتوبة هنا تأتي لامرأة أحست أنها قد أخطأت، وهو هنا مغنية تعمل في بار وتعشق رجلًا يكبرها في السن، وتعيش معه بدون زواج، حتى إذا التقت بسلطان فإن سلوكها يتغير، وتضع الإيشارب على رأسها وتردد من كلمات فتحي قورة وألحان أحمد صدقي :

يا رب توبة إليك توبة ما بين إيديك

اقبلها سقت عليك حبيبك المصطفى

يا رب

يا رب أنا زليت والذنب مش ذنبي

وندمت تاني وجيت سامحني يا رب

مش من عيوني بكيت دا البكا من قلبي

وقلت توبة يا ريت تقبلها مني يا رب

والأغنية الابتهالية هنا بمثابة تحول من حياة إلى أخرى، بالطبع هي الأفضل ولعلنا نلاحظ هنا أن أغلب الأغنيات الدينية مرتبط بالمطربات أكثر

من الرجال ، خاصة في السينما، فالمرأة هي الأسرع توبة وتحولاً من الرجل وقد غنت سعاد محمد في فيلم "أنا وحدي" لبركات 1952م أنشودة دينية لمناجاة ومدح الرسول (صلي الله عليه وسلم) ، وذلك في حفل ديني من كلمات صالح جودت وألحان زكريا أحمد، وفي المشهد الغنائي رأينا المطربة ترتدي الخمار الإسلامي، وقد غطت شعرها تمامًا، ومن حولها وقفت عشر منشدات ككورس يرددن الابتهالات :

يا حبيبي يا رسول الله يا أغلي طموحي

يا شفيعي يوم ترتد إلى الديان روحي

دينك السمح على الأيام مرفوع فوق الصروح

ينشر الرحمة والنور على الشرق الفسيح

بلسان عربي طاهر الذكر فصيح

أنا في حبك أهوى الموت أن طهرت روحي

أسعد الناس الذي مات على حب صحيح

يا حبيبي يا رسول الله يا أغلي طموحي

ومن المطربات اللاتي غنين أيضًا في تلك السنوات أغنيات دينية في أفلام مصرية شادية في فيلم "اشهدوا يا ناس" لحسن الصيفي، الذي تتعرض فيه الفتاة فاطمة للمزيد من المتاعب فتغني "قل أدعوا لله" من كلمات فتحي قورة وألحان محمود الشريف، وهي قصيدة كما نلاحظ من كلماتها :

قل أدعوا الله أن لا يمسسك ضر

ووجه ناظريك إلى الأعالي

وعلى عكس ما يتصور البعض فبرغم أن الأفلام الدينية (التاريخية) قليلة في تاريخ السينما المصرية، فإن الأغنيات الدينية أو أغنيات المناسبات الدينية موجودة بشكل مكثف في الكثير من الأفلام، ولو وقفنا عند مخرج مثل حسن

الإمام، فسوف نري أنه قدم الكثير من هذه الأغنيات في أفلامه ، وذلك من خلال ما رصده الباحث محمد عبد الفتاح في فيلموجرافيا حسن الإمام ، ففي فيلم "حكم القوي" **1951**م يغني شكوكو وثريا حلمي "يا صلاة الزين ، يا صلاة الزين" وتغني هدى سلطان "اللي انقسم واللي انكتب لابد يجري لي" ، وفي فيلم "أسرار الناس" في نفس السنة يغني عبد الغني السيد "عودة الحجاج" من كلمات فتحي قورة ، وهناك في فيلم "بنات الليل" مشهد المولد حيث تنشد المجموعة في مولد السيدة زينب الذي نراه من الشرفة، ونري زوجين تقدم بهما السن وهما يتأملان المولد وإلى جوارهما فتاة سوف يخطبها الابن الوحيد ، ويتصور الأبوان أن الابنة فتاة فاضلة بينما هي فتاة ليل ، لكن هذه الأغنية سوف تكون سببًا في تحولها إلى الأفضل والتوبة، وهذه الأغنية من كلمات فتحي قورة، وألحان محمود الشريف :

كما أن هدى سلطان قد غنت ل "طريق النور" في فيلم أخرجه لها حسن الإمام باسم "صائدة الرجال" عام **1960**م .

"وقد تكرر هذا مع محمود ذو الفقار" خاصة في الأفلام التي أخرجها لزوجته عزيزة أمير مثل "فوق السحاب" حيث غنى محمود شكوكو من ألحانه وكلمات جليل البنداري أغنية باسم "يا خالق الكون" :

يا خالق الكون ومبدل نهارنا ليل

الشمس تغرب ويحلا لنا السهر بالليل

يطلع علينا القمر يطرد ظلام الليل

كما تضمن فيلم "آمنت بالله" **1952**م (آخر أفلام عزيزة أمير) لحن المولد الذي ألفه بيرم التونسي ولحنه أحمد صدقي وأداه عباس البليدي . وفي فيلم "أفراح" الذي قام ببطولته محمود ذو الفقار مع ليلى فوزي ونور الهدى غنت هذه الأخيرة للحج مرددة :

مبروك يا حاج وعقبالنا نحجها ويرتاح بالنا

مبروك يا حاج وعقبالنا

يا مسعدك زرت الكعبة وطفت بالصفا والمروة

يا ريتنا كنا معاك صحبة ومن عيون زمزم تروي

وقفت فوق عرفات يا حاج بيت الله

ظفرت بالبركات يا حاج بيت الله

واحنا رضي الله راسمالنا مبروك يا حاج وعقبالنا

وقد تعددت أغنيات الحج في أفلام السينما باعتبار أن الحج هو وسيلة أكيدة لإعلان التوبة والرجوع إلى الله، فالحاج يتطهر مما ارتكب من ذنوب قبل هذا الحدث الجليل، لذا فإننا من فيلم لآخر نجد أغنيات عن الحج، ولأن الكثير من الأفلام لا يعرض على الشاشة الصغيرة، فإن الذاكرة قد نسيت الكثير من هذه الأغنيات، مثلما ردد الكحلاوي في فيلم "الصبر جميل" لنيازي مصطفى 1951م في أغنية الحج التي كتبها كمال محمد :

الأولة آه يا فرحكم يا هناكم

والتانية آه نور النبي دعاكم

والثالثة آه بروحي أنا معاكم

أشوف حبيب الله وأقول لعيني آه

حولك صفوف وألوف ياابو المقام عالي

وقلبهم ملهوف يا رب عقبالي

وقد ازدهر الغناء الديني في السينما المصرية إبان ازدهار السينما الغنائية كما نلاحظ، لكن هناك نوعًا آخر من هذا الغناء موجود بشكل مكثف في الأفلام التاريخية الدينية، والجدير بالإشارة أنه ليست كل أغنيات هذه الأفلام من النوع الديني، وإن كان يغلب عليها جميعًا أنها قصائد شعرية مكتوبة باللغة

العربية الفصحي، وقد خلا فيلم "ظهور الإسلام" من الأغنيات الدينية ، لكن فيلم "مغامرات عنتر وعبلة" الذي يمكن إدراجه السينما الدينية وهو من إنتاج عام **1948**م ضم بعض الأغنيات الصحراوية والدينية ، وسوف نتوقف هنا عند فيلم "انتصار الإسلام" لأحمد الطوخي **1951**م، حيث ضم العديد من الغناء الديني منها: "أغنية الرسول" من تأليف عبد العزيز أحمد وتلحين حسين جنيد وفيها تردد المجموعة :

يا رسول الله يا حبيب الله

يا نبي الله يابن عبد الله

محمد اسمك الطاهر حروف من نور

كتبها ربنا بفضله صلاة وسلام

ورحنا بقلبنا العامر كله نزور

نبي الله ونشهد له على الإسلام

ولم تكن هذه الأفلام غنائية بطبعها، لكنها مرت بنفس المرحلة التي مرت بها السينما في سنوات إنتاجها، فالأفلام الأولى منها تم إنتاجها في سنوات إزدهار السينما الغنائية، وبالتالي كانت الأغنية ضرورة يراها صناع هذه الأفلام مثلما حدث في "السيد أحمد البدوي" ، ثم بعد انحسار هذه الموجة ، فإن الأفلام الدينية قلت بها الأغنيات عدا فيلم "الشيماء" باعتبار أن هذه الأخيرة عرفت بالغناء في حياتها، أو "شادية الإسلام" ففي فيلم "السيد البدوي" أنشد الشيخ فريد السنديوني مع الذاكرين لحن الذكر الذي يردد فيه :

المنشد : سألت إلهي في حياتي نظرة .. إلى طيبة الفيحاء والقبة الخضراء

الذاكرون : لا إله إلا الله

المنشد : وأدخل من باب السلام .. مسلما على المصطفى الهادي وأفرح بالبشري

الذاكرون : لا إله إلا الله

المنشد : وأقول يا رسول الله جئتك قاصدا .. فكن لة شفيعا يا أجل الوري قدرا

وفي فيلم "بيت الله الحرام" لأحمد الطوخي عام **1957**م غنت المجموعة لحنًا لعبد العظيم عبد الحق كتبه عبد البديع ربيع باسم "وداع البيت" ردد فيه:

أيها البيت سلاما .. لك ما عشنا دواما

قد قضينا فيك عهدا .. لم يكن إلا ابتساما

تكرم الضيف وترعي .. بين واديك اليتامي

فرمتنا يد طاغ .. لم يرد إلا انتقاما

وهذا الفيلم كما نعرف يروي قصة محاولة هدم الكعبة المشرفة قبل ظهور الإسلام على يد رجال أبرهة الحبشي كما جاء في سورة "الفيل" .

وضم فيلم "الله أكبر" لإبراهيم السيد **1959**م مجموعة من الأغنيات منها نشيد "الله أكبر" الذي لحنه حسين جنيد :

الله أكبر الله أكبر .. صلي وسلم وبارك وكبر

على محمد .. على محمد

يا منصف المظلوم من ظلامه .. يا منقذ المحكوم من حكامه

ساويت بين الناس لا عبد .. ولا سيد ولا عهد طغي بظلامه

ولكن برضاك .. نسير نحو هداك

وكما نلاحظ هنا فالأغنية الدينية إما أن تنشدها المجموعة أو يغنيها منشد معروف، ولم نر أيا من أبطال الفيلم يغنون، وقد غنى شفيق جلال في فيلم

"بلال مؤذن الرسول" ، كما أن سعاد محمد غنت بصوتها فقط في فيلم "شهيدة الحب الإلهي" لعباس كامل 1962م، حول حياة رابعة العدوية وأشرنا من قبل أن أم كلثوم غنت أيضا بصوتها (على لسان نبيلة عبيد) في فيلم "رابعة العدوية" ، وقد خلا فيلم "هجرة الرسول" لإبراهيم عمارة من الأغنيات وكذلك فيلم "فجر الإسلام" ، لكن الأمر تغير بالطبع مع فيلم "الشيماء" لحسام الدين مصطفى .

والشيماء تعيش في بني سعد بين أمها حليمة السعدية وأبيها الحارث بن عبد العزي وأخيها عبد الله، يكونون أسرة تعترف للنبي الكريم بالخير والبركة التي حلت على ديارهم منذ جاءهم رضيعًا، إلا بيجاد زوج الشيماء العنيد الذي يكره محمد ويرفض الإيمان به فيتواطأ مع صديقه عكرمة بن أبي جهل ويؤلبان بني بكر للتمثيل بأصحاب الرسول، ويخون عهدًا قطعه مع الرسول لذا فالنبي صلي الله عليه وسلم يأمر بإهدار دمه بعد أن فتح مكة ، لكن الشيماء تلجأ إلى أخيها في الرضاعة الرسول صلي الله عليه وسلم فيعفو عنه وينطلق بيجاد في الصحراء وامرأته تغني على الجانب الآخر :

إنك لا تهدي من أحببت .. لكن الله يهدي من يشاء

وها هي سعاد محمد تعود للغناء الديني في السينما للمرة الثالثة بعد "أنا وحدي" و"شهيدة الحب الإلهي" ، وقد ألف الأغاني عبد الفتاح مصطفى ولحنها كل من بليغ حمدي ومحمد الموجي وعبد العظيم محمد، وكما نلاحظ ، فإن الغناء الديني قد ارتبط بمجد الفيلم التاريخي الديني، وفي الثلاثين عاما الماضية قل هذا الغناء تمامًا في السينما، سواء في الأفلام التاريخية أو في الأفلام العصرية، وذلك رغم ارتفاع وسمو الشعور الديني في المجتمع الإسلامي .. وبدت الأغنية الدينية مزدهرة في الإذاعة والتليفزيون أكثر مما حدث في السينما .

الفصل السادس والعشرون
سعاد حسني

سعاد حسني حالة خاصة واستثناء من كل القواعد في السينما المصرية خاصة الغنائية منها، فأنت كمتفرج يمكنك أن تتقبلها في أعلى درجات القبول إذا قامت بالتمثيل في فيلم ، فما بالك لو رقصت وغنت، مثلما رأينا في الكثير من الأفلام التي قامت ببطولتها !!

ورغم كل ما تركته سعاد حسني وراءها من تراث غنائي في السينما المصرية، فلاشك من أن هذه الموهبة الفريدة قد ظلمت كثيرًا لأنها ظهرت بعد انحسار موجة الأفلام الغنائية والكوميديا الموسيقية، ولاشك أنها لو ظهرت إبان ازدهار هذه الظاهرة لتركت أثرًا يضاعف ما عرفناه عنها بكثير وفي السينما الغنائية تأخر اكتشاف سعاد حسني كثيرًا، ليس فقط بالنسبة لعدد السنين التي عملت خلالها في أفلام جسدت في أغلبها دور البنت المغلوب على أمرها، ولكن أيضًا فيما يتعلق بعدد الأفلام التي قامت ببطولتها بين عامي **1959**م و**1966**م حين قامت ببطولة فيلم "صغيرة على الحب" لنيازي مصطفى، حيث بلغ عدد الأفلام التي لم يتم اكتشاف موهبتها الغنائية والاستعراضية فيها ثلاثين فيلمًا .

صحيح أن سعاد قامت في بعض هذه الأفلام بأدوار البنت الشقية التي يمكنها أن ترقص التويست ورقصات الشباب، مثلما حدث في "الساحرة الصغيرة" ، و"لعبة الحب والجواز" وكلها لنيازي مصطفى الذي اكتشف هذه المواهب فيها دون غيرها، لكن أدوار البنت المصرية المنكسرة، كان بارزًا في عدد كبير من الأفلام التي قامت ببطولتها مثل "مفيش تفاهم" لعاطف سالم

و"السبع بنات" لنفس المخرج و"أعز الحبايب" ليوسف معلوف و"غصن الزيتون" للسيد بدير و"السفيرة عزيزة" لسيف الدين شوكت و"سر الهاربة" لحسام الدين مصطفى و"حكاية جواز" وغيرها .

لذا .. جاء فيلم "صغيرة على الحب" اكتشاف مختلف ليس فقط لقدرة الممثلة على الأداء البالغ التميز خاصة في مجال الكوميديا، بل أيضًا لأدائها الاستعراضي المتميز، ونحن هنا أمام فيلم غنائي استعراضي في المقام الأول لم يعتمد فقط على أداء الشابة التي تود أن تصبح ممثلة، فنجد أن الفرصة المتاحة فقط لطفلة، وعليها أن ترتدي ثوب الطفلة وتغني، بل أن الأداء هنا جماعي في أغلب أحداث الفيلم حيث غنى ثنائي بدر أغنية باسم "عارفينك" من كلمات زين العابدين عبد الله، وغنى ثلاثي النغم "التليفزيون" ، وهي من كلمات عبد العزيز سلام ، وهذان اللحنان من وضع عبد العظيم محمد .

كما أن الفيلم انتهي بالاستعراض الجماعي الذي تحلم فيه الفتاة الصغيرة بالحب وتردد المجموعة "الحلوة لسه صغيرة" ، ورقصت سعاد مع المجموعة وارتدت ملابس وجسدت الطفلة الصغيرة .

إلا أن الأكثر رسوخًا في ذهن المتفرج على هذا الفيلم هو غناؤها "أنا لسه صغيرة" ، وهي من كلمات حسين السيد وألحان محمد الموجي ، وفيه تغني سعاد حسني ربما لأول مرة أغنية فردية على الشاشة وتثبت أن عائلة حسني موهوبة تماما في الغناء ، فتقف أمام المخرج الباحث عن طفلة موهوبة وتردد :

ما انتش قد الحب يا قلبي .. ولا قد حكاياته
ليه عايزني من دلوقتي .. احكي لك رواياته
مش كل كتاب يا قلبي .. في الحب يتقرا
وقلت لك ميت مرة .. أنا لسه صغيرة

والغناء الفردي هنا يختلف عن الأداء الجماعي الذي أدته سعاد حسني في استعراض "البنت لسه صغيرة .. ع الحب لسه صغيرة" وفيه يظهر حارس الحب كي يجعلها في عمر مختلف من أجل أن تجرب الحب وناره

ونيازي مصطفى هو الذي أسرع مرة أخرى ودفعها إلى الغناء في العالم التالي **1967**م، في فيلم "شباب مجنون جدًا" وراحت تردد وهي تضع لحية صناعية وتمسك جيتارًا :

"مج مجم مجانين .."

وفي هذا الفيلم نري مديحة التي تتخفي في شخصية شاب ليعمل ضمن الفرقة الموسيقية المكونة من أخواتها الثلاث ، يطلب يوسف من مديحة التي تعيش بالشخصيتين أن تمثل دورزوجته الجديدة ليثير غيرة زوجته المتعالية ، توافق من أجل الانتقام من حمدي ابن يوسف الذي سخر من قبل من عواطفها.

نحن إذن أمام فتاة تتخفي في هوية أخرى، وإذا كانت سميحة قد تنكرت في زي طفلة وتتقدم لمسابقة لاختيار طفلة تجيد الغناء، فإن مديحة هنا تفعل نفس الشيء ، ولكن هناك فارقا كبيرًا بين الفتاتين .

وقد غنت مديحة مع فرقة ثلاثي أضواء المسرح هنا، ورقصت على إيقاع الموسيقى الغربية الحديثة رقصًا هو أقرب إلى الجنون والشقاوة، وهذه التجربة فتحت الأبواب للممثلة أن ينظر إليها بمنظور مختلف تمامًا ، فصار كل مخرج يحاول التعامل معها، يسعي إلى أن يدفعها إلى الغناء، وكان محمود ذو الفقار هو الأكثر استفادة من هذا الاكتشاف في أكثر من فيلم منها "حكاية **3** بنات" و"فتاة الاستعراض" .

ففي "حكاية **3** بنات" هي واحدة من ثلاث آنسات لكل منهن قصة، واحدة تحب مديرها المسن المتزوج، والثانية تحب شابًا لاهيًا ، فتغيره، وهذا

الشاب رمي شباكه أولًا على زميلتها الثالثة أمل، وهي التي تنتقل بين أكثر من رجل بحثًا عن المال، حيث يحاول الثري صاحب فرقة الفنون الشعبية التي تعمل بها الارتباط بها رغم زوجاته الأربع .

ولابد لفتاة من طراز أمل أن تبحث عن فرصة لاثبات مواهبها أن تغني وبالفعل، فإن الفيلم يتضمن "اسكتش" من كلمات حسن السيد وألحان منير مراد، أدته سعاد مع المجموعة ، نسوق هنا بعضا منه :

كورس : يا حسن يا خولي الجنينة يا حسن

يا سايق دلالك علينا يا حسن

هي : يا أولاد الحلال .. فيه جدع تايه اسمه حسن

كورس : اسمه حسن

هي : شغل الروح والبال .. بس دلوني أين حسن

كورس : أين حسن

كورس : يا حرام يا حرام .. دي بتحبه دي بتحبه

هي : يا سلام يا سلام .. على حبه ونار حبه

كورس : والله صعبت علينا يا شابة

هي : طيب ما تدلوني عليه

كورس : روحي باريس تلاقيه .. بسلامته ساكن جنب الشانزليزيه

هي : طيب ما تدلوني عليه

ومحمود ذو الفقار هو الذي أسرع بالاستفادة من هذا النجاح وهذه الموهبة ، فأسرع بإخراج فيلم " فتاة الاستعراض" عام 1969م، المقتبس عن فيلم "دعنا نحب" من إخراج جورج كيوكز، والذي قامت ببطولته مارلين مونرو ، ونحن نذكر هذه المعلومة هنا من أجل التأكيد على وجهي التشابه بين سعاد ومارلين، فكلتاهما لم تكن ممثلة استعراضية في السينما، ولكن المخرجين كانوا

يستعينون بكل منهما في بعض الأحيان من الاستعراض والغناء، وقد بدت مارلين مونرو دومًا في أحسن حالاتها وهي ترقص بتلقائية مثلما فعلت في القطار في فيلم "البعض يفضلونها ساخنة" لبيلي وايلدر **1958** ، ثم في "دعنا نحب" .

ولأن قصة الفيلم تعتمد على ما تواجهه فرقة شبابية فنية مهددة بالطرد من المسرح الذي يملكه شاب مستهتر ورث المسرح كعقار من أملاك عديدة ورثها ، وكان على الفرقة أن تقدم بروفاتها وعروضها في المسرح، لكن الفرقة تفاجأ بإنذار من محامي الشاب لدفع إيجار سنة مقدم للمسرح وإلا تعرضوا للطرد، وذلك دون علم أحمد الذي يقرر أن يذهب بنفسه متخفيًا إلى هناك، فيطلب منه أن يمثل دورًا يجسد فيه شخصية أحمد نفسه، وهنا تتولد قصة حب بين الراقصة الأولى في الفرقة وبين أحمد إلى أن تكتشف الحقيقة في النهاية .

إذن .. فنحن أمام عمل يصلح للغناء والرقص، ولا تظهر الممثلة هنا وهي تغني كأنها أقحمت على الغناء ، وذلك ميزة في نوع الفن السينمائي في مثل هذه الأفلام ، فإذا قام الممثل بالغناء مهما كانت قوته في ذلك ، فإن هذا عمله ، وةتلك وظيفته ، ولكن يأتي الاختيار لممثلة يمكن أن يكون صوتها مقبولا وقد حدث هذا كثيرا خاصة في تلك السنوات وما بعدها حيث غنت سهير رمزي ومديحة كامل في بعض الأفلام .

في نفس الفترة غنت سعاد حسني أيضا في أفلام عديدة ولكنها لم تتفرغ قط للغناء ، بل أن مجموع الأفلام التي غنت فيها كانت قليلة للغاية قياسا إلى الأدوار الخالية من الطرب ، فمن بين الأفلام الأربعة التي قامت ببطولتها عام **1969**م، وهي "بئر الحرمان" و"شيء من العذاب" و"نادية"، فإنها لم تغن سوى في "فتاة الاستعراض" ، كما توقفت تماما عن الغناء إلى أن فعلت ذلك في عام **1972**م من خلال "خللي بالك من زوزو" وكان لابد أن تفعل ذلك

طالما أن حسن الإمام هناك ، وهو الذي عمل دوما لأن ترقص بطلاته ويغنين في أفلامه .

وكانت سعاد حسني قد غنت في فيلم "الزواج على الطريقة الحديثة" عام 1968م الفيلم الذي أخرجه زوجها آنذاك صلاح كريم، وهي تجربة أقرب في شكل طاقم العاملين فيها من "شباب مجنون جدا" حيث غنت سعاد مع ثلاثي أضواء المسرح من تأليف فتحي قورة وألحان محمد الموجي أغنية "خدنا إجازة" التي راح الشباب يرددها على شاطيء البحر.

وقد بدت تجربة سعاد حسني في فيلم "خللي بالك من زوزو" كأنها تعتمد كمطربة سينمائية من نوع خاص ، رغم ثراء تجربتها السابقة في "صغيرة على الحب" وأهميتها الشديدة ، ففي الفيلم الأول كانت تغني وترقص رقصا إيقاعيا غير شرقي ، أما هنا ، فسوف ترقص هز البطن وسوف تغني بمفردها دون أن تكون مطربة تفعل ذلك في أي مكان .

وزوزو هنا طالبة جامعية، لكنها تعيش في شارع محمد علي بين الفرق الغنائية والعوامل، وتواجه المشاكل من بين بعض زميلاتها وزملائها حول الوسط الذي تربت وتعيش فيه، كما أنها تقع في حب أستاذها في الجامعة وهناك فرق اجتماعي هائل بين الاثنين، كما أن هناك العزول التقليدي في هذا النوع من الأفلام ، ويتمثل في فتاة تود الزواج من سعيد الأستاذ فتدبر مكيدة من أجل استجلاب الأم الراقصة السابقة ، وهي عجوز بدين من أجل أن ترقص في حفل يقام في منزل سعيد تحضره الابنة دون أن يعرف سعيد شيئا ، ويكتشف الأمر فتقرر زوزو أن ترقص بدلا من أمها .

وحسب ما كتبه مجدي فهمي في مقال عن الفيلم ، نشرته مجلة الشبكة وهو مقال مهم للغاية فإن "سعاد حسني" سبق لها أن غنت على الشاشة في فيلم "ه3" الذي أخرجه عباس كامل منذ اثني عشر عاما تقريبا (أي عام

1961) ، وسبق لها أيضا أن قامت بمحاولة شبه مكتملة للاضطلاع ببطولة فيلم استعراضي وذلك في "صغيرة على الحب" الذي أخرجه نيازي مصطفى .

وإذا كانت تجربة سعاد الغنائية مع عباس كامل ليست حاضرة كثيرا في الأذهان ، فإننا نتوقف عند ما أثاره مجدي فهمي حول هذا الفيلم :

هل القصة استعراضية ؟.

والإجابة : " ليس تماما ، فلن يكفي أن يجتمع عدد من الطلبة والطالبات في تكوينات راقصة (من وضع كمال نعيم) كي يكتسب الفيلم هذه الصفة . الفيلم الاستعراضي هو الذي يكون الراقصات والأغنيات الخيط الذي يشد أحداثه المهمة، أو أن تكون جزءًا من بنائه ، أما أن تكون شيئًا كماليًا أو زائدًا فهذه مسألة فيها نظر ..

ولا يكفي أن تكون سعاد حسني راقصة حتى يصبح الفيلم استعراضيًا، حتى لو أضافت أغنية أو أغنيتين بصوتها الذي يؤدي بإتقان أكثر مما يطرب" .

ويقول الناقد في مكان آخر من المقال المكتوب إبان عرض الفيلم وأثناء نجاحه الجماهيري : "أما (خللي بالك مكن زوزو) فهو خطوة إلى بعث الفيلم الاستعراضي ، وعيب المسميات في السينما المصرية أنها كثيرا ما تضل الطريق إلى الأسماء الحقيقة ، ولك أن تتخيل فيلما عالميا لمجرد أن بطله اسمه جوني وبطلته اسمها فيفي" .

وقد غنت سعاد حسني في الفيلم أغنيتين هما : "يا واد يا تقيل" الذي عاد فيه كمال الطويل إلى التلحين ومن كلمات صلاح جاهين ، كمتا تضمن الفيلم اسكتش "خللي بالك من زوزو" من ألحان سيد مكاوي، بالإضافة إلى أغنية "استني" التي لحنها إبراهيم رجب .

وهناك رأي آخر إضافي كتبه محمد عبد الفتاح حول نفس الفيلم في كتابه عن حسن الإمام الذي رأي أنه اهتم اهتماما كبيرا بالأغنيات "فهو

يستخدم المجاميع والموسيقى والحركات الإيقاعية والتشكيلات الجمالية وحركة الكاميرا وزوايا التصوير المختلفة، والكاميرا تتحرك تلاحق المغنية والمجموعات والجو المحيط بالمجاميع والمؤدية ، وهو يستخدم الكاميرا لتكون لصيقة بالمؤدية سعاد حسني ولصيقة بحركاها .

ففي رقصة وأغنية "خللي بالك من زوزو" يستغل الفرح والعروسين وخشبة المسرح الذي ترقص وتغني عليه زوزو ويقطع على المعازيم ويقدم لقطات زوزو بين الجماهير ، ثم يقدم لقطات مكبرة لوجه زوزو أو لقطات متوسطة كبيرة وهي ترقص . وزوزو دائما في مركز الصدارة ، وهو يقطع أثناء رقصها على الجمهور لقطات متنوعة ومختلفة الأحجام ، وتبرز اللقطات أحد الجالسين وهو يرسل قبلاته إلى زوزو بهيام، ثم نراه وهو يشرب من زجاجة خمر ، ثم يقطع عليه وحده تقريبا لنري نظرة الاشتهاء والرغبة في عينيه وحركات يديه" .

ولأول مرة من خلال هذا الفيلم تنتقل أغنيات فيلم من أداء سعاد حسني من السينما إلى الإذاعة ، صحيح أن استعراض "صغيرة على الحب كانت تؤخذ منه موسيقاه كمقدمات برامج ، لكن ما لبث الناس كلهم أن سمعوا أغنية "يا واد يا تقيل" من خلال الميكرفون، والكثيرون من الناس كلهم أن سمعوا الأغنية قبل مشاهدها ، ولعل اقبال بعض الناس على الفيلم هو رغبتهم في مشاهدة تلك الأغنية الناجحة سينمائيًا، وأن يروا سعاد حسني وهو تردد بكل خفة وحيوية :

يا .. يا .. يا واد يا تقيل .. يا مجنني

يا .. يا .. يا واد يا تقيل ..

أنا بالي طويل .. وانت عاجبني

بس يا ابني بلاش تتعبني

علشان عمرك ما هتغلبني

ومن الواضح أن هذه التجربة لم توقع سعاد حسني في أسرها فواصلت مسيرتها بعيدا عن الغناء في عدد من الأفلام ، منها "غرباء" لسعد عرفة و"الحب الذي كان" لعلي بدرخان ، و"أين عقلي" لعاطف سالم، وهي كلها عبارة عن تجارب نفسية لامرأة تواجه المزيد من المتاعب ، لكن حسن الإمام كان في ذهنه الاستفادة مرة أخرى من نجاح التجربة ، فراح يعد بسرعة فيلمه التالي معها وجمع أبطال الفيلم الأول ، سعاد حسني وحسين فهمي من جديد في "أميرة حبي أنا" **1974**م، وهو مأخوذ عن إحدي قصص نجيب محفوظ في روايته "المرايا" ، ومن الواضح أن الإمام قد وضع عينيه لتكرار نفس التجربة الغنائية ، فاستعان بصلاح جاهين مؤلفا للأغنيات ، وكمال الطويل ملحنا لها .

والفيلم لا يدور في كواليس الفن مثل سابقه ، بل أروقة الوظائف من خلال شركة اقتصادية ، رئيس مجلس إدارتها له سلطاته القوية في تعيين ورفع درجات الموظفين وفصلهم كما يشاء ، يزوج ابنته من موظف صغير ، وسيم ، ثم يمنحه درجة وظيفية عالية ، أما أميرة فهي موظفة جديدة تأتي إلى الشركة وهي تملك كل آمال الشباب ، فتبث في القلوب بهجة وتدعو إلى قيام رحلة وتجمع ثمن الرحلة ، وتتعرف أثناء ذلك على عادل المدير العام الغاضب دوما ، العابس ، كأنه الواد التقيل بشكل آخر فتسعي إلى أن تجعله يبتسم ، وفي الرحلة إلى القناطر الخيرية في يوم شم النسيم تغني مع المجموع في استعراض تم تصويره في حدائق القناطر الخيرية ، ليشارك في الأغنية أكثر الموظفين المشتركين في الرحلة ومنهم (كممثلين) سمير غانم ، وشكوكو وخيرية أحمد وغيرهم .

وسوف تبقى أغنية "الدنيا ربيع" هي الأكثر التصاقا في أذهان الناس حيث انتقلت بسرعة إلى الإذاعة والتليفزيون ، وصارت من أغنيات المناسبات خاصة في الربيع .

الدنيا ربيع والجو بديع

قفل لي على كل المواضيع

ما فيناش كاني ما فيناش ماني

كاني ماني إيه الدنيا ربيع

وقد كان حسن الإمام موفقا في تصوير وإخراج هذه الأغنية أكثر مما فعل مع "الواد التقيل" التي صورت على سلالم المترل ، وفي غرفة زوزو . أما هنا فقد رأينا أجواء الرحلات ، من ركوب حمير ودراجات واستخدام الجماهير المزدحمة بالقناطر ، ومشاركة الجميع بالرقص ، عدا عادل الذي سوف يتحلل من جموده بعد هذا اللقاء ، فسيقع في حب أميرة ويتزوجها ويذهبان إلى فندق بالإسكندرية لتغني له أغنية أخرى اكتسبت شهرة هي "بمبي بمبي" .

بمبي بمبي

الحياة بقى لونها بمبي

وأنا جنبك وأنت جنبي يا حبيبي

وفي هذا الفيلم أقحم الإمام أغنية أدتها سعاد حسني لسيد درويش من خلال بروفات مسرحية ستقوم بها الشركة ، وهي أغنية "يا رب اللي له حبيب ما يتحرمش منه" .

وبعد هذا الفيلم عادت سعاد حسني مرة أخرى إلى أدوار المرأة المنكسرة ، التي تحوطها الهزائم الشديدة ، وأحبها الناس في هذه الأدوار مثلما حدث في "الكرنك" ، لعلي بدرخان الذي جعلها تغني فيما بعد في "شفيقة ومتولي" ، ثم

أدت دور المرأة المنكسرة في "على من نطلق الرصاص" لكمال الشيخ **1975**م.

والجدير بالذكر قبل أن نستطرد في الحديث أن سعاد حسني ، قد انتقلت بشكل محدود من الغناء في الأفلام إلى الأغاني الإذاعية ، فقد اشتهرت أغنيتها عن العسكر المصريين أثناء حرب أكتوبر **1973**م باسم "دولا مين دولا مين .. دولا عساكر مصريين" .

أما فيلم "شفيقة ومتولي" ، فإنه يعتمد في المقام الأول على قصة فتاة صعيدية سوف تسقط في الرذيلة وتتحول إلى راقصة وخليلة ، تغني وترقص ، وقد سعي بدرخان إلى الاستعانة بكل من كمال الطويل وإبراهيم رجب اللذين لحنا لسعاد في أفلامها السابقة ، وبرزت أغنية أدتها شفيقة ، فبعد علاقتها مع الطرابيشي بك اكتشفت طبيعة عمله في تجارة العبيد التي يشترك معه أفندينا فيها ، وأمام أفندينا غنت له :

بانو بانو على أصلكوا بانو

أما الفيلم التالي الذي غنت فيه سعاد حسني فهو "المتوحشة" لسمير سيف ، والفيلم كما نعرف مأخوذ عن مسرحية فرنسية تحولت في أحيان كثيرة إلى عمل استعراضي ، وقد دفع سمير الممثلة أن تغني لحبيبها الثري أغنية "حبيبي أنت يا فيلسوف" التي راحت تؤديها بهية وهي تحوم حول حبيبها أشرف ، حيث أن بهية هنا تعمل في فرقة استعراضية ، وبعد أن وقعت في الحب تترك الفرقة من أجل العمل في أحد المصانع .

وقد سعي سمير سيف أيضا إلى الاستفادة من مواهب سعاد حسني كراقصة إلى أن يجعلها تفعل ذلك في فيلم " المشبوه" ، حيث اضطرت الزوجة إلى أن ترقص في إحدي الحانات بعد أن ضاق بها السبيل خاصة أن زوجها في

السجن ، وكان جزاؤها علقة ساخنة من زوجها الذي قام بجرها من الحانة أمام الجميع .

في تلك السنوات كانت علاقة سعاد حسني بالسينما قد قل معدلها عما سبق ، وعملت في أدوار المرأة الفقيرة المنكسرة في أفلام عديدة منها "حب في الزنزانة" و"أهل القمة" و"غريب في بيتي" ، ثم عادت إلى الغناء الجماعي في فيلمها "الدرجة الثالثة" لكن هناك فرق بين كل الاستعراضات التي قدمها شريف عرفة في أفلامه وبين ما قدمه صناع الغناء السينمائي من قبل .

الفصل السابع والعشرون
الغناء السينمائي في الستينيات
محرم فؤاد ـ ماهر العطار

فوجيء الناس في عام **1959**م بأفيشات فيلم ريفي جديد يحمل اسم "حسن ونعيمة" من إخراج بركات، وكانت الدهشة أن بطليه اللذين يملأ اسماهما الأفيش من العاملين لأول مرة بالسينما، حيث لم يسبق لسعاد حسني، أو محرم فؤاد أن عملا في السينما في أي أدوار كانت .

وهذه الظاهرة لا تتكرر كثيرًا في السينما المصرية، فليس الرهان هنا على ممثل جديد واحد بل على الاثنين معًا ، ولا شك أن وجود هذا الرهان مع فيلم ريفي يزيد من صعوبة المغامرة، فليس هناك إغراء، أو جنس أو رقص، وإن كان هناك غناء من نجم طرب جديد .

وتجيء صعوبة المغامرة في أن محرم فؤاد هو المطرب الذي يظهر مباشرة بعد إخفاق تجربة كمال حسني السينمائية، أي أنه يمكن أن يدخل في دائرة الفشل المحتوم، لكن لاشك أن بركات الذي قدم عبد الحليم حافظ في إحدي أولى تجاربه "أيام وليالي" عام **1955**م، إلى جوار نجمة جديدة نسبيًا ؛ كان دافعًا لتكرار التجربة .

وامتلأت شوارع البلاد بأغنيات المطرب الجديد التي غناها في الفيلم خاصة "رمش عينه اللي جرحني رمش عينه" و"الحلوة داير شباكها" ، ولكن لاشك أن دخول محمد عبد الوهاب دائرة المغامرة قد أعطي لها قوتها ، فهو منتج كما أنه ملحن بعض الأغنيات إلى جوار محمد الموجي .

وقد قوبل الفيلم بنجاح لأنه كان لايزال في أذهان الناس التي اسمتعت إليها تمثيلية من تأليف عبد الرحمن الخميسي، وقد كتب أحمد حمروش حول هذا الفيلم : "إن ميزته الكبري أنه يعتمد على قصة مصرية صميمة نسجت من عواطف شعبنا العريق الذي يعرف الحب من إقبال الفتاة على الشاب في حياء، ويعرف الشرف من سلوك الشاب مع الفتاة ومحافظته عليها طاهرة بريئة، حتى بعد أن هربت من ضرب والدها وقسوته" .

وحسن في هذا الفيلم مغنواتي ريفي يرتزق من الغناء التجوالي، ولهذا السبب يقف والد حبيبته نعيمة ضد مصاهرته، وهذا النوع من المغنواتية ليسوا منتشرين في السينما المصرية، حتى ولو رأيناه يتوق إلى السفر للعاصمة كي يغني هناك، لكن حسن لا ينتقل بعيدًا عن المنطقة الجغرافية التي يعيش ويحب فيها ويغني في الأفراح الريفية :

الحلوة داير شباكها .. شجرة فاكهة

ولا في البساتين

والحلوة م الشباك طلة .. يحرسها الله

ست الحلوين

الحلوة

وقد استقبل محرم فؤاد وسعاد حسني استقبالًا طيبًا من النقاد والجمهور وكتب حمروش أن بركات قدم لنا عملا فنيًا ناجحًا أظهر فيه جوًا رائعًا لحياة ريفنا وخلق من سعاد حسني ومحرم فؤاد أبطالًا جددًا في ميدان السينما وانتقل بنا نقلات بارعة مع أبطال الفيلم في نسيج واحد من الحوادث والحوار .. واتخذ زوايا بارعة للتصوير تظهر العواطف الكامنة بلا حديث .

وهكذا بدأت رحلة محرم السينمائية، وكان عليه أن يكون قصير العمر في هذه السينما أسوة بكثير من المطربين الذين لمعوا في ثلاثة أفلام أو أربعة

فقط ، ثم تبدأ أضواء الاستوديوهات في الانحسار عنهم ، وقد حدث هذا بالفعل للمطرب الذي وجد أن عليه الذهاب إلى لبنان عام **1962**م ليستمر في العمل هناك لمدة أكثر من ثلاثة عشر عامًا لم يعد خلالها إلى مصر ليقدم أفلامًا سوى مرة واحدة فقط هي "عشاق الحياة" لحلمي حليم عام **1971**م، وكان يمكن لمحرم فؤاد أن يستمر سينمائيًا في لبنان لو لم تندلع الحب الأهلية هناك .

ففي العام التالي ظهر فيلمه الأول، ظهر محرم فؤاد في فيلمين، وبدا كأن الرهان عليه يزداد، وهذان الفيلمان هما "لحن السعادة" لحلمي رفلة . و"وداعا يا حب" لحسام الدين مصطفى .

وسوف نري أن زميله ماهر العطار قد سار معه في نفس المسيرة، ففي نهاية عام **1959**م قدم حسن الصيفي أول فيلم للعطار باسم "احترسي من الحب" ، وفي العام التالي **1960**م ، كانت هناك منافسة واضحة بين المطربين الشابين الجديدين في دور عرض متقابلة، فبينما عرض "لحن السعادة" في **15** فبراير بسينما ميامي ، فإن "النغم الحزين" لحسن الصيفي أيضًا من بطولة ماهر العطار قد عرض في سينما قريبة، وبعد أن انتهي عرض "لحن السعادة" مباشرة ، عرض الفيلم الثالث من بطولة العطار باسم "حب وحرمان" لإبراهيم عمارة ، وفي **25** أبريل عرض فيلم "وداعًا يا حب" ثم عرض فيلم "بنات بحري" لحسن الصيفي في نهاية نفس العام من بطولة ماهر العطار .

وبينما بدأ ماهر العطار كمطرب عليه أن يقف إلى جوار نجوم آخرين في أفلامه مثل محسن سرحان ورشدي أباظة وعبد السلام النابلسي، فإن لمحرم فؤاد بطولاته المطلقة أمام نفس النجمات اللاتي مثلن أمام عبد الحليم حافظ مثل إيمان ومريم فخر الدين، كما أن الأدوار التي جسدها هي لشاب من طبقة متوسطة، قد يكون مهندسًا أو موظفًا أو ابن أكابر، وذلك باستثناء فيلمه

الأول، وكأنه يكرر نفس الشخصيات التي جسدها عبد الحليم من خلال شخصية الحالم الرقيق.

ففي "لحن السعادة" يقف إحسان فوق جسر خشبي صغير، يرقب فتاة تمر من نفس المكان كل يوم وغنى لها وهو يركب زورقًا صغيرًا .

شفت بعيني ما حدش قاللي .. شفت الحب ودقت الحب

شفت عيون حلاوتها تخللي .. حتى اللي مالوش قل يحب

شفت يعني

ثم هو حين يلتاع في حبه وتهجره حبيبته بسبب المتاعب التي تتولد بين أبيها وعمه الثري، يسير هائما في الشوارع :

وانت عني بعيد قلبي عني بعيد

كل يوم يا حبيبي كل يوم بتألم

حتى يوم العيد

ونحن أمام قصة بسيطة تصلح لفيلم غنائي، حول الباشا المتسلط الذي يحب جمع المال، يعامل وريثه الوحيد ابن أخيه إحسان كخادم، يذهب إحسان للحياة في الريف في صحبة صديقه فتحي، لكن الظروف المالية الصعبة تحوطهما، وهناك يلتقي بفتاة ويحبها دون أن يعرف أنها ابنة غريم عمه، وفي ليلة الزفاف يفاجأ العم بأن صهره هو خصمه فيقف ضد الزواج ويفشل المشروع ولكن الحبيبين لا يلبثان أن يتغلبا على المتاعب .

وجاءت تجربة المطرب التالية في السينما غريبة من خلال حسام الدين مصطفى، الذي ليس له باع طويل في السينما الغنائية، لذا فإننا نري المطرب هنا يدخل صراعًا دومًا مع غريم له على قلب المرأة التي يحبها ويموت بطلق ناري من الغريم الذي يهرب، ولم يحدث هذا من قبل في أي فيلم غنائي، حيث

انتهت أحداث الفيلم بالحبيبة أماني وهي تتذكر حبيبها حين كان يسير في الحقول يغني أغنية "اوعى تكون بتحب يا قلبي":

أوع تكون بتحب يا قلبي اوعى تكون بتحب

مالنا ومال الحب يا قلبي مالنا ومال الحب

مالنا وماله النار تكويك اوعى تحب الله خليك

وتدور أحداث الفيلم من خلال المطرب الشاب شريف الذي لم يستكمل دراسته الجامعية، يعثر يومًا على سلسلة ذهبية تخص أماني أمام الأوبرا يذهب لتسليمها بعد أن يقرأ خبرًا عن ضياع السلسلة، تقابله أماني وتدعوه إلى عيد ميلادها ويأتي كي يغني لها :

من كام ليلة من كام يوم – واحنا بنستني دا اليوم

تطلب منه أماني إدارة مزرعتها مما يثير ضيق رمزي الذي يود الاستيلاء على أموال أماني، تتغير الأمور إلى الأفضل في المزرعة وتدر عائدًا مما يزيد من غيظ رمزي الذي يحاول تدبير المقالب لشريف، ويوهم أماني أن امرأة تأتي إليه بالمزرعة، تنمو مشاعر حب بين شريف وأماني وتطلب من عمها مساعدة شريف في أن يغني بالأوبرا ، وبعد مكيدة تفرق بينهما يغني لها :

يا حبيبي قوللي آخرة جرحي إيه

قلبي مجروح من زمان واحترت فيه

الطبيب شافني بكي بدموع عنيه

قاللي جرحك ده مش قادر عليه

يا حبيبي وأعمل إيه

وبدا أن المخرجين يضعون من وقت لآخر مطربهم في شخصيات غير مناسبة، ففي فيلم "نصف عذراء" للسيد بدير 1961م نحن أمام فيلم نفسي حول طبيب معقد، يحاول استغلال حالته المرضية ويسيطر عليها عاطفيًا

ويغتصب واحدة منهن هي زينب المخطوبة لجلال، وتتعقد أحداث الفيلم لدرجة أن الشاب يجد نفسه متهمًا باغتصاب خطيبته مما يعرضه للمحاكمة وعلى المحامي إثبات براءته .. وكما نري فإن مثل هذه الأجواء غير صالحة تمامًا لفيلم غنائي، بل إن الغناء هنا يبدو كئيبًا في غير مكانه، ولم نجد أي مطرب في السينما المصرية فيما قبل داخل قفص الاتهام حتى وإن كان بريئًا، ويكفي أن نراجع موقف الشاب الذي عليه الشهادة الصحيحة في فيلم "أيام وليالي" لبركات .

أي أن السيد بدير الذي عمل طويلًا كممثل في أفلام غنائية كوميدية أخرجها عباس كامل لم يستفد من تجربته، وعندما استعان في بعض أعماله بمطربين أو مطربات فإنهم كانوا بمثابة ديكورات للغناء إذا لزم الأمر، وهكذا رأينا محرم فؤاد في فيلم "نصف عذراء" .

ولاشك أن مثل هذه الأدوار قد لعبت ضد المطرب الذي ابتعد لفترة تزيد عن العام عن السينما، إلى أن عاد مرة أخرى إلى بركات في نهاية عام 1962م ليقدم فيلما باسم "سلاسل من حرير" شاركته البطولة مديحة يسري، وعماد حمدي، وزيزي البدراوي، وهو هنا مطرب شاب تخرج من معهد الموسيقى العربية، يحب ليلى التي يموت أبوها وتقرر الأم أن تزوج ابنتها إلى ابن خالها أنور، ترفض ليلى هذه الزيجة، وتقف إلى جوار حمدي، على جانب آخر فإن الثري أحمد يدعو حمدي إلى حفل زفافه في منزله، تسمعه فايزة هانم وتعجب به وتنمو بينهما صداقة وحب من طرفها وتحاول إفساد ما بين حمدي وليلى، إلا أنه لا يلبث أن يعود إلى حبيبته .

ومن أغنيات الأفلام التي غناها محرم فؤاد في هذه الفترة ولاقت نجاحًا رفع من أسهمه :

تعرف لما بقابلك يومها بحس بإيه

زي ما أكون عطشان وشربت

زي ما أكون زعلان وفرحت

زي ما أكون تعبان وارتحت

دا اللي أنا باشعر بيه يا حبيبي

وقد عرض فيلم "سلاسل من حرير" قبل الفيلم الأفضل فيلم آخر لمحرم فؤاد بأسبوعين تقريبًا ، وهو " من غير ميعاد" لأحمد ضياء الدين، والذي اجتمع فيه كل من محمد سلطان وسعاد حسني ونادية لطفي، وفيه جسد دور المطرب كمال صديق الرسام وحيد الذي يؤجر غرفة في شاليه تملكه أرملة تسكن في المصيف مع ابنتيها سلوي ونادية، فتعطلان هاتف الشاليه حت يأتي ليتكلم من عندهما، يتم التعارف بشكل أعمق ويأتي كمال لزيارة صديقه فيقع في حب نادية، وأمام مجموعة من المواقف يتقرب وحيد من سلوي وتعلن خطبتها بعد فسخ خطبة نادية ووحيد، يعرف كمال بالخبر ويعود إلى الإسكندرية التي سبق أن غادرها من أجل زواج الحبيبة، ومن الواضح أن الشخصية الرئيسية هنا محمد سلطان ، وأن محرم فؤاد كان مجرد مطرب لا أكثر، وقد غنى مجموعة من الأغنيات الخفيفة منها "خمسة سياحة" التي غناها في حفل خطبة حبيبته على صديقه :

بعد ما أهني وبعد ما أغني

حاخد بعضي وأطلع أطير

الدنيا سياحة خمسة سياحة

أما الفيلم الأخير في مرحلة الستينيات لمحرم فؤاد فهو "شباب طائش" 1963م للسيد زيادة، وهو فيلم هامشي بلا أية قيمة، ساهم بلا شك في أن يدخل محرم فؤاد مرحلة الأفلام اللبنانية التي بدأت بفيلم "حكاية غرام" لمحمد سلمان الذي قدمه في أغلب أفلامه، وفي هذا الفيلم أدي دور شخصيتين،

أحدهما وجيه شقيق مها القادم من الولايات المتحدة إلى بيروت كي يهتم بأمورها، مما يضايق النصاب شريف، فيقوم بخطف الأخ ويأتي بأخ شبيه له، وهو مطرب، وتمضي معه مها أوقاتًا جميلة على أنه أخوها ، إلا أن سمير المطرب يحب الفتاة ويغني من أجلها "محروم" :

محروم مش قادر أقول لك إني بحبك

محروم مش قادرأقول لك أوهب لي قلبك

وأنت هلالي ، ولا أنت داري باللي جري لي

ولاشك أن أغنيات محرم فؤاد قد أعطت لهذه الأفلام جماهيرية، خاصة في مصر باعتبار أن السينما اللبنانية قد صبغت في هذه الفترة بصبغة مصرية واضحة، وتواجدت في دور العرض كأنها صناعة مصرية .

وقد تكرر نفس الشيء في فيلم "الصبا والجمالِ" لمحمد سلمان أيضًا وذلك من خلال أغنية "ما تلونيش خدودك" وتدور قصة الفيلم حول مطرب شاب يعرف أن أباه مغرم بمطربة تبتز أمواله، فيقرر الانتقام منها بإلقاء شباكه عليها، وتحبه بالفعل، ثم ينجح في إبعادها عن أبيه بعد أن يعرف أنها كانت تفعل ذلك بضغط من أحد القباضيات الذين يطاردونها.

وقبل أن يتعرف المطرب على الفتاة راح يغني مع أصدقائه على رقصات من نادية جمال :

ما تلونيش خدودك ما تلبسيش حلق

دانتي كده بطبيعتك من أجمل ما خلق

وقد خلا الغناء هنا من أية بهجة، عدا أن تكون هناك راقصة تحوم حول المطرب وهو يغني، أما هنا فقد غنى مع صباح أغنية باسم "روحي يا سنارة" بدأت بكلمات من المطربة التي أخذت تفخر بسنارتها التي تصطاد ما تشاء من رجال، فراح يردد عليها وهو الجالس فوق مقعده :

مش كل السمك سمك انتي فهماني

مش كل الشبك شبك انتي فهماني

فيه سمك من غير حسك

ما تقدريش تصطاديني

ما تقدريش توقعيني

وقد كانت أغلب الأفلام اللبنانة ملونة على غير أفلامه السابقة في مصر منها "عتاب" **1964**م أمام سميرة توفيق ، و"ولدت من جديد" **1965**م، ثم عاد إلى مصر ليعمل في فيلمه المصري الملون الأول "عشاق الحياة" لحلمي حليم عام **1971**م، وهو المخرج الذي سبق أن قدم لعبد الحليم حافظ واحد من أشهر أفلامه وهو "حكاية حب" ، ومن الواضح أن هناك تشابهًا ما بين قصة الفيلمين، فالبطل هنا اسمه أحمد في الفيلمين، هو مطرب يحب فتاة من مستوى اجتماعي أعلى، وليس الحبيب هنا هو الذي يصاب بالمرض بل إنها مني التي يصيبها الشلل في ليلة زفافها على رجل آخر اختاره لها أبوها بعد أن رفض زواج مني من أحمد، وفي هذا الفيلم غنى محرم فؤاد أغنياته التي اشتهر بها في أوائل السبعينيات ومنها:

والنبي لنكيد العزال

أما آخر فيلم سينمائي عمل فيه محرم فؤاد فهو في رأيي من أحسن أفلامه وهو "الملكة وأنا" لعاطف سالم **1975**م، كتب له القصة علي الزرقاني لكنه أفلت كسيناريو من يدي علي سالم ، والملكة هنا جورجينا رزق ملكة جمال العالم في تلك الحقبة، وعادل هنا هو شاب يعمل مرشدًا سياحيًا من منطقة الأهرامات، يحب فتاة لبنانية جاءت إلى مصر مع فوج سياحي واستهواها جوها تزوجت رجلًا ثريًا فصدمته ثم تعود إلى حبيبها.

وقد غنى محرم فؤاد هنا أغنيتين هما :

داري جمالك دا العيون بصاصة ..

داري جمالك دا الرجال قناصة ..

داري جمالك كل نظرة رصاصة ..

و"مراسيل وبعتنا المراسيل" ، وعن هذا الفيلم كتب مجدي فهمي في مجلة الشبكة "ألحان محرم وكلها له باهتة ، وشعره منفوش كأنه يضع على رأسه الماسك من الذي يستعمله ركاب الدراجات البخارية .. أما مهمته الكبري فهي تقبيل البطلة .. لقد طبع على شفتيها عددًا من القبلات يزيد على عدد الليرات في أجرها" .

المطرب الثاني الذي ظهر في نفس المرحلة وسار على نفس الدرب وسبق أن أشرنا له هو ماهر العطار ، الذي عمل في أربع سنوات في ستة أفلام ، وبدا إقبال المنتجين عليه بشدة انعكاسات لما تمتع به من جماهيرية، فبعد الأفلام التي أشرنا إليها قام عام **1961**م بالمشاركة في البطولة في فيلم "أنا وأمي" ، كما أنه حاول أن يعمل في السينما اللبنانية ، فلم يظهر سوى في فيلم واحد هو "لقاء الغرباء" بالمشاركة مع مريم فخر الدين وأحمد مظهر، وقد بدا الرهان على ماهر العطار في فيلمه الأول "احترسي من الحب" لحسن الصيفي ، وفيه يقوم بدور حسن الذي ورث عن أبيه ثروة فيبددها ويخطب ليلى التي يغرر بها وتحمل منه، تخفي الأمر عن شقيقتها يرفض حسن الزواج منها ويغادر البلاد، فتضطر ليلى قبول الزواج من صديق شقيقتها، ولكنها تترك المترل ، يلحق بها أحمد ويحاول قتلها ولكنها تنقذ وتنقل إلى المستشفي ويتقدم حسن ويعود كي يصلح خطأه.

ومن الواضح أن دور المطرب الذي يقع في خطيئة مع حبيبته لم يكن منتشرًا في السينما المصرية من قبل، أي أن صورة المطرب الطائش الخارج عن

الناموس قد وفدت مع هذا الجيل، لذا لم يترك المطرب الجديد أثرًا عند متفرجيه .

ولعل "النغم الحزين" لحسن الصيفي هو الفيلم الوحيد الذي أسندت فيه البطولة بأكملها إلى ماهر العطار، ولذا امتلأ الفيلم بالأغاني التي أداها المطرب أو التي أدتها لبلبة، وهنا يلعب العطار دور مطرب شاب مغمور تعجب به الراقصة سامية، وتعمل على ضمه إلى الفرقة التي تعمل بها، أما هو فيحبها كإنسانة عطفت عليه، يسافر عادل في رحلة فنية، يتسلل اليأس إلى سامية أثناء غيابه فتقبل على الخمر حتى تسقط على المسرح وتصاب بشلل في ساقيها، يلتقي عادل بالفتاة ليلى فيحبها ثم يعلن خطوبتهما؛ يعود عادل ويعلم ما حدث فيضحي بحبه لليلى من أجل إنقاذ سامية، يعود الأمل لها فتشفي وتعود لعملها كراقصة على أغنيات عادل، تعلم سامية بعلاقة عادل بليلى فتبارك زواجهما وتهب حياتها للفن .

ومن الأغنيات التي غناها العطار في الفيلم "قلبي سألته عليك قال أيوة أهواه وأعبده" وهي من ألحان بليغ حمدي وكلمات مأمون الشناوي، ومن المعروف أنها تنتمي إلى فايزة أحمد أكثر مما تنتمي إلى ماهر العطار الذي غنى أيضا لكل من الشناوي وبليغ أغنية "كتير علي" :

كتير علي إني أحبك وانت غنية وأنا فقير

كتير علي إني أحبك وانت جميلة وأنا مش جميل

كما غنى "الفرح" من كلمات فتحي قورة وألحان محمد الموجي الذي لحن أيضا أغنيته الأكثر شهرة في كل تاريخه الغنائي وهي "بلغوه" من كلمات عبد العزيز سلام :

بلغوه شوقي وسلامي بلغوه

طمنوه وإن سألكم عني ابقوا طمنوه

ما تقولوش إني بكيت
في غيابه واشتكيت
ما تقولوش عني كده لتزعلوه
بلغوه
بلغوه إني أنا لسه بحبه
واسألوه امتى هيسعدني بقربه
وإن لقيتوا حبي لسه جوه قلبه
ما تقولوش إني بكيت
في غيابه واشتكيت
ما تقولوش عني كده لتزعلوه
بلغوه

وقد لعب ماهر العطار بعض الأدوار الكوميدية التي انعكست على أغانيه مثل "مش صح والا إيه" في فيلم "حلوة وكدابة" ، ومجموعة أغنيات في فيلم "بنات بحري" ، ولا شك أن رحلة العطار القصيرة مع السينما ليست غريبة ، فقد تكررت من قبله كثيرًا وأيضًا من بعده أسماء بارزة، منها هاني شاكر وعماد عبد الحليم على سبيل المثال .

الفصل الثامن والعشرون
منتصف الستينيات
شريفة فاضل ـ محمد رشدي

يدل احتضان المخرج والمنتج كمال صلاح الدين لاثنين من نجوم الطرب في السيتينات هما شريفة فاضل ومحمد رشدي، على الحال السيء الذي وصل إليه حال الغناء في السينمات في تلك الفترة، خاصة أن بدايات شريفة السينمائية كانت على يدي كل من السيد بدير، وحسين فوزي بصرف النظر عن قيمة هذه الأفلام .

أما رشدي فإنه ظل يمارس الغناء في السينما كمطرب أفراح لفترة طويلة حتى تلقفه كمال صلاح الدين بعد نجاح أغنية "عدوية" ، ليقدمه في فيلم يحمل نفس العنوان .

وفي هذه الفترة، كانت أعمار المطربين الجدد السينمائية قصيرة للغاية مثلما حدث مع عادل مأمون الذي قام ببطولة مطلقة في فيلمين هما "ألمظ وعبده الحامولي" 1962م، و"العزاب الثلاثة" لحمود فريد 1964م ثم اختفي سينمائيًا .

وهكذا أيضا كانت تجربة الكثير من المطربين في تلك السنوات، ولاشك أن بدايات شريفة فاضل ومحمد رشدي قد بدت متشابهة حتى غنيا بشكل هامشي وعابر في السينما، وقد ظهرت شريفة في أفلام عديدة كمطربة فقط قبل أن تسند إليها البطولة، وكانت تجربتها في فيلم "الأب" عام 1947م، وكانت صبية صغيرة في الرابعة عشر من عمرها والفيلم من إخراج عمي جميعي ثم فيلم "اللعب بالنار" عام 1948م من أخراج جميعي أيضًا، و"وداعًا

يا غرامي" لنفس المخرج عام 1951م، و"أولادي" عام 1952م لجميعي كذلك

وقد غنت شريفة فاضل في "اللعب بالنار" ثلاث أغنيات من ألحان محمد فوزي ومحمود الشريف، والتحقت بمعهد الفنون المسرحية وابتعدت عن السينما ، إلى أن التقت بأستاذها السيد بدير فتزوجت منه كي يسند إليها البطولة المطلقة عام 1957م في فيلم "ليلة رهيبة" ، من إخراج زوجها وتأليف محمد كامل حسن المحامي، وهو المؤلف الذي كتب الكثير من القصص البوليسية في السينما المصرية .

فنحن هنا أمام موضوع بوليسي لا يصلح أبدًا أن يكون فيلمًا غنائيًا وسوف يتكرر هذا مرة ثانية في الفيلم الثاني لشريفة فاضل، والفيلم حول تبديل طفلين أثناء عملية ولادتهما، فتصبح الفتاة ابنة لرجل عجوز طيب أما الابن فتربي في بيت امرأة ثرية، ويتعارف الاثنان على بعضهما عندما يكبران ولكن الماضي يطاردها ويكتشف مجدي أن حبيبته ليست سوى أخته في الوقت الذي ترمي عليه امرأة أخرى شباكها إلى أن يعرف أنهما لم يرضعا من نفس المصدر فيتزوجان .

وقد غنت شريفة فاضل في هذا الفيلم كمطربة فقط، عليها أن تقف أمام نافذة كي تردد "أمانة ما تسهرني يا بكره" أو عليها أن تمشي في شوارع مظلمة لتردد أغنية حزينة .

ومن الفيلم ظلت أغنية "أمانة ما تسهرني يا بكره" حيث حققت نجاحًا جماهيريًا ساعد على تجاهل الموهبة المتواضعة للمطربة التي تجذبها السينما مجددًا، والأغنية من كلمات إسماعيل الحبروك وألحان محمد الموجي :

أمانة ما تسهرني يا بكره أمانة ما تحيرني

أمانة ما تحيرني أمانة لتفرحني

أمانة يا بكره

خايفة اللي بنيته في أيام يتهد في يوم

وتروح من عيني الأحلام ويروح النوم

وأبات من الحب أشكي لا طايلة أحكي ولا أبكي

أمانة يا بكرة .

وقد أدت شريفة فاضل في فيلميها هذين دور المرأة المنكسرة الهادئة، التي تنطق إلا أقل عدد من الكلمات ولكنها تغني أكثر مما تتكلم، فهي هنا فتاة ريفية تعيش حاملة خطيئتها وابنها من رجل زير نساء، ارتكب جريمة قتل وطارده مفتش مباحث، وكان عليه أن يعود إلى القرية من أجل إصلاح خطئه والزواج من الفتاة الريفية ويساعده في ذلك مفتش المباحث كواجب إنساني .

والأغنيات الثلاث التي غنتها شريفة فاضل في هذا الفيلم من النوع الحزين عدا أغنية "الله على الدنيا" تأليف المخرج السيد زيادة وألحان بليغ حمدي والتي تردد فيها :

مطرح ما تبص العين بتلاقي حياة وجمال

والأجمل م الاتنين في الدنيا راحة البال

وأنا مالي سعيد متهني من كتر الحب بغني

والقلب يقول الله الله الله الله

أما الأغنية الثانية "اللي ع الجبين" من ألحان سيد مكاوي وتأليف محمود فهمي إبراهيم الذي كتب الأغنية الثالثة المشهورة "يا بني يا ضنايا" من ألحان بليغ حمدي :

يحرسك ربي يا بني يا ضنايا

يا حتة من قلبي عايشة ويايا

لما بتقولي ماما من قلبك

بنسي دنيايا وافتكر حبك

يا حبيب قلبي يا بني يا ضنايا

وقد قامت شريفة فاضل بدور صغير في فيلم "سلوي في مهب الريح" عام **1962**م، وفي العام التالي نجحت أغنيتها "حارة السقايين" على المستوى الشعبي نجاحا ملحوظًا، فأسرع كمال صلاح الدين كمنتج والسيد زيادة كمخرج بالاستفادة من هذا النجاح، وقدما فيلمًا يحمل نفس الاسم، وكما نلاحظ فإن المخرج هنا هو الذي سبق أن ألف لها بعض الأغاني .

وبطلة الفيلم هنا "فكيهة" التي تعيش مع خالها الملحن المغمور، والتي تذهب مع الخال كي تغني أحد الألحان، وتتم الاستعانة بها بديله عن مطربة ترفض غناء اللحن، يعارض "سالم" خطيبها قيامها بالغناء ولكنها لا تهتم وتؤجر مع خالها شقة مفروشة في حي راقي، وتكون المفاجأة في ظهور الفيلم بدون فكيهة بعد أن استغني عنها المخرج فتعود إلى سالم نادمة .

وقد تميز لحن الأغنية التي حملت اسم الفيلم بالبساطة، وتضمن الفيلم عدة أغنيات، ومنها اسكتش باسم "أنا هابقى عريس" اشتركت في أدائه أمام محمد رشدي، وأمين الهنيدي ، ومحمد عوض ، كتب كلماته عاطف رزق ولحنه حسن نشأت ، كما غنت شريفة فاضل أغنيتين هما "إلعب غيرها" ، و"يا واد أنت" من ألحان محمد ضياء،وتقول مرددة في الأغنية الأخيرة :

بعدين معاك يا واد أنت كتر الكلام في الحته

إخواتي بدل الواحد عقبال أملتك ستة

لو كلموني أجارك ولو كلموك يا نهارك

ح يقطعوك ميت حتة يا واد أنت

وفي هذا الفيلم غنى محمد رشدي كعادته إحدي أغنيات الأفراح، وهي هنا من ألحانه باسم "والله فرحنا لك" التي يقول فيها :

والله فرحنا لك يا وله والله فرحنا لك

والسعد جالك يا وله والحظ ادي لك

حتة عروسة أبهة مشغول ومتعلق بيها

ولاشك أن الفيلم نجح على المستوى الشعبي، مما دفع بنفس المنتج كمال صلاح الدين والسيد زيادة، إلى تقديم فيلم ثانٍ في نفس السنة باسم "غازية من سنباط" به نفس التوليفة، فإلى جانب شريفة فاضل ومحمد عوض وعبد اللطيف التلباني وأمين الهنيدي وكوثر رمزي أبطال الفيلم السابق تمت الاستعانة بشفيق جلال، وسعاد مكاوي وسيد الملاح وكلهم من أرباب الطرب، لذا فإن الفيلم عن عالم الغوازي والأفراح، لابد أن يمتليء بالأغنيات التي كتب بعضها المخرج نفسه، إذن فأمام هذا العدد من المطربين فلابد أن يمتليء الفيلم بست أغنيات على الأقل بالإضافة إلى استعراض "شارع الصايمين" الذي اشترك فيه جميع مطربي الفيلم .

غنت شريفة فاضل هنا أغنيتين هما "يابو المدهب يا قصب" من ألحان محمد عبد العليم، وكلمات محمد حمزة، ثم "بنات سنباط" تأليف السيد زيادة وألحان حسن نشأت وفيه تردد :

إرخي جفونك وأنا فايتة يا واد لا تصيبك من عيني شرارة

وإن كنت يا واد عامل صياد أنا رمشي غابة وسنارة

مشهورة من إسنا لدمياط علشان أنا حلوة ومن سنباط

مش بس أنا

كورس : كلنا حلوين يا بنات سنباط

أما عبد اللطيف التلباني فقد غنى "دوبني يا حب" و"الليلة فرح" ، وغنى سيد الملاح من ألحانه اسكتش "الهلالم" ، وغنت سعاد مكاوي من ألحان حسن نشأت أغنية "الحنة السويسي" .

وبعد هذا النجاح ، تعثرت التجربة كثيرًا بالنسبة لشريفة فاضل، فعملت في دور صغير عام 1970م في فيلم "الحب والثمن" ، ثم سافرت إلى سوريا لتعمل في فيلم "الراعية الحسناء" عام 1972م، وفي عام 1978م أخرج لها حسن الإمام فيلمًا عن منيرة المهدية "سلطانة الطرب" وغنت بعض أغانيها، وكان لابد لشريفة هنا أن تعود إلى السينما من خلال إنتاجها وتكررت التجربة في عام 1985م من خلال فيلم "تل العقارب" الذي يدور في حي شعبي .

أما محمد رشدي كما أشرنا فقد كان عليه أن يظهر في الأفلام ليغني في الأفراح مثل "يا أم الطرحة معطرة" و"القمر قمرين" و"من العين دي حبة والعين دي حبة" ، ومن هذه الأغنيات ما ردده في فيلم "المارد" 1964م للمخرج سيد عيسي "قولوا لمأذون البلد" :

قولوا لمأذون البلد ييجي ويتمم فرحتى

ويهني قلبي اللي انسعد ويا الجميل في غربتي

وقد ظل رشدي يغني للأفراح في أفلام عديدة رغم بزوغ نجمه في أغنيات شعبية عديدة، وفي فيلم "حارة السقايين" شارك بالغناء لكنه لم يكن بطلًا بل إن السيد زيادة لم يستعن به ثانية في فيلمه التالي مع نفس المجموعة واستعان بعبد اللطيف التلباني، والذي كان بمثابة ضيف شرف في "حارة السقايين" ، وفي عام 1966م غنى رشدي في فيلمين، هما "الزوج العازب" ، ثم "نورا" وهو من إخراج محمود ذو الفقار حيث غنى أغيته المشهورة "ع الرملة" .

وقد شارك محمد رشدي في بطولة فيلم "ست بنات وعريس" للسيد زيادة عام 1968م، لكن ذلك بعد نجاح فيلمه "عدوية" ، وقد حدث نفس الشيء الذي سبق أن حدث لأغنية "حارة السقايين" ، فما أن نجحت

أغنية"عدوية" على المستوى الشعبي حتى فكر نفس المنتج المخرج كمال صلاح الدين في أن يقوم بإخراج فيلم يحمل عنوان الأغنية وجعل البطولة المطلقة لمحمد رشدي وبدا كأنه يراهن عليه .

كان يكفي أن يكون محمد رشدي هو المطرب الأوحد في الفيلم، وأن يقوم بدور صبري الذي يحب عدوية، غير أن والدها يرفض زواجهما، يلتحق صبري بمركز للتدريب المهني ويوجهه المدير لدراسة الموسيقى لما يتمتع به من موهبة الغناء، يتعرف بالراقصة سميرة ويسطع نجمه في عالم الغناء، تهرب عدوية إليه ويتزوجان ويضطر الأب أن يبارك زواجهما ويعيشان في سعادة رغم محاولات سميرة للإيقاع بينهما .

وتضمن الفيلم مجموعة من الأغنيات منها "عدوية" و"ياللي الهوى رماك" و"يا عزيز عيني" ، وهاتان الأغنيتان من كلمات صلاح أبو سالم وألحان حلمي بكر، ومن الواضح هنا أن رشدي قد ترك غيره يلحن له وهو الذي نجح كثيرًا من خلال أغنيات لحنها له بليغ حمدي .

وهذه الأغنيات كانت علامة متميزة في مسيرة محمد رشدي ، حيث يردد في أغنية "ياللي الهوى رماك" :

إن كنت مسافر خدني معاك
أو خد تباريح الشوق وياك
هتقوللي الصبر دا عصر الصبر ما وصلنا
من هنا لهناك
يا معدي هي الخطوة استني وخدني معاك
وصعيدي ولا بحيري والا الهوى رماك
ياللي الهوى رماك

أما أغنية "يا عزيز عيني" فهي مأخوذة من الفلوكلور الشعبي وقد سبق لمطربين آخرين أن رددوا نفس الكلمات :

يا عزيز عيني دا أنا بدي أروح بلدي

بلدي يا بلدي وأنا بدي أروح بلدي

يا عزيز عيني

وقد أحس السيد زيادة بأن أسهم محمد رشدي ترتفع، فأسند إليه بطولة فيلم "ست بنات وعريس" ، وهو فيلم ضم نجوم الكوميديا في تلك الفترة، مثل محمد عوض وأمين الهنيدي، ويدور حول إحدي العصابات التي قامت بخطف الطفل مسعود، يعثر عليه أحد الفلاحين ويقوم بتربيته حتى يصبح مدرسًا، يربط الحب بينه وبين زميلته وينافسه في حبها زميلهما زكي ولكنها تميل لمسعود وتتم خطبتهما، وتفاجأ والدة الفتاة يوم الزفاف بأن مسعود أخوها، وذلك من خلال حجاب يحتفظ به منذ غيابه وهو طفل وتغمرها الفرحة لعودته وبذلك توافق الفتاة على الزواج من زكي .

ومن الواضح أن الأدوار التي جسدها رشدي في أفلامه كانت لشخصيات شعبية مثلما جسد من قبل محمد الكحلاوي وعبد العزيز محمود، وفي فيلم "السيرك" لعب رشدي دور بطولة مشترك، لمجموعة من الشباب يعملون في السيرك، ويعانون المتاعب المالية ثم يتغلبون على هذه الظروف وينجحون في عملهم .

وقد راهن فطين عبد الوهاب على محمد رشدي في واحد من أفلامه الأخيرة ، وهو "فرقة المرح" عام **1970**م وهو الفيلم الوحيد في السينما المصرية الذي يقوم فيه ضابط مباحث بالغناء، فمن المعروف أن الذين يقومون بالغناء في السينما، إما مطربين أو شباب موظفين، ولكن محمد رشدي يقوم

بدور لطفي ضابط مباحث الذي عليه حماية الفتاة مني التي تحب جارها عادل، ويعمل مختار ابن أخت مني ضمن عصابة تهريب يتزعمها سليم .

تعرف مني من الضابط أن سليم يعتقد أن مختار يفضي لها بأسرارهم قبل مصرعه على أيدي رجال الشرطة، يتردد سليم على مني ويدعي له لطفي أنه أخوها الذي انتهت مدة عقوبته في السجن، يطمئن له سليم ويضمه إلى العصابة وبذلك يتمكن لطفي من إيقاع سليم وأعوانه في قبضته .

وللقاريء أن يتصور ضابط شرطة يمسك المسدس ويطارد العصابات ثم يقف في ملهي ليلي كي يغني، وقد حدث أن كنت أقوم بتسجيل تليفزيوني لأحد البرامج وكان معي محمد رشدي فتذكر هذا الفيلم وأبدي دهشته أيضًا قائلًا "لدرجة أنهم جعلوني أقوم بدور ضابط شرطة في أحد الأفلام" .

كان على محمد رشدي أن يعود إلى السينما مرة أخرى بنفس الشكل الذي راهن عليه كمال صلاح الدين، فجمعه مرة ثانية مع بطلة فيلم "عدوية" في فيلم جديد هو "ورد وشوك" سيكون بمثابة العلاقة الأخيرة للمطرب مع السينما .

ويروي الفيلم قصة حسن وبسيمة اللذان يتورطان في علاقتهما ويستعدان للزواج، يتعرض حسن لسرقة حافظة نقوده، تشاء الصدف أن يلقي السارق مصرعه فيعتقد رجال الشرطة أنه حسن لوجود بطاقته الشخصية في حافظته ويبلغون أسرته .

تنهار بسيمة وتهرب بعد أن تكتشف أنها حامل، تتعرف على سائق تاكسي ويتفقان على الزواج، يتوصل حسن بعد بحث عن مكانها ويتفهم سائق التاكسي الموقف ويتركها كي تتزوج من حسن .

وقد شهد هذا الفيلم تحولًا ملحوظًا في السينما الغنائية، فمن قبل كانت قصص الحب شفافة رقيقة، وكانت الرومانسية تغلف قصص الحب وتكسوها

الأغاني ، وإذا كانت ناهد شريف قد جسدت دور فلاحة رقيقة في فيلم "عدوية" فإنها في فيلم "ورد وشوك" **1972**م كانت قد صارت نجمة إغراء يمكنها أن تكشف ما لديها من فتنة، وتبارت بطلات الفيلم في هذا المضمار، من نوال أبو الفتوح إلى نجوي فؤاد وسعيدة جلال .

وفي هذا الفيلم غنى رشدي أغنيتين الأولى من كلمات محمد كامل بدر وألحان إبراهيم رأفت باسم "آه يا هوى" :

آه يا هوى يا ويلي من جرح الهوى

آه يا هوى مالك طبيب مالك دوا

يا قلبي كنا اتنين هنا والحب كان تالت لنا

ولا دنيه راحت لنا ولا القدر سابنا سوا

أما الأغنية الثانية "الواد من بورسعيد" فمن كلمات عاطف رزق وألحان محمد رشدي نفسه ، وهي تنتمي إلى أغنيات الأفراح التي اشتهر بها المطرب في بداية حياته :

الواد من بورسعيد وعلشان حظه السعيد

جابه النصيب وجانا من مشواره البعيد

وحتة زفة يا واد والنور في الحي انقاد

وغنوا بورسعيدي على مزمار صعيدي

يا غنوة بورسعيدي

اسم الله عليه الخير في ايديه

وشطارته ملهاش حد

وكما هو واضح فإن السينما بهذا النوع من الأغاني والأدوار كتبت نهاية علاقة محمد رشدي بالسينما، وذلك بعد رحلة قصيرة نسبيًا، ولاشك أنها أطول قليلًا من رحلة مطرب ظهر في نفس المرحلة هو عادل مأمون الذي تم

الرهان عليه في النصف الأول من الستينيات، وخاصة في فيلمه الأول "ألمظ وعبده الحامولي" لكن المواهب التمثيلية لم تسعفه، وعندما قدمه محمود فريد في فيلم "العزاب الثلاثة" عام **1964**م كان المخرج قد راهن على فيلم "ليلة الجمعة" الذي سبق إخراجه في السينما من بطولة أنور وجدي وإبراهيم حمودة.

وفي هذا الفيلم الجديد أدي عادل مأمون دور مطرب وشاركه في البطولة عبد المنعم إبراهيم وحسن يوسف، في دور ثلاثة شباب تدفعهم الظروف إلى كراهية النساء، فينعزلون في مكان بعيد ويقررون الابتعاد عن كل ما هو أنثوي حتى تدفع خطيبات الشباب بواحدة من أصدقائهن للدخول للفريق المعزول وتنجح في إخراج الشباب من عالمهم الوهمي .

وقد غنى عادل مأمون في هذا الفيلم أغنيات خفيفة تتناسب مع روح الفكاهة في الفيلم منها أغنية "أيوة .. حلوة عزيزة" ، ثم أغنية "ابعد عن الحب وغني له" :

ابعد عن الحب وغني له

وان فات عليك إياك تنادي له

خليك زينا في حياتنا هنا

وبعد هذا الفيلم ابتعد عادل مأمون تمامًا عن الأفلام، وبدا كأنه يتيح الفرصة لجيل جديد من أجل أن يغني، مثل عبد اللطيف التلباني ومحمد رشدي، وهو الجيل الأقصر عمرًا والذي ترك الفرصة لهاني شاكر وهكذا تعاقبت الأجيال .

الفصل التاسع والعشرون
الغناء السينمائي في السبعينيات
هاني شاكر - عماد عبدالحليم

قليلًا ما ينظر الناس إلى الأطفال المطربين باعتبارهم نجوم الغناء في المستقبل، فكثير من هؤلاء الصغار سرعان ما ذابوا في الحياة عندما صاروا أكبر سنًا وشبابًا .

ولم يتصور أحد أن ذلك الطفل الذي قام بدور سيد درويش في صباه في الفيلم الذي أخرجه بدرخان عام **1966**م ، سيكون له شأن كبير في عالم الغناء، لقد غنى هاني شاكر بصوته أغنيات ترجع إلى أوائل القرن، أما كرم مطاوع نفسه فقد غنى في هذا الفيلم بصوت محمد شبانة .

ولم يترك هاني شاكر أثرًا لدى الناس، ولم يتساءلوا من يكون الطفل، لدرجة أنه في فيلم تالٍ قام بالتمثيل فيه كطفل هو "من أجل حفنة أولاد" لإبراهيم عمارة لم يغن ، وكان مجرد طفل ممثل من بين أطفال عديدين .

لكن السينما سرعان ما راحت تستجلبه إلى استوديوهاتها، بمجرد ذويع صيته في الغناء، وانتشار أغانيه التي أعطت للناس الإحساس أننا أمام عبد الحليم حافظ جديد ، فغنى "حلوه يا دنيا" ، و"كدة برضو يا قمر"، و"سيبوني أحب" وكان اسم فيلمه الأول كنجم غناء هو نفس اسم أغنيته بعد تحويلها إلى لغة عربية وهي مطلع أغنية "لما يغني الحب يا قلبي" .

وكان نيازي مصطفى هو الذي يقف بكل قوته وراء هاني شاكر سينمائيًا فقدمه في "عندما يغني الحب" عام **1973**م، وذلك في قصة مكررة سبق أن جسدها شكري سرحان أمام المطربة مها صبري في بدايتها عام **1959**م في "أحلام البنات" من إخراج يوسف معلوف، حول صاحب المتجر الكبير الذي

يود أن يعلم ابنه المسئولية فيدفع به إلى أن يعمل موظفًا في المحل دون أن يدري أحد هويته، ويتصرف كعامل كي يستكشف الحياة والناس، وهناك يتعرف على فتاة فقيرة غير طموحة تحبه لذاته، ولذا فإنه لا يتردد أن يتزوجها بعد أن بادلها الحب .

ومن التجربة الأولى لهاني شاكر نكتشف أن المخرجين الذين عملوا معه راهنوا فقط على اسمه، وأنه في الأفلام التي قام بالعمل فيها لم يقف أمام نجمات بل أمام ممثلات جدد، وكان الرهان على الأغنية والمطرب، فالفيلم الأول "عندما يغني الحب" وقف أمام ليلى حمادة، ثم أمام نيللي في "عايشين للحب" ، وفي الفيلم الثالث كان الأبطال الثلاثة من الشباب ، مثل "نورا" وحمدي حافظ في "هذا أحبه وهذا أريده" .

والذي يذكر أفيش فيلم "عندما يغني الحب" سوف يلاحظ الصورة الضخمة التي تملأ مساحة الأفيش للممثل المطرب الذي يراهن عليه الفيلم، المهم هو أن يأتي الناس من أجل سماع ومشاهدة هاني شاكر، وقد جاء بعد ذلك أسماء من طراز ناهد يسري وصفاء أبوالسعود، ثم ليلى حمادة وحمدي غيث ويوسف فخر الدين، وقد تضمن الفيلم ست أغنيات واستعراضات منها ثلاثة لبليغ حمدي هي "يا عاشقين" و"عومني في بحر عينيك" و"لما يغني الحب" أما محمد الموجي فقد قام بتلحين "حلوة وخفة" وقام منير مراد بتلحين استعراض "البحارة" وقدم عمر خورشيد ألحان استعراض التليفزيون

وكما أشرنا فإن الرهان قد جاء لصالح هاني شاكر، الذي عليه أن يغني وحده وأن يشارك في كل هذه الأغنيات، رغم أن هذه الأغنيات ليست أفضل ما لدى المطرب حتى تلك الفترة، لكن من الواضح أن المطرب يدخل بكل قوة من خلال نيازي مصطفى، الذي غنى في أفلامه أغلب نجوم الطرب من قبل كما أشرنا في مكان آخر من هذه الدراسة، ولكن يبدو أن الطبخة لم تأت

مكتملة، لذا فإن التجربة لم تنجح ربما للموضوع، أو لأن هناك شيئًا ما ناقصًا .

وقد غنى هاني شاكر لحبيبته في الفيلم أكثر هذه الأغنيات :

يا عاشقين يا مغرمين .. يا مدوبين قلب الحجر

حبيبي غاب ما أعرفش ليه .. من غير ما يبعت لي خبر

وحياة غرامكو وحبكو .. روحوا قولوله

وحياة حلاوة قلبكو .. روحوا قولوله

يبعت لي كلمة ويا القمر

ويغني لحبيبته في مكان آخر من الفيلم :

لما يغني الحب يا قلبي .. كل الدنيا تقول الله

لما ينادي الشوق لحبايبي .. يلقي الدنيا تغني معاه

ومن الواضح أن رصيد هاني شاكي من الغناء في تلك الفترة كان دافعًا قويًا للاستفادة منه في فيلم آخر هو "عايشين للحب" لأحمد ضياء الدين عام **1974**م، والذي يدور في أجواء موسيقية، حول زكي الفنان المعروف الذي يتبني إحدي الفرق الاستعراضية فنيًا، يربط الحب بين عضوي الفرقة ويسمونه هنا هاني الذي يحب نيللي، يطلب منها زكي أن يوهما زوجته أنه خطب نيللي كي يلقنها درسًا وتكف عن إيمائها بالسح، يعتقد هاني أن نيللي على علاقة بزكي بالفعل لكي يوصلها للشهرة والمجد، ولكنه يتراجع عن شكه، تنجح خطة الزوج وتستعد الفرقة لتقديم استعراض من تلحين زكي ، ثم يتزوج هاني من حبيبته .

ولاشك أن تسمية البطل هنا باسم الشهرة للمطرب يعني الايحاء للناس بأن تذهب للفيلم من أجل رؤية وسماع المطرب، وقد غنى هاني في هذا الفيلم خمس من أغانيه ، "سيبوني أحب" و"قسمة ونصيب" وغيرها، وهي أغنيات

ساهمت في زيادة أسهم المطرب لكن أداءه على الشاشة لم يجذب الناس إلى مشاهدته :

قسمة ونصيب والحب رماني

سلمت أنا وبرمشه ناداني

واعمل إيه والفرح معاه

واعمل إيه والشوق وياه

واقول يا بكره تعالي قوام

وهات معاك ورد وأحلام

وأنا نفسي أدوب ولا إني اتوب

والغريب أن حسن الإمام في قمة تألقه بعد كل من "خللي بالك من زوزو" ثم "أميرة حبي أنا" ، قد بدأ يراهن على هاني شاكر، فقدمه في فيلمه الثالث وهو "هذا أحبه وهذا أريده" الذي كتب له السيناريو في نص أدبي إحسان عبد القدوس، حيث كان المؤلف قد نشر السيناريو في مجلة "صباح الخير" قبل أن يتم تحويله إلى فيلم، والسيناريو نفسه عبارة عن اقتباس بين لفكرة "سيرانو دي برجاك" حول الصديقين اللذين يحبان نفس الفتاة، أحدهما بليغ يكتب خطابات الغرام الملتهبة فيأخذ صديقه الرسائل من أجل أن يقدمها إلى حبيبته .

والجديد في موسيقي وأغاني هذا الفيلم، هو دخول إلياس رحباني كصانع للموسيقي ثم ملحنًا للأغنيات، وكان الأخوان رحباني قد دخلا في هذه الفترة بقوة لصناعة موسيقي الأفلام، وتركا بصمات قوية لدى المستمع في موسيقي "حبيبي" و"هذا أحبه وهذا أريده" ، لكن الغريب أنه لا الموسيقى ولا الأغنيات التي قدمها إلياس هنا كانت بذات أهمية أو صدي، مثل أغنيات هاني شاكر الأخرى .

وهاني شاكر في هذا الفيلم مطرب، الذي يذهب إلى سلوي ويخبرها أنه صاحب الرسائل التي وصلتها مكتوبة باسم أشرف، مما يوقع سلوي في حيرة، فهي تحب أشرف من خلال خطاباته وتعجب بشخصية أحمد ويتزوجها أحمد بعد أن ظل أشرف سلبيًا إزاء مصارحته لها بالحب، وعقب الزواج يتسرب الشك في قلب الزوج إلا أن يكتشف خطأ شكوكه.

وعلى مستوى حسن الإمام فقد سارع بتكرار تجربة تجديد أغنيات سيد درويش عقب أن لجأ إلى هذه الطريقة في فيلم "أميرة حبي أنا" حيث دفع سعاد حسني أن تغني من استعراض "شهر زاد" لسيد درويش ، وغنت وردة أغنيات منها "كيكي" تأليف بديع خيري و"والله تستاهل يا قلبي" من كلمات أمين صدقي .

في "هذا أحبه وهذا أريده" غنى هاني شاكر ضمن استعراضات الفيلم أكثر من لحن لسيد درويش منها " يا عشاق النبي صلوا على جماله .. يا عروسة الزين تعالوا بنا نزينها له" ، و "يا ورد على فل وياسمين الله عليك يا تمر حنة، قرب هنا ، شوف عندنا ، أدي وردة يا بيه آدي فلة يا هانم" ، كما غنى هاني شاكر من ألحان إلياس رحباني وكلمات محمد حمزة أغنية "حلو الحب" ، وغنى لمحمد الموجي من كلمات حسين السيد "سوق الهوى" ، ومن كلمات سيد مرسي وألحان حلمي بكر غنى "اتحرك يا قلبي" ويقول في حلو الحب :

لف يا قلبي وقول للدنيا كله يحب
والله زمانه لقي أحبابه كله يحب
راح يبتسم عطر الحب
راح يتعلم حب في حب

ولاشك أن عمر هاني شاكر كان قصيرًا للغاية في السينما، رغم وقوف ثلاثة من كبار المخرجين معه، لكن هاني هو في المقام الأول مطرب لا يرقص ولا يقدم عملًا استعراضيًا ، ولعل عدم نجاح مثل هذا الجيل في السينما أن الناس فيما سبق كان يهمها رؤية صورة المطرب على الشاشة وخاصة وهو في حالة حب، أما في عصر التليفزيون فصار الناس يشاهدون مطربهم يغني في الحفلات وفي التليفزيون، ولأن الطرب في الأساس هورؤية المطرب وسماعه، فإن هذا الجيل كان قصير العمر ولم نري استثناء واحد طوال الثلاثين عام الماضية .

وفي تلك السنوات كان نجم عماد عبد الحليم قد بدأ في السطوع، وتم اكتشافه كمطرب وهو في الرابعة عشرة من عمره، وجاء به عبد الحليم حافظ من الإسكندرية ودفع به، وقام ببطولة مسلسل "الضباب" الذي غنى فيه أغنيته الشهيرة التي تحمل عنوان المسلسل، وعندما بدأت علاقة السينما بعماد فكر مخرج من طراز علي رضا أن يعيد إلى الأذهان صورة عبد الحليم حافظ، كان هذا الأخير قد رحل عن عالمنا، وأثيرت الأحاديث عن علاقة المطرب الراحل بعماد الذي حمل اسمه ، وكان على السينما أن تعيد إخراج واحد من الأفلام الشهيرة لعبد الحليم وهو "الخطايا" لحسن الإمام 1962م، وهو فيلم ميلودرامي في تاريخ السينما الغنائية .

إذن .. فلماذا لا يتم استعارة صورة عبد الحليم في شكل مطرب شاب له نفس الملامح والقامة ، والوجه الضامر والصوت الجميل. إذن فما قدمه الفيلم ليس بمثابة تقديم للمطرب الشاب بقدر ما هو اختبار له، ومن هنا جاءت حساسية تقديم فيلم "عذاب الحب" عام 1979م الذي أريد به إعادة إحياء عبد الحليم حافظ .

إنه نفس السيناريو القديم الخطايا كما كتبه محمد عثمان أيضا اسم البطل حسين الذي يحب جارته من، وهناك أيضا أخوه أحمد، والاثنان هما نجلا المهندس عبد الحميد وزوجته درية، أما مني فهي ابنة السيد شعبان الثري الكبير، والحب يجمع بين الاثنين، وفي ليلة اللقاء الحاسم بين حسين ومني يقف الأب موقفا حازمًا من الزواج حيث يقرر أن الزوج هو الأخ الصغير أحمد وليس الأكبر حسين.

ونحن نعرف القصة بالطبع، وسبق أن رأيناها في فيلم غنائي، والغناء فيها فردي، كأن يناجي شخص حبيبته على قارعة الطريق، أو ينعي حظه في مكان ما، وكان الأحري أن يعيد عماد عبد الحليم غناء إحدي أغنيات عبد الحليم حافظ في فيلم الخطايا، مثلمتا فعل هذا الأخير نفسه حين ردد في الشوارع تساؤلات الطلاسم التي سبق لعبد الوهاب أن غناها في فيلم "بورسعيد" .

ولم يحقق الفيلم أي نجاح، رغم عناصر التمثيل فهند رستم مكان مديحة يسري وعاد أدهم، مكان عماد حمدي وعمر الحريري مكان فاخر فاخر وحسين الشربيني مكان كمال حسين، وبالطبع فإن نورا لا يمكن أن تحل مكان نادية لطفي .

ولاشك أن أغنية بكائية من طراز "حظي معاكي يا دنيا كدا" تناسب أجواء الفيلم وكأنها بديل عن "الطلاسم" أو "لست أدري" ، وهي أغنية نالت حظها من النجاح .

وقد أتيح لعماد عبد الحليم أن يعمل مع مخرجين بارزين، خاصة في المجال الغنائي، فعلي رضا سبق أن قدم أعمالا استعراضية وغنائية فريدة عديدة في أفلامه السابقة، وهو هنا يراهن على اسم يعمل لأول مرة في السينما، وبشكل عام فإن علاقة الناس بالمطرب أشبه بمن يتناول قطعة من اللبان ، تبدو في

بدايتها حلوة المذاق جميلة الطعم، ويروح يلوكها ثم يلفظها بعد أن تفقد سكرها في الفم .

وبالنسبة لعماد عبد الحليم، فقد كان عمره السينمائي عامين لا أكثر، ففي عام 1979م عرض له أيضًا فيلم "كرامتي" من إخراج أشرف فهمي وأمام نجوي إبراهيم، وقد كانت هناك محاولات لعمل أفلام استعراضية أو غنائية للمخرج لكنها لم تنجح ابتداء من "بص شوف سكر بتعمل إيه" إلى "ميعاد مع سوسو" ، وفي "كرامتي" حاول أشرف من جديد، لكن خبرته لم تكن قوية في صناعة هذا النوع من الأفلام ، وكذلك فإن موهبة المطرب لم تسعفه .

ولاشك أن سمات عماد عبد الحليم كانت يمكن أن تكسبه جاذبية، وخاصة تكوينه الجسماني وطريقته في نطق الكلمات، واللدغة وملامح وجهه وانكساره، وإذاً كما أشرنا في دراستنا عن عبد الحليم حافظ، أن سبب نجاح شخصياته السينمائية انكسارها، مما يزيد من تعاطف الناس معها ويقف إلى جانبها، لكن من الواضح أن الزمن قد تغير، فهو في فيلم "كرامتي" يؤدي دور طالب صغير السن، يقوم بإنقاذ امرأة من الانتحار الذي حاولت به أن تتخلص من خيانة زوجها، هي امرأة ناضجة محطمة وهو شاب مقبل على الحياة، يأخذها معه إلى غرفة صغيرة يقيم بها ويحرسها حارس يقف إلى جانبه، والمرأة ترفض قبول الحياة لكنها تلحظ اهتمام الشاب بها .

وطارق هذا يذهب للبحث عن أمل بعد أن تذهب بشكل مفاجيء عن الغرفة وهو لا يعرف أنها متزوجة، ثم تشرح لها ظروفها ويتجولان في دروب الإسكندرية، ويجربان لذة الحب الشفاف، لكن الزوج لا يلبث أن يعرف يحاول ملاحقتها، وعندما ينصرف غاضبا بعد أن شاهدها، تحاول أمل اللحاق به، فتصدمها سيارة وتنتقل إلى المستشفي، يشرح طارق للزوج الموقف

ويسرع الجميع إلى المستشفي ويقرر الشاب أن يضحي بحبه كي تعود أمل إلى زوجها الذي أعلن ندمه .

إنها نفس النهاية التي رأيناها في "أيامنا الحلوة" لحلمي حليم، حين لم يتمكن الحبيب من الحصول على الحبيبة وضحي بها من أجل سعادتها لكن مع اختلاف أن المرأة هنا ظلت حية وعادت إلى زوجها، ولاشك أن الشاب هنا لا يصلح للزواج ، فهو تلميذ صغير حيب ولكنه لا يستطيع أن يكون حياة زوجية ، ولذا فإن السيناريو الذي كتبه أحمد عبد الوهاب بدا منطقيا للغاية .

وإذا كان فيلم "حياتي عذاب" بمثابة إعادة لفيلم "الخطايا" ، فإن فيلم "الأخوة الغرباء" لحسن الصيفي هو إعادة جديدة لفيلم "الشقيقان" الذي أخرجه الصيفي أيضًا عام 1965م ، لكن الإعادة هنا لمسها بعض التغيير في أسماء الأبطال دون أن يمس الأمرالنص الأساسي .

الفيلم القديم لم يكن غنائيًا بالمرة، فهو به بعض العنف وبطلاه أحمد رمزي وحسن يوسف، وهما من أبطال الحركة، وفي الفيلمين هنا دائمًا صراع بين اثنين من الأخوة، لم يلتقيا قط من قبل، ولا يعرفان بعضهما، والأب واحد لايزال على قيد الحياة، الأول تربي في أحضان أمه التي هجرها زوجها، وعاشا فقرًا مدقعًا، فربته حتى واصل دراسته إلى الجامعة وكان الأب قد هجر زوجته هذه بعد أن صارت أكبر سنًا وعجزت عن الإنجاب لكنها عندما انفصلت عن زوجها اكتشفت أنها حامل فأنجبت "وحيد" .

الفهرس